كتاب الداء والدواء

تصنيف الشيخ الامام العالم العامل

شمس الدين ابن القيم امام المذهب الجوزيه

رحمه الله ورضي عنه

اياصوفيه
٢٧٠٠

كتاب الداء والدواء

تصنيف

شيخ الاسلام

ابن قيم

الجوزية

F700

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر
يقول العبد العالم الامام العلامة الادب الفهامة الحبر البحر
الفهامة ذو الفضل والمكارم والاخلاق الحميدة والشيم
الكريمة والسجايا المرضية والمناقب السنية والمآثر
العلية والمفاخر البهية والمحامد الجلية والمحاسن
الجمة والمكارم الجمة والمعالي الجسيمة والمعارف
الجليلة والمعالم الجزيلة والمحاسن الجميلة والمكارم
الجزيلة والمعالي الجليلة والمعارف الجسيمة والمعالم
الجمة والمحاسن الجزيلة والمكارم الجميلة والمعالي
الجزيلة والمعارف الجليلة والمعالم الجسيمة والمحاسن
الجمة والمكارم الجزيلة والمعالي الجميلة والمعارف
الجزيلة والمعالم الجليلة والمحاسن الجسيمة والمكارم
الجمة والمعالي الجزيلة والمعارف الجميلة والمعالم
الجزيلة والمحاسن الجليلة والمكارم الجسيمة والمعالي
الجمة والمعارف الجزيلة والمعالم الجميلة والمحاسن
الجزيلة والمكارم الجليلة والمعالي الجسيمة والمعارف
الجم

داء الجهل والشك والريب فلم ينزل الله سبحانه شفاء فظاعم لا
انع ولا أعظم ولا انجع في ازالة الداء من القرآن وقد ثبت في
الصحيحين من حديث ابي سعيد قال انطلق نفر من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي
من احياء العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ
سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم
لو اتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله ان يكون عند بعضهم شيء
فاتوهم فقالوا ايها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء
لا ينفعه شيء فهل عند احد منكم شيء فقال بعضهم نعم والله اني
لارقي ولكن والله استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى
تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق
يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال
فانطلق يمشي وما به قلبة فاوفوهم جعلهم الذي صالحوهم
عليه فقال بعضهم اقسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي
النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يامرنا
فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال
وما يدريك انها رقية ثم قال قد اصبتم اقسموا واضربوا لي معكم

من ع

سهما فقد تؤهذا الدواء في هذا الداء واذا الحق كان لم يبق وهو
اسهل دواء وابينه ولو احسن احد التداوي بالفاتحة لرأى
لها تاثيرا عجيبا للشفاء وكثيرا ما كنت اعالج المدة بعد المدة بعض الادوية فلا احد
طبيبا ولا دواء فكنت اعالج نفسي بالفاتحة فارى لها تاثيرا
عجيبا فكنت اصف ذلك لمن يشتكي المالكان لم يشفهم سراء
سريعا ولكن ههنا امر ينبغي التفطن له وهو ان الادكار والادعية
والادوية التي يستشفى بها هي في نفسها نافعة شافية
ولكن يتوقف على قبول المحل وقوة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف
الشفاء كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل
او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدواء فالكامل من ذلك في
الادوية والادواء الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون
لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي
يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدواء بقبول
تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك
القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي
نفس قعالة وهمة مؤثرة اثر في ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه
من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب

الله من لعهد في كتاب الاهدا بيد اصحاب بني آدم ان لا يخرجوا
مخرجا فاوحى الله عز وجل الى نبيهم ان اخرجهم مخرجوهم الصعف
يا رب ان بحثتني يريدون الى الفاقة سفلتهم الدما وملائم
يا بيوتكم الحرام الان حتى اشد غضبي عليكم ولن
تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو درين لهن من الدعا مع البلا
ما يكفي الطعام من الملح فصل والدعا نفع الادوية
وهو عدو البلا يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه
اذا نزل وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم في صحيحه من حديث
علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا
سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والارض وله
مع البلا ثلث مقامات احدها ان يكون اقوى من البلا
فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلا فيقوى عليه
فيصاب به العبد لكن قد يخففه ان كان ضعيفا
الثالث ان يتقاومان ويمنع كل واحد منهما صاحبه
وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عايشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يغني حذر من قدر والدعا ينفع مما
نزل ومما لم ينزل وان البلا لينزل فيلقاه الدعا
فيعتلجان الى يوم القيمة وله ايضا من حديث ابن عمر عن

ولكن قد يحلف عبده انه لما لصعفه في نفسه بان يكون دعا لا عبده
الله لما فيه من للعبد وان لما لضعف القلب وعدم اقباله على الله
وجمعيته عليه وقت الدعا فيكون بمنزلة القوس الذي خرج حدها
فان السهم يخرج منه خروجا ضعيفا واما لحصول المانع من
الاجابة من اكل الحرام والظلم وغير ذلك مما يتوسل الى القلوب استيلا
الغفلة والسهو واللهو وعلى هذا فحيث صح الحاكم من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون
بالاجابة واعلموا ان الله لا يقبل دعا من قلب غافل لاه فهذا
دوا مع نزول البلاء ولكن غفلة القلب عن الله بسبب قوته
وكذلك اكل الحرام يبطل قوته او يضعفه كما في صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها
الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين
بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين امنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث
اغبر يمد يديه الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك وذكر عبد

النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم
عباد الله بالدعاء وروى أيضا من حديث ثوبان عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا
البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه **فصل**
ومن أعظم الأدوية الالحاح بالدعاء وقد روى بن ماجة في
سننه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لم يسأل الله يغضب عليه وفي صحيح الحاكم من حديث أنس عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا يجزم أحدكم في الدعاء فإنه لا مكره له
الدعاء لحد ذل الإكراه عن الزهري عن عروة عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه يستجاب للملحين في
الدعاء وفي كتاب الزهد للإمام أحمد عن فتاده قال قال نبي
لنبي من مثله الأرجلا في الربع حسبته يهدي عواما
رب لعل الله عز وجل أن يجيبه **فصل** ومن الأدوية
التي لم تزل أمراض الدعاء عليه أن يستحل العبد ويستبطئ
الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء وهو سبب له من يزيد وقد
أدعى عراسا تحمل بعناهده ويسقيه فلما استبطئ
كسالا وأدرا له تركه وأهمله وفي صحيح البخاري من حديث

ما وجدت

دعوت

على

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول
دعوت فلم يستجب لي وفي صحيح مسلم عنه لا يزال يستجاب للعبد
ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله وما
الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر
عند ذلك ويدع الدعاء وفي مسند أحمد من حديث أنس قال
قالوا يا رسول الله كيف يستعجل قال يقول دعوت وفي وقد
يستجب لي **فصل** وإذا جمع الدعاء حضور القلب
وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتا من أوقات
الإجابة المستبه وهي الثلث الأخير من الليل وعند الأذان
وبين الأذان والإقامة وأدبار الصلوات المكتوبات
وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة
وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم وصادف
خشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب وذلا له
وتضرعا ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة
ورفع يديه إلى الله وبدأ بحمد الله والثناء عليه ثنى بالصلاة
على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قدم بين يدي حاجته
التوبة والاستغفار ثم دخل على الله الذي هو أرجى للمسئول وتملقه

ودعاه رغبة ورهبة وتوسل اليه باسمائه وصفاته وبوحدته وقدم
بين يدي دعائه صدقة فان هذا الدعاء لا تكاد ترد له اولا
سيما ان صادف الاوقات التي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
انها مظنة الاجابة او اتى متضمنا لله سم الاعظم فمنها ما في
السنن وصحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن
ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني
اسالك بانني اشهد بانك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي ١١/١
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال لقد سال الله باسمه
الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وفي لفظ
لقد سالت الله باسمه الاعظم في السنن وصحيح ابن حبان
ايضا من حديث انس بن مالك انه كان مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسمع رجلا يصلي ثم دعا فقال اللهم اني اسالك
بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السماوات والارض
يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد دعا الله باسمه العظيم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل
به اعطى واخرج الحديثين الامام احمد في مسنده وفي جامع
الترمذي من حديث بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين واليكم الآية احد لا اله الا

هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي مسند الامام احمد وصحيح الحاكم
من حديث ابي امامة وانس ابن مالك وبريدة من غاير عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لهم عباد الحلال والاكرام بعني تعلقوا بها وان لها
وادا وسواها وفي جامع الترمذي من حديث ابي امامة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع رأسه الى السماء
واذا اغتم في الدعا قال يا حي يا قيوم وفيه ايضا من حديث
انس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر قال
يا حي يا قيوم برحمتك استغيث وفي صحيح الحاكم من حديث ابي
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسم الله الاعظم في ثلاث
سور من القرآن البقرة وآل عمران وطه قال القاسم
فالتمستها فاذا هي ايه الحي القيوم وفي جامع الترمذي وصحيح الحاكم
من حديث سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
دعوة ذي النون اذ دعا وهو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين انه لم يدع بها مسلم في شيء قط الا استجاب
الله له قال الترمذي حديث صحيح وفي صحيح الحاكم من حديث سعد ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشيء اذا نزل برجل منكم
فدعا به يفرج له دعا ذي النون وفي صحيحه ايضا عنه انه سمع النبي

صلى الله عليه وسلم يقول هل ادلكم على اسم الله الاعظم دعا به اوسئل
فقال رجل يا رسول الله هل كانت لونس حاضنة فقال الا
اسمع قوله فاستجبنا له وحسناه من الهم وكذلك ننجي المؤمنين
فانما تسلم دعاء في مرضه ارتجى منه فمات في مرضه ذلك الا
اعطي اجر شهيد فان برا برا مغفورا له وكان المحصنين من
حدثنا زر عن ابن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم الا الله
لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم
وفي مسند الامام احمد من حديث علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل بي كرب
ان اقول لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات
العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي مسنده ايضا من
حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اصاب احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك
ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك
اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته
في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به في
علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور بصري

وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله عز وجل همه واحزنه وابدله مكانا
فرجا فقيل يا رسول الله الا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
وقال ابن مسعود ما اصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال ما استفاد بالتسبيح
وذكر ابو الدرداء في كتاب المجالسة في الدعاء عند الحصن قال
كان رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى ابا
معلق وكان تاجرا يختلف الى اليمن يجلب منها ويبيع في الآفاق فكان
ماشيا وراكبا فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له
ضع ما معك فاني قاتلك قال ما تريد الى دمي شأنك بالمال
قال انما المال لك فلي ولجسدك ربه الا دمك قال انما اذا ابيت
فدعني اصلي اربع ركعات قال صل ما بدا لك فتوضأ
ثم صلى اربع ركعات فكان من دعائه في آخر سجدته ان
قال يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد اسألك
بنور وجهك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي
ملأ اركان عرشك ان تكفيني شر هذا اللص يا مغيث
اغثني فلا ثبر اثر فاذا هو بفارس قد اقبل بيده حربة
حتى وضعها بين اذني فرسه فلما نظر اليه اللص اقبل نحوه
فطعنه فقتله ثم اقبل اليه فقال من انت بابي انت
وامي فقد اعانني الله بك اليوم قال انا ملك من اهل السما

الرابعة دعوت دعائك الاول فسمعت لا واب السما فقعقعة
ثم دعوت دعائك الثاني فسمعت لاهل السما صحة ثم دعوت
دعائك الثالثة فعيل لي دعائك دب فسألت الله ان يولني
قتله قال الحسن فمن وضا وصل الربح بريحات ودعا بهذا
الدعاء استجيب له مكروبا كان او غير مكروب فصل
وكثيرا ما نجد ادعية دعا بها قوم فاستجيب لهم ويكون قد
اقترن بالدعاء عارض من صاحبه واقبال على الله او حسنة
تقدمت منه جعل الله سبحانه اجابة دعوته شكرا لحسنته
او صادف وقت اجابة وجود لك فاجيبت دعوته فبطن
الطالب ان المسبب لعطف ذلك الدعاء فاتخذه محرزا عن
ذلك الامور التي قارنته من ذلك الداعي وهذا كما اذا استعمل
رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي
ينبغي فاسقم به فظن غيره ان استعمال هذا الدواء محرز كاف
في حصول المطلوب فكان غالطا وهذا موضع يغلط فيه
كثير من الناس ومن هذا انه قد يتفق دعاء مضطر او
وصدق اللجا الى الله فاذا حصل ذلك في بيت من بيوت
الله كان افضل واحب الى الله فصل والادعية
والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح نصابه لا يحده

فقط متى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به والساعد ساعد
قوي والماسك معقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف
واحد من هذه الثلثة تخلف للمانع اذا كان الداعي نفسه
غير صالح او الداعى له لم يصح بين قلبه ولسانه في الدعاء او كان
ثمة مانع من الاجابة لم يحصل الاثر فصل سؤال
وههنا سؤال مشهور وهو ان المدعو ان كان قد قدر
له ان يقع مدعو فوعه دعا به العبد او لم يدع وان لم يكن قد
قدر له ان يقع سواء سأله العبد او لم يسأله فطن طائفة
ممن هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت لا فائدة فيه وهو غلط
مع ربط جهالم وضلالهم منشأ فضول فان نظر هذا يوجب
تعطيل جميع الاسباب مقابل لحدهم ان كان المقدر
له ان قد قدر له فلا بد من وقوعها اكلت او لم تأكل
وان لم تقدر لم تقع اكلت او لم تأكل وان كان الولد قد قدر
له فلا بد منه وطئت الزوجة الامة او لم تطأ وان لم تقدر
لم يكن ولا حاجة الى النكاح والتسري وهلم جرا فهل يقول هذا
عاقل او آدمي مثل الحيوان البهيم مقصور على مباشرة الاسباب
التي قواه وحياته فالحيوانات اعقل منهم فانها من هو لا الذين
هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وكاسن بعضهم وقال الحسن

ما الدعا من باب التعبد المحض مثابا به علیه الداعی من غیر
ان یکون له اثر فی المطلوب بوصما لا یعرف عند هذا
الکلس من الدعا ومن الامساک عنه ما اقله واللسان فی
الثانیة فی حصول المطلوب وارتباط الدعا عندهم به کارتباط
السقوط بالاوفی وفی الثانیة اجری الحس من هولا
بل الدعا علامة مجردة نصبها الله تعالی للثانیة علی قضا الحاجة
متی وقع العبد للدعا کان ذلک علامة له للثانیة علی ان حاجته
قد قضیت وهذا اذا اراد انما عنما اشود مجردا فی زمن
المشا فان ذلک دلیل وعلامة علی انه سقط والواهکذا
حکم الطاعات مع الثواب والکفر والمعاصی مع العقاب
هی امارات محضة لوقوع الثواب والعقاب لا انها اسباب
له وهکذا عندهم الکسر مع الانکسار والحرق مع الاحتراق
والارهاق مع القتل لیس شی من ذلک سببا البتة
لارتباط عندهم بما ترتب علیه الاجر والاقتران
العادی لا التاثیر السببی وخالفوا بذلک الحس والعقل
الشرع والفطرة وشایر طوائف العقلا بل الضحکوا علیهم
العقلا والعوام ان ههنا قسما ثالثا غیر ما ذکرتم
السائل وهو ان هذا المقدور قد ترتب سبابه ومن

اسبابه الدعا فلم تقدر مجردا عن سببه لکن قد یتشعب
ممتنی الی العبد بالسبب فیقع المقدور وقد یمنع بالسبب
اسفل المقدور وهذا کما قدر الشبع والری بالاکل والشرب
وقدر الولد بالوطی وقد یحصل الزرع بالبذر وقد
خروج نفس الحیوان عند بحمولة ذلک قد یدخل الجنة
بالاعمال ودخول النار بالاعمال وهذا القسم هو الحق وهو الذی
جرمه السائل ولم یوفه حصه فالدعا من اقوی الاسباب
فاذا قدر وقوع المدعو به فالعالم یجب ان یقال لا فائدة
فی الدعا کما لا یقال لا فائدة فی الاکل والشرب وجمیع
الحرکات والاعمال لیس شی من الاسباب انفع من
الدعا ولا ابلغ فی حصول المطلوب ولما کان الصحابة رضی الله
عنهم اعلم الامة بالله ورسوله افقههم فی دینه کانوا اقوم
بهذا السبب وشروطه واداه من غیرهم وکان عمر رضی الله
عنه یستنصر علی عدوه وکان اعظم جنده وکان یقول
لاصحابه لستم تنصرون بکثرة وانما تنصرون من السماء
وکان یقول انی لا احمل هم الاجابة لکن احمل هم الدعا
فاذا الهمت الدعا فان الاجابة معه واخذ الشاعر هذا
لو لم یرد سبل ارجا الطلبة من جود لفعل ما عودتنی الطلبا
من الهم الدعا فقد اردت به الاجابة فان الله سبحانه یقول

فظه فقال

ادعونی استجب لکم وقال واذا سألک عبادی عنی فانی
قریب اجیب دعوة الداع اذا دعانی وفی سنن ابن ماجة
من حدیث ابی هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم
من لم یسأل الله یغضب علیه وهذا یدل علی ان رضاه فی سؤاله
وطاعته واذا رضی الرب تبارک وتعالی رضی کل خیر فی رضاه
کما ان الاثم فی سخطه وقد دل الامام احمد فی کتاب الزهد
انزا انا الله لا الٰه الا انا اذا رضیت لیس لرضای منتهی واذا
غضبت لعنتی تبلغ السابع من الولد وقد دل العقل
والنقل والاطراد والاجماع علی اختصاص کل منها
وعلیها علی ان التقرب الی رب العالمین وطلب رضاه انما
الاحسان الی خلقه من اعظم الاسباب الجالبة لکل
خیر واصدادها من اکبر الاسباب الجالبة لکل شر
فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل طاعته
والتقرب الیه والاحسان الی خلقه وقد رتب الله سبحانه
حصول الخیرات فی الدنیا والاخرة وحصول الشرور فی
الدنیا والاخرة فی کتابه علی الاعمال ترتیب الجزاء علی الشرط
والمعلول علی العلة والمسبب علی السبب وهذا فی القرآن
یزید علی الف موضع فمن راجع الحکم الخبری والامری

الزکوة

والامر المشهد علی الوصف المناسب لکفی ان قال فلما عتوا عما نهوا عنه
قلنا لهم کونوا قردة خاسئین وقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم وقوله
والسارق والسارقة فاقطعوا ایدیهما وقوله ان المسلمین والمسلمات
الآیة وهذا کثیر جدا وقد رتبه علیه بصیغة الشرط والجزاء الذی له
ان تتقوا الله یجعل لکم فرقانا ویکفر عنکم سیئاتکم ویغفر لکم وقوله
فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزکاة فاخوانکم فی الدین
وقوله وان لو استقاموا علی الطریقة لاسقیناهم ماء غدقا
وبطاء وتارة یأتی بلام التعلیل لقوله لیذیقهم بعض الذی
اذلوا الالباب وقوله لتکونوا شهداء علی الناس وتارة یأتی
بالی الدالة علی التعلیل لقوله لئلا یکون دولة بین الاغنیاء
منکم وتارة یأتی بباء السببیة لقوله فلکل ما قدمت ایدیکم
وقوله بما کنتم تعلمون وقوله بما کانوا یکسبون وقوله ذلک
بانهم کفروا بایاتنا وتارة یأتی بالمفعول لاجله طاهرا ومحذوفا
لقوله وجعلنا من بین ایدیهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشیناهم
فهم لا یبصرون ومن المعلوم ان احدهما الاخر وقوله ان یقولوا
ان ظننا الا خرصا وقوله ان یقولوا ما انزل الله علی
لما بشر من قبلنا ای کراهة ان یقولوا وتارة یأتی

بنا السببيه لقوله فكذبوهما فعقرواها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم
فسواها وقوله فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابيه
وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين وتطاير وثمارة ما تى
ما داله لما الدالة على الجزا لقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم وتطايره
وثمارة مائن وما علمت فيه لقوله انهم كانوا يارعون في الخيرات
وقوله بل صدهولاء انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
وثمارة مائي مادل لولا الدالة على انتفاء الثاني لوجود ما قبلها بما بعدها لقوله
فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
وما ثم دال الدالة على الشرط لقوله لو انهم فعلوا ما يوعظون
به لكان خيرا لهم وبالجمله فالقرآن مملو من اول الى اخره من ترتب
الجزا بالخير والشر والاحكام للكونيه الامريه على الاسباب
بل ترتب احكام الدنيا والاخره ومصالحهما ومفاسدهما
على الاسباب في الاعمال ومن تفقه في هذه المسئله وتاملها
حق التامل انتفع بها غاية الانتفاع ولم يشكل عليه القدر جملة النفع ؟
منه وعجزا وتفريطا واضاعة توكله عجزا وعجزه توكلا
بل الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر
بالقدر ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الانسان ان يعيش
الا بذلك فان الجوع والعطش البرد انواع المكاره

والمكاره من القدر والخلق كلهم سائعون في دفع هذا القدر
بالقدر وهكذا من وفقه الله وارشده يدفع قدر
العقوبه الاخرويه بقدر التوبه والايمان والاعمال الصالحه فهذا
وان القدر المخوف في الدنيا والاخره سواء فرب الدارين
واحد وحكمته واحده لا يناقض بعضه بعضا ولا يبطل بعضه
بعضا فهذه المسئله من اشرف المسائل لمن عرف قدرها
ورعاها حق رعايتها والله المستعان ولكن بقي عليه اثنان
بهما تتم سعادته وفلاحه احدهما ان يعرف تفاصيل اسباب
الشر والخير وتكون له بصيره في ذلك بما شاهده في العالم وما جرى
في نفسه وعرفه وما سمعه من اخبار الامم قديما وحديثا ومن
اعظم ما في ذلك تدبر القرآن فانه يدلك على اكمل الوجوه وافيد
اسباب الشر والخير جميعا مفصله مبينه ثم السنه فانها
شقيقه القرآن وهي الوحي الثاني ومن عرف ما بينه عنايته
اكثر ما في غيرهما وهما يريانك الخير والشر واسبابهما حتى كانك
تعاين ذلك عيانا وبعد ذلك اذا تاملت اخبار الامم وايام
الله في اهل طاعته واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن
والسنه ورايته تفاصيل ما اخبر الله به ووعد به وعلمت من اياته

في الافاق ما يدل على ان القرآن حق وان الرسول حق وان الله يجزي وعده لا محالة ظاهر لتفصيل الجزئيات ما عرفنا الله ورسوله به من الاسباب الجلية للخير والشر **فصل الامر الثاني** ان يحذر منها لتحفظ نفسه لاعلى هذه الاسباب وهذا من اهم الامور فان العبد يعرف ان المعصية والغفلة من الاسباب المضرة له في دنياه لعقبه ولا بد ولكن يغالطه الشيطان على عفو الله ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة تارة وبالاستغفار باللسان تارة وبفعل المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه والنظراء الى غير ذلك من الاكاذيب المكشوفة وليت شعري من اين لكثير من الناس ان يطمئن له قلبه على ما فعل قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقد عفا الله عن كثير من الناس وكم من الناس من يطمئن له قلبه على ما فعل وقال لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما افعل واقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وقال لي احسن من هذا هل يكون منا احدنا اذا فعل ما يفعل اغتسل وطاف بالبيت اسبوعا وقد محي عنه ذلك وقال لي اخرج عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذنب عبد ذنبا

فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفر لي فغفر له ذنبه ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا اخر فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفر لي فقال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع ما شاء قال وانا لا استبعد ان لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد تعلق بنصوص الرجاء وانزل عليها وتعلق بها كلما بدا له واذا عوتب على الخطايا والانهماك في ذلك سرد ذلك ما حفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء والكمال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب لقول بعضهم

وكم ما استطعت من الخطايا ... اذا كان القدوم على كريم

وقول الاخر

وقول الاخر

وقال ابو محمد حزم رأيت بعض هؤلاء يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من العصمة ومن هؤلاء للمغرور من من يتعلق بمسئلة الجبر وان العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو مجبور على فعل المعاصي ومن هؤلاء من يغتر بمسئلة الارجاء وان الايمان هو مجرد التصديق والاعمال ليست من الايمان وايمان افسق الفاسقين

كايمان جبريل وميكائيل ومن هولا من يعتريه الفقر والمشايخ
والمحاجز ولذته الزهد الى تبورهم النضوع الى الله والاستشفاع
بهم الى توسل الى الله بهم وسوالهم عليه وحرمتهم عنده ومنهم من
يعتريه بايته واسلافه وان لم يعد الله منكرا وصلاحا لا يدعون
ان يخلصوه كما شاهدنا حضر الملوك فان الملوك تهب
لخواصهم ذنوب ابنايهم واقاربهم اذا وقع لاحدهم ان امر فقط
خلصه ابوا وجهه بجاهه ومنزلته ومنهم من يعتقد بان الله عز وجل
غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في ملكه شيئا ورحمته لا تنقص
من ملكه شيئا فيقول انا محتاج الى رحمته وهو غني الاغنيا
ولو ان فقيرا مسكينا متضرعا الى شريف عند من في ذلك
شطر جزي لما منعه فانه الكريم واسع فالمحقق لا تنقصه
شيئا والعفو لا تزيد في ملكه شيئا ومنهم من يعتقد بفهم فاسد
فهمه هو اضر به من نصوص القرآن في السنة فانكلوا علمه كما قال
بعضهم عل قوله تعالى ليغفر لك ربك ما تقدم وما تاخر هو لا
يرضى ان يكون احد من امته في النار وهذا رأي قبيح جهل
وانما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه
الامارة بالسوء وجهله وهو ان سحابة لفظ الكريم وهو السيد
العظيم الجواد الذي لا ينبغي الاعتذار له اهمال حقه فوضع هذا
المعنى الفرد في غير موضعه اعني من لا ينبغي الاعتذار له وكاعتذار

فحاشى رسوله ان لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وكانكار بعضهم عل
قوله لنراه يغفر الذنوب جميعا وهذا ايضا راجع الجهل فان السترك
داخل في هذه فانه اعظم الذنوب واساسها لاحاطة ان هذه الاية
في حق التايبين فانه يغفر ذنب كل تايب اي ذنب كان ولو كانت هذه الاية
في حق التايبين فقط لطلت نصوص الاعيد كلها واحاديث اخراج
قوم بسبب الحديث من النار بالشفاعة وهذا انما اتى صاحبه
من قلة علمه وفهمه فانه سبحانه عم اطلق فعلم انه اراد التايبين دون
سوء التساخص وقيد فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اخبر سبحانه انه لا يغفر الشرك
واخبر انه يغفر ما دونه لو كان هذا في حق التايب لم يفرق بين الشرك
وغيره وكاعتذار بعض الجهل لقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم فيقول كريم وقد نعول بعضهم انه اقر المغتر بحمقه وهذا
جهل قبيح وانما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه
الامارة بالسوء وجهله وهو ان سحابة لفظ الكريم وهو السيد
العظيم الجواد الذي لا ينبغي الاعتذار له اهمال حقه فوضع هذا
المعنى الفرد في غير موضعه اعني من لا ينبغي الاعتذار له وكاعتذار
بعضهم بقولهم ان النار لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى

ولم يدر هذا المعتزلي أن قوله فاتقوا النار التي هي لهم خصوصية من
جملة من كان جهنم ولو كانت جميع جهنم هي سبحانه لم تقل لا تدخل فإن قال
لا تصلاها إلا الأشقى ولا يلزم من عدم صليها عدم دخولها فإن
الصلي أخص من الدخول ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم ثم إن هذا المعتزلي
لو تأمل الآية التي بعدها لعلم أنه عبد داخل فيها فلا يكون مضمونها له
أن يخلد وأما قوله في النار أعدت للكافرين فقد قال في الجنة أعدت
للمتقين ولا ينافي إعداد الجنة للمتقين أن يدخلها من ليس منهم
وربما يستدل لهذا المعتزلي بما ثبت في الصحيحين أن رجلا كان يصوم يوم
الدهر ويقوم الليل كل ليلة وكان بعضهم يصوم يوم عاشوراء
ويوم عرفة حتى يقول بعضهم يوم عاشوراء لعل الذنوب للعام كلها
وبنفس صوم يوم عرفة زيادة في الأجر ولم يدر هذا المعتزلي أن صوم
رمضان والصلوات الخمس أعظم وأجل من صيام يوم عرفة ويوم
عاشوراء وهي إنما تكفر ما بينها إذا اجتنبت الكبائر ورمضان
إلى رمضان لا تكفر إلا الكبائر لا الصغائر وترك الكبائر
إنما يحصل بمجموع الأمرين على كفر الصغائر فكيف تكفر صوم يوم
تطوع عمل ليس عليه العبد وهو مصر على عشرات بينها هذا
محال على أنه لا يمتنع أن يكون صوم يوم عرفة ويوم عاشوراء
مكفرا الجميع ذنوبه العام على عمومه ويكون من خصوص الوعد الذي لها

شروطه موانعه ويكون أصله على الكبائر بما فيها من التكفير فإذا لم
يقع على الكبائر بمساعدة الصوم وعدم الانفراد وتعاونا على
عموم التكفير كما أن رمضان والصلوات الخمس مع اجتنابات
الكبائر يتساعدان متعاونتين على تكفير الصغائر مع أنه سبحانه قيد
فقال إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فعلم
أن حمل الشيء سببا للتكفير لا يمتنع أن يتساعد هو وسبب
آخر على التكفير ويكون المكفر مجموع الأمرين أقوى وأتم من
مجرد انفراد أحدهما وكلما قويت أسباب التكفير كان أقوى
وأتم وأشمل وكان بعضهم على قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا
عن ربه إنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء يعني ما
كان في ظنه فإني فاعله ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون
مع الإحسان فإن المحسن حسن الظن بربه أنه يجازيه على
إحسانه لا يخلف وعده ويقبل توبته وأما المسيء المصر على
الكبائر الظن المخالفات فإن وحشة المعاصر الظلم والآثام تمنعه
من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فإن العبد
الآبق المسيء الكاتح عن طاعة سيده لا يحسن الظن به
ولا يتاح وحشته الإساءة إحسان الظن أبدا فإن المسيء

مسوحش بقدر اساءته واحسن الناس ظناً بربه اطوعهم له قال
الحسن البصري ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان
الفاجر اساء الظن بربه فاساء العمل وكيف يكون حسن الظن بربه
من هو مشارد عنه حال مرتحل في مساخطه وما احصنه منغمس
للخطيئة قد هان عليه فاضاعه وهان نفسه عليه فارتكبه
اضر عليه وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة وعادا اولياءه
ووالى اعداءه وجحد صفات كماله واسماء الظن بما وصف به نفسه
ووصفه به رسوله وظن بجهله ان طاعته لا تضره وكيف يحسن
الظن به من نظر انه لا تكلم الا بما يزين ولا امر ولا نهى ولا غضب
وتنقال فعال في حق من شمت في تعلق سمعه بعض الحروبات
وهو السر والقول وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
فاصبحتم من الخاسرين فهو لما ظنوا ان الله سبحانه لا يعلم كثيرا
مما يعملون كان هذا الظن هو الذي اهلكهم وهذا
شان كل من جحد صفات كماله وتعرف جلاله ووصفه بما
يزين فاذا ظن هذا انه يدخل الجنة كان هذا اعز امر وحد لها
من نفسه وتسويلا من الشيطان لا احسان ظن به فتامل
هذا الموضع وتامل حاجة الخلق اليه كيف يجتمع في قلب العبد

تيقنه بانه ملاق الله وان الله سمع كلامه ويرى مكانه ويعلم سره
وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من امره وانه موقوف بين يديه وسؤول
عن كل ما عمل وهو مقيم على ما ساخطه مضيع لما اوجب عليه لحقوقه
وهو مع هذا يحسن الظن به وهل هذا الا من خدع النفوس
وغرور الامانى وقد قال ابو امامة بن سهيل بن حنيف دخلت
انا وعروة بن الزبير على عائشة رضي الله عنها فقالت لو رايتما رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عندكن ينعت دنانير او سبعة
فامرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افرقها فقالت فشغلني وجع
النبي صلى الله عليه وسلم حتى عافاه الله ثم سالني عنها فقال ما فعلت
الدنانير في البيت الداخل قلت لا والله لقد كان شغلني وجعك
قالت فدعا بها فوضعها في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه
عنده ولفظ ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده فيا لله يا ظن
اصحاب الكبائر الظلم بالله اذا القوه ومظالم العباد عندهم
فان كان يشفعهم فولهم حسنا ظنوا بربنا بل اجدر ظالم ولا
قاسوا ظلم العبد ما يتنازل ويتكرم كما وصفه الله عنه ولحسن
ظنه بالله فان الناس لا يحمده فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد
وقد قال ابراهيم لقومه افكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين

اي ما نظلم به ان تفعل بكم اذا اقتضى وقد عدم غيره ومن تامل هذا
الموضع حق التامل علم ان حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه
فان العبد انما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه ان يجازيه على
اعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن
فكلما حسن ظنه حسن عمله والا فمحسن الظن مع اتباع الهوى
عجز وكان الرجاء المسند من حديث شداد بن اوس عن النبي
صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله والجملة فحسن الظن
انما يكون مع اقتضاء واسباب النجاح وانتفاء اسباب
المنع ولا ينافي ذلك حسن الظن فان قيل هل يباح ذلك
ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده
وان رحمته سبقت غضبه وانه لا تنفعه العفو به لانضم الى عفو
قيل الامر هكذا والله موفق لذلك والعلم اكرم الاجواد وارحم ولكن
اسماؤه الحسنى في محل اللائق به فانه سبحانه موصوف بالحمد والعز
والانتقام وشديد البطش وعفوه من يستحق العفو به فلو كان
معول حسن الظن على مجرد صفاته واسمائه لاشترك في ذلك
البر والفاجر والمؤمن والكافر وليس كذلك فان المحرم

اسمائه وصفاته وقد يأتي بسخطه وغضبه ويتعرض للعقوبة واذا صح
في بحاريه وانها تجري على حسن الظن بتقي من تاب وندم وقلع
وبدل السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالجد والطاعة ثم حسن
الظن فيه حسن الظن الاول غرور وامن المستعان ولا
يستطاع هذا الفصل فان الحاجة الله شديدة لكل احد فقد فرق
بين حسن الظن بالله وبين العزة به قال تعالى ان الذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فجعل
هؤلاء اهل الرجاء لا البطالين والفاسقين وقال تعالى ان ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك
من بعدها لغفور رحيم فاخبر سبحانه انه بعد هذه الاشياء
غفور رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء مواضعه والجاهل
المغتر يضعه في غير مواضعه فضل كثير
من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه وضيعوا امره
ونهيه وسنوا له شديد العقاب وانه لا يرد بأسه عن
القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الاصرار فهو كالمعاند
قال معروف من جاد لله من لا تطبعه في الخلاف والحق
وقال بعض العلماء من قطع عضوا منذ في الدنيا سئل في

وهاجروا

ثلاثة دراهم لاتامن ان يكون عقوبته في الاخرة على نحو هذا وقيل
للحسن نزال طويل البكا فقال لخاف ان يطرحني في النار ولا
يبالي وسال رجل الحسن فقال يا ابا سعيد كيف لصنع بحالتي
لوام يخرجوني ناحي يكادفلونا يطير فقال والله لان تحت اقوا ما
يخوفونك حتى يدرك امنا خير من ان تحت قوما يومنونك حتى
تلحقك المخاوف وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاي الرجل يوم
القيمة فلوى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور في النار
كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان
ما اصابك الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول
كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن المنكر واتيه وذكر
الامام احمد من حديث ابي رافع قال مر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالبقيع فقال اف لك اف لك فظنت انه يريدني فقال
لا ولكن هذا فلان دعته ساعيا على آل فلان فغل نمرة
فدرع الان مثلها من نار وذكر مسند ايضا من حديث انس
ان مالكا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة
اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت

من هولا فقالوا خطبا من اهل الدنيا كانوا ياموون الناس بالبر
وينسون انفسهم افلا يعقلون وقيل ايضا من حديثه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار
من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هولا يا جبريل
فقال هولا الذين كانوا ياكلون لحوم الناس ويقعون في
اعراضهم وقيل ايضا عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر
ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول
الله امنا بك وبما جيت به فهل تخاف علينا قال نعم ان
القلوب بين اصبعين من اصابع الله تقلبها كيف شاء وقيل
ايضا عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما لي
لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك منذ خلقت النار
وفي صحيح مسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى
يا نعم اهل الدنيا من اهل النار فيصبغ في النار صبغة
ثم يقال له يا بن ادم هل رايت خيرا قط فيقول لا والله
يا رب ويوتى باشد الناس بوسا في الدنيا من اهل الجنة
فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له يا بن ادم هل رايت
بوسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب

ما مرّ بي نوتس قط ولا راءته قط وفي المسند من حديث البراء بن
عازب قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار
فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا
حوله كان على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الارض فرفع
رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا
ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال
من الاخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم
الشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى
يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه
فيقول اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله
ورضوان فتخرج تسيل كما يسيل القطر من في السقاء فيأخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها
في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت
على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة
الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان باحسن
اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به الى السماء
فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء

التي تليها حتى ينتهي به الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا
كتاب عبدي في عليين واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم
وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى قال فتعاد روحه
في جثته فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي
الله عز وجل فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له
ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له
وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي
مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه
من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها
ويفسح له في قبره مد بصره قال وياتيه رجل حسن الوجه حسن
الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك هذا يومك
الذي كنت توعد فيقول من انت فوجهك الوجه الذي يجيء
بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة رب اقم
الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال وان العبد الكافر اذا كان
في انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه من السماء
ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد
البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتها

النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق في
جسده فتنزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فياخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك
المسوح ويخرج منها كانتن جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون
بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح
الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التي كان يسمى
بها في الدنيا حتى ينتهي بها الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الارض
السفلى فيطرح روحه طرحا ثم قرا ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق
فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيقولان له من ربك
فيقول هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول هاه
هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول
هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي
فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى
النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى

تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن
الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد
فيقول ومن انت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر فيقول انا
عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا
ثم يقيض له اعمى اصم ابكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبلا كان ترابا
فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه
ضربة اخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الثقلين قال البراء
ثم يفتح له باب من النار ويمهد له من فرش النار وفي
المسند ايضا عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اتى على جماعة فعال على ما اجتمع هؤلاء فقيل على قبر يحفر فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقنا بركبتيه فاستشرف اصحابه فرأى قبرا حتى
انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته لانظر ما يصنع
فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم اقبل علينا فقال اي
اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا وفي المسند من حديث البراء
قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فناداه
ثلث مرات يا معشر الناس تدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله
ورسوله اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا له
ان يأتيهم فبعثوا رجلا يرتاد لهم فانصب العدو فاقبل ليبشر

وحشى ان مدرك الحد وقيل ان بند وقومه فاهوى بثوبه اه
الماء ان ينيم اه الماء ان ينيم ثلث ثرات وفي صحيح مسلم من حديث
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما اسكر حرام ان على
الله عز وجل عهدا لمن شرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال
قيل وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار
وفي المسند ايضا من حديث ابن دينار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها
ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك ساجد لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله عز وجل
قال ابو ذر اه لوددت اني شجرة تعضد وفي المسند ايضا
من حديث حذيفة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شفيره فجعل يتردد
بصره فيه ثم قال ان المؤمن فيه ضغطة ثم ترسل مع حامله
ويملا على الكافر نارا والحامل عرق الاشقين وفي المسند ايضا
من حديث جابر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سعد بن معاذ حين توفي فلما صلى عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووضع في قبره وسوي عليه سبح رسول الله صلى

صلى الله عليه وسلم فسبحنا طويلا ثم كبر فكبرنا فقيل يا رسول الله لم
سبحت ثم كبرت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج
الله عنه وفي صحيح البخاري من حديث ابي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على
اعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني قدموني وان
كانت غير صالحة قالت يا ويلها اين تذهبون بها يسمع صوتها
كل شيء الا الانسان ولو سمع الانسان لصعق وفي مسند
الامام احمد من حديث ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عذوا السمن يوم الثلثاء فان رسل ويزاد في حرها كذا وكذا
تفل منها الرؤس كما تفل الفدر ويعرقون فيها على قدر خطاياهم
منهم من يبلغ الى عقبيه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ
الى وسطه ومنهم من يلجمه الرشح وفيه عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى
جبهته يسمع متى يؤمر فينفخ فقال اصحابه كيف نقول قال قولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وفي المسند ايضا عن
ابن عمر رفعه من غظ في نفسه او اختال في مشيته لقي الله
تبارك وتعالى وهو غضبان ويل للعجين عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ان المصورين يعذبون يوم القيمة ويقال لهم
احيوا ما خلقتم وفيها عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان احدكم اذا
مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن
اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار ويقال
هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل يوم القيمة وفيها
ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار جيء بالموت حتى يوقف بين الجنة والنار
ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا
اهل النار خلود ولا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم
وتزداد اهل النار حزنا الى حزنهم وفي المسند عنه قال من
اشترى ثوبا بعشرة دراهم منها درهم حرام لم تقبل الله صلاة ما
دام عليه منه اذهل اصبغ به اذنيه ثم قال صمتا ان لم اكن
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله ونبه عن عبد الله بن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة سكرا مرة واحدة
فكانما كانت له الدنيا وما عليها فسلبها ومن ترك الصلاة
سكرا اربع مرات كان حقا على الله ان يسقيه من طينة
الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد

اهل جهنم وفيه ايضا مرفوعا من شرب الخمر سلبه الله
له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم
يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان مات مات الله عليه ولا
ادري في الثالثة او الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله ان
يسقيه من ردغة الخبال الغيه منه وفي المسند ايضا من
حديث ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
مدمنا للخمر سقاه الله من نهر الغوطة قيل وما نهر الغوطة
قال نهر يجري من فروج المومسات يوذي اهل النار ريح
فروجهن وفيه ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس
يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير
واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه
واخذ بشماله وفي المسند ايضا من حديث ابن مسعود قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايا كم ومحقرات الذنوب
فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وضرب لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثلا لمثل قوم نزلوا ارضا فلاة فحضر صنيع القوم
فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل بالعود حتى جمعوا
سوادا فاججوا نارا فانضجوا ما قذفوا فيها وفي الصحيح من حديث

ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون
انا اول من يجيز دعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وحافتيه
كلاليب مثل شوك السعدان تخطف الناس باعمالهم
فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء
بين العباد واراد ان يخرج من النار من اراد ان يرحم
ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملائكة ان يخرجوهم
فيعرفونهم بعلامة اثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل من
ابن ادم اثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء
يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل
وفي صحيح مسلم عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اول الناس يقضى فيه يوم القيمة ثلاثة رجل استشهد فاتي
فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى
قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جريء فقد قيل ثم امر به
فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه
وقرا القران فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها
قال تعلمت العلم وعلمته وقرات فيك القران قال كذبت
ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرا القران

فقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي
في النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله
فاتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال ما تركت
من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت
ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على
وجهه حتى القي في النار وفي لفظ فنهد اول خلق الله تسعر بهم
النار يوم القيمة وسمعت شيخ الاسلام يقول
كما ان شر الناس الانبياء فشر الناس من تشبه بهم من
الكهان والسحرة وادعياء النبوة ونحوهم ولبس منهم وخير الناس بعدهم العلماء
والشهداء المصدقون المخلصون شر الناس من تشبه بهم
يوهم انه منهم وليس منهم وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة من مال او
عرض فليتحلله منه قبل ان يوخذ وليس عنده دينار
ولا درهم فان كانت له حسنات اخذ من حسناته فاعطيها
هذا الا اخذ من سيئات هذا فطرحت عليه ثم طرح في النار
وفي الصحيح من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من اخذ
شبرا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيمة الى سبع

او نحس دنى المحتضر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نادم
هذا جبل الذى يوقف بنو ادم جزء من احد وسبعين جزءا من نار
جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها قد فضلت عليها
بتسعة وستين جزءا اهلهن مثل حرها وفى المسند عن معاذ
قال اوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشرك بالله
شيئا وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان امراك
ان تخرج من اهلك ومالك ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا
فان من ترك صلاة مكتوبة فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن
خمرا فانه راس كل فاحشة واياك والمعصية فان المعصية
تحل سخط الله واجتنب الزنا فى هذا الباب اصحابى اصحابى
ما ذل من ذل ولا عز من عز نفسه ان يتعاطى عنها ومن سهل
نفسه فى المعاصى وتعلق بحبل الرجاء وحسن الظن قال
ابو الوفا بن عقيل احدهم لا تخفره قال قطع الله فى
ثلاثة دراهم وجلد الحد من مثل راس الابرة فى الجهل وقد
دخلت امراة النار فى هرة واشتعلت النار على من
عليها وقد قتل شهيدا وقال الامام احمد شنا ابو معوية
شنا الاعمش عن سلمان بن مسهر عن طارق بن شهاب رفعه

قال دخل رجل الجنة فى ذباب قالوا وكيف ذلك يا رسول الله
قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئا
فقالوا لاحدهما قرب قال ليس عندى شئ قالوا له قرب ولو ذبابا
فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للاخر قرب
فقال ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه
فدخل الجنة وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوى بها فى النار
ابعد ما بين المشرق والمغرب وربما اقل بعض المعترين على ما يرى من
نعم الله عليه فى الدنيا وانه لا يعتريه وظن ان ذلك من يحبه الله له
وانه يعطيه ذلك وهذا افضل من ذلك وهذا من الغرور قال الامام
احمد شنا يحيى بن علان شنا رشدين بن سعد عن حرملة عن ابن
الحسحى عن عبد بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال اذا رايت الله عز وجل يعطى العبد من الدنيا على معاصيه
ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به
فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون وقال بعض السلف اذا رايت الله تعالى يتابع عليك
نعمه وانت مقيم على معاصيه فاحذره فانما هو استدراج بمسلم
به وقد قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن

يكفر بالخمس ليتوبهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع
الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقد وسع الله على من
ظن هذا الظن بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
ونعمه يقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
فيقول ربي اهانني كلا اي ليس كل من نعمته وسعته
عليه رزقه الوان قد ارخته لاكل من ابتليته ضيقت عليه
رزقه الوان قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعمة واكرم هذا بالابتلاء
وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من
يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال بعض السلف
رب مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله عليه
وهو لا يعلم ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم

فصل

واعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا وعاجلها فاثرها على الاخرة
وارضى من الاخرة بان يقول بعضهم هو لا الدنيا نقد والاخرة
نسيئة والنقد انقد من النسيئة ويقول بعضهم ذرني منقودة
ولا اترك موعودا ويقول اخر منهم لذات الدنيا متيقنة ولذات
الاخرة مشكوك فيها ولا ادع النقد بالنسك وهذا من اعظم

تلبيس الشيطان وتشبيهه بالبهائم البهيمة اعقل من هؤلاء فان
البهيمة اذا خافت مضرة شيء لم تقدم عليه ولو ضربت وهؤلاء يقدم
احدهم على عطبه وهو بين مصدق ومكذب فهذا الذي ان
امن احدهم بالله ورسوله ولقائه والجزاء وهو من اعظم الناس
حسنة لانه اقدم على علم وان لم يومن بالله ورسوله فما بعد له
وقول هذا القائل النقد خير من النسيئة جوابه
انه اذا تساوى النقد والنسيئة فالنقد خير وان تفاوتا
وكانت النسيئة اكثر وافضل فهي خير كيف والدنيا كلها من
اولها الى اخرها كنقد واحد من انفاس الاخرة كلها
وفي مسند الامام احمد والترمذي من حديث المستورد بن
شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة
الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع فانظروا هذا
النقد على هذه النسيئة من اعظم العجز واقبح الجهل واذا كان هذا
تشبيه الدنيا بجملتها الى الاخرة مما تقدر اعمار الانسان
بالنسبة الى الاخرة فانما اولي العاقل ايثار العاجل في هذه
المدة اليسيرة حرمان الخير الدائم في الاخرة ام ترك شيء صغير
حقير منقطع عن قريب ليأخذ ما لا يقيم له الاخطر له الا ما به

لعبده ولا عابه لامره فأما قول الاخر لا انرك متبعا المشكوك
فيه فيقال اما ان يكون على شك من وعد الله ووعيده وصدق
رسله او يكون على يقين من ذلك فان كنت على يقين من ذلك
فما تركك للاذى عاجلا منقطعا فانيا عن قرب لامر
متيقن لا شك فيه ولا انقطاع له وان كنت على شك فراجع
لعلمك الرب تعالى الذاكر على وجوده وقدرته ومشيئته و
وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به عن الله وتجرد
وقم لله ناظرا او مناظرا حتى يتبين لك ان ما جاء
به الرسل عن الله فهو الحق الذي لا شك فيه وان خالق
هذا العالم ورب السماوات والارض يتعالى ويتقدس
وينزه عن خلاف ما اخبرت به رسله عنه ومن نسبه الى
غير ذلك فقد شتمه وكذبه وانكر بوبيته وملكه اذ
من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة ان يكون
الملك الحق عاجزا او جاهلا لا يعلم شيئا ولا يسمع ولا
يبصر لا يتكلم ولا يامر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا
يغني من يشاء ويذل من يشاء ولا يرسل رسله الى اطراف
مملكته ونواحيها ولا يعتني باحوال رعيته بل تركهم سدى

ويخلقهم هملا وهذا يقدح في ملك احاد طول البشر فلا يليق
به كيف يجوز نسبته الملك الحق المبين الى الله اذا تامل الانسان
حاله من مبدا كونه نطفة الى حين كماله واستوائه
تبين له ان من عنى به هذه العناية ونقله في هذه الاطوار
وصرفه في هذه الاطوار لا يليق به ان يهمله ويتركه سدى
لا يامره ولا ينهاه ولا يرتب جزاءه على الايمان به والعمل به
ولو تامل العبد حق التامل لكان كلما ابصره وما لا يبصر
دليلا على التوحيد والنبوة والمعاد وان القرآن كلامه
وقد ذكرنا وجه الاستدلال بذلك في كتاب الايمان
القرآن عند قوله ولا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
انه لقول رسول كريم وذكرنا طرفا من ذلك عند
قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وان الانسان دليل
لنفسه على وجود خالقه وتوحيده وصدق رسله
واثبات صفات كماله فقد بان المصنوع معتذرا على
التقدير بين بتقدير صانعه وتعيينه وتقديره تكذيبه
وشكه فان قلت كيف يجتمع التصديق الجازم
الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار وتخلف العمل

وهل في الطباع المستبه ان يعلم العبد انه مطلوب
غدا الى بين يدي بعض الملوك عاقلا بيقظ لبعاقبته اشد
العقوبه او يكرمه اتم الكرامة ويسعد سعادة ثم لا
يتذكر موقفه بين يدي الملك ولا يستعد له لا ماخذ
له اهتم فقل هذا الحمد لله صحيح اورد على الزنادقة الخلق
فاحتاج بعدم الايمان من اعجب الاشياء وهذا التخلف
لوجوه اسباب احدها ضعف العلم ونقصان اليقين
ومن ظن ان العلم لا سفادت بقوله من اسند
الاقوال وارطلها وقد سال ابراهيم الخليل ربه ان
يريه احيا الموتى عيانا بعد علمه بقدرة الرب
على ذلك ليزداد طمانينة وتصير المعلوم عيانا شهاده
وقد روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس الخبر كالمعاينة واذا اجتمع الى ضعف العلم
عدم استحضاره وغيبته عن القلب في كثير من اوقاته
او الزهاد لاستحالة ما تضاده وانضم الى ذلك تقاضي
الطبع وغلبات الهوى واستيلاء الشهوة وتسويل النفس
وغرور الشيطان واستبطاء الوعد وطول الامد

ورقة الغفلة وحب العاجلة ورخص التاويل والف
العوائد فهنا ك لا يمسك الايمان الا الذين يمسك السموات
والارض ان تزولا ولهذا السبب تفاوت الناس في
الايمان حتى ينتهي الى ادنى مثقال ذرة في القلب
وجاء هذه الاسباب ترجع الى ضعف البصيرة البصر
ولهذا مدح الله سبحانه اهل البصائر واليقين وجعلهم ائمة الدين
فقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
وكانوا بايتنا يوقنون فصل فقد تبين
الوقت ان حسن الظن والغرور وان حسن الظن ان
تحمل على العفو وحيث عليه وساق اليه فهو صحيح وان دعى
الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور وحسن
الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه حاديا له على الطاعة
زاجرا له عن المعصية فهو رجاء صحيح ومن كان بطالة
رجاؤه وحامله بطالة وتفريط فهو المغرور ولو ان
رجلا له ارض توكل ان يعود عليه في مغلها ما ينفعه
فاهملها ولم يبذرها ولم يحرثها وحسن ظنه بانه ياتي
من مغلها ما ياتي من حرث وبذر وسقي وتعاهد الارض

الوزن

لعله الناس من تسفه السفيه ولذلك لو حسن ظنه وقوى
رجاءه بان يحبه ولدين غير رجاء او بصير اعلم اهل زمانه
من غير طلب العلم وحرص تام عليه ولمثال ذلك ولذلك
من حسن ظنه وقوى رجاءه في الفوز بالدرجات العلى
والنعيم المقيم من غير تقرب الى الله بامتثال اوامره
واجتناب نواهيه وبابه التوحيد وقد قال تعالى ان
الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
اولئك يرجون رحمة الله فتامل كيف جعل رجاءهم اتيانهم
بهذه الطاعات وقال المفردون ان المفرط الصعب
الخوف الله المعطل لاوامره الباغض لعباده المحب
لمحارمه اولئك يرجون رحمة الله وستر المسئلة
ان الرجاء حسن الظن انما يكون مع الاتيان بالاسباب
التي افتضت حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وان الله
يثيب العبد اذا حسن ظنه به ويرجوه ان لا يخيبه
الا اذا ان يحمله موصله الى ما ينفعه ويصرفه عما يضره
ويبطل اثرها **فصل** وما يبين ان
يعلم ان من رجا شيئا استلزم رجاؤه وجود احد ها

محبة ما يرجوه الثاني خوفه من فواته الثالث سعيه
في تحصيله بحسب الامكان واما رجاء لا يقارنه شيء
من ذلك فهو من باب الامان فالرجاء شيء والامان شيء
اخر وكل راج خائف والسائر على الطريق اذا خاف
اسرع المسير يخافه الفوات وفي جامع الترمذي من
حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة
الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وهو سبحانه كما جعل
الرجاء لاهل الاعمال الصالحة كذلك جعل الخوف
لاهل الاعمال الصالحة فعلم ان الرجاء والخوف النافع
هو ما اقترن به العمل قال تعالى ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يؤمنون
والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما
اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك
يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقد روى
الترمذي في جامعه عن عائشة قالت سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقلت اهم الذين

يستيقون الخيرات وهم لها سابقون فقال لا بأس انت الصديق
ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون
ان لا يتقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات وقد روى
من حديث ابي هريرة انصاوا الله سبحانه وصف اهل السعادة
بالاحسان مع الخوف ووصف الاشقياء بالاساءة مع
الامن ومن تامل احوال الصحابة رض الله عنهم وجدهم في غاية
العدم غاية الخوف ومن جملتهم بل التقصير بل التفريط
والامن فهذا الصديق يقول وددت اني شعرة في
جنب عبد مؤمن وذكر عنه انه كان يمسك
بلسانه ويقول هذا اوردني الموارد وكان يبكي كثيرا
ويقول ليتني كنت امة لبعض بني فلان وكان اذا قام
الى الصلاة كانه عود من خشية الله عز وجل واني
بطائر قلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من
سجرة الا بما ضيعت من التسبيح لما احتضر قال لعائشة
يا بنية اني اصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذا
الحلاب وهذا العبد فاشرعي ذلك الى ابن الخطاب
وقال والله لوددت اني كنت هذه السنبلة تؤكل

وبعضهم وقال قتادة بلغني ان ابا بكر قال وددت اني شعرة
تاكلني الدواب وهذا عمر بن الخطاب قراسته الورحى تطحن
ان عذاب ربي لواقع بكاء واشتد بكاءه حتى مرض عائده
وقال لابنه وهو الموت ويحك ضع خدي على الارض
عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يغفر لي تلاثا تم قصي
وكان يمر بالاية في وردة بالليل فيخفق فيبقى في البيت
اياما يعاد يحسبونه مريضا وكان بمر وجهه في خطان
اسودان من البكاء وقال له ابن عباس مصت الله
بك الامصار وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت
اني لا نجو لا اجر ولا وزر وهذا عثمان بن عفان رض الله عنه
كان اذا وقف على القبر يبكي حتى تبل لحيته وقال لو
اني بين الجنة والنار لا ادري الى ايهما يؤمر بي لاحببت
ان اكون رمادا قبل ان اعلم الى ايهما اصير وهذا
علي بن ابي طالب رض الله عنه وكان وجوه وكان
يشتد خوفه من اربعة طول الامل واتباع الهوى
فاما طول الامل ينسي الاخرة واما اتباع الهوى فيصد
عن الحق الا وان الدنيا قد ولت مدبرة والاخرة مقبلة

ولكل واحدة بنون فكونوا من ابنا الاخرة ولا تكونوا من
ابنا الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب
ولا عمل وهذا ابو الدرداء كان يقول ان اشد ما
اخاف على يستى يوم القيمة ان يقال لى يا ابا الدرداء قد علمت
فكيف عملت فيما علمت وكان يقول لو تعلمون ما انتم لاقون
بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا
على شهوة ولا دخلتم سقفا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعيد
تضربون صدوركم وتبكون على انفسكم ولوددت اني شجرة
تعضد ثم توكل وكان عبد الله بن عباس اسفل عينيه
مثل الشراك البالى من الدموع وكان ابو ذر يقول
ما لبنى لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولوددت اني لم اخلق وعرض عليه
الفقيه فقال عندما غير نحيلا ولحمى مثقل على العظام ومجرد
يخدمنا وفضل عباءة واني لخاف الحساب فما ترى ايتم
الدارى ليلة سورة الجاثية فلما اتى على هذه الآية ام حسب
الذين في قلوبهم سيئات ان نجعلهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات وجعل يرددها ويبكى حتى اصبح وقال
ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فذبحنى اهلى

واكلوا لحمى وحسوا مرقتى وهذا اناب يطول تتبعه
قال العارفى فى صحيحه ما ـــــ خوف المؤمن
من ان يحبط عمله وهو لا يشعر وقال ابراهيم التيمى ما عرضت
قولى على عملى الا خشيت ان اكون مكذبا وقال ابن ابى مليكة
ادركت ثلثين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف
النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل
وميكائيل ويذكر عن الحسن ما خاف الا مؤمن ولا
امنه الا منافق وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة
بالله انشدك الله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعنى فى المنافقين فيقول لا والله ولا ازكى
بعدك احدا فسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول
ليس مراد ابى لا ابرئ غيرك من النفاق بل المراد لا اقطع
على هذا الباب فكل من سالنى هل سماني لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاركبه قلت وقريب من هذا قول
النبى صلى الله عليه وسلم للذى سأله ان يدعو الله ان
يكون من السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب
سبقك بها عكاشة ولم يرد ان عكاشة وحده الحق بذلك

ممن عدله من العجاله ولكن لودعا لقام احرّ واحرّ وانفع الباقي
وربما قام من لم يستحق ان يكون منهم فكان الامساك
اول والله اعلم فصل فلنرجع الى ما انبأنا عنه
من ذكر دوا الداء الذي اذا استمر افسد دنيا العبد
واخرته فما شعر ان علم ان الذنوب تضر ولا بد ان ضررها
في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها
في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر ودا الا وسببه
الذنوب والمعاصي فما الذي اخرج الابوين من الجنة دار
الله والنعيم والبهجة والسرور الى دار الالام والاحزان
والمصائب وما الذي اخرج ابليس من ملكوت السماء
وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعل صورته اقبح صورة
واشنعها وباطنه اقبح من صورته واشنع وبدل بالقرب بعدا
وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحا وبالجنة نارا تلظى وبالايمان
كفرا وبموالاة الولي الحميد اعظم عداوة ومستقره ومحل
التسبيح والتقديس والتهليل محل اللعن والشتم والذم
والزور والبهتان وبلباس الايمان لباس الكفر والفسوق
والعصيان فما ذل من ذل الا على بساط الهوان وسقط من

عينه

عينه غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تبارك وتعالى
فاهوى ومقته اكبا لمقت فاردى فصار رفاتا الى قاسف
ومحزون على نفسه باقيا ابدا بعد ذلك العباد والنسيان
فعياذا بالله من مخالفة امره وارتكاب نهيه
وما الذي غرق اهل الارض كلهم حتى علا الماء فوق
رؤس الجبال وما الذي سلط الريح العقيم على قوم
عاد حتى القتهم موتى على وجه الارض كانهم اعجاز نخل
خاوية ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم
ودوابهم حتى صارت عبرة للانام الى يوم القيامة وما الذي
ارسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في اجوافهم
وما تواعن اجرامهم وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت
الملائكة نباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عالمها سافلها
فاهلكهم جميعا ثم اتبعهم بحجارة من السماء امطرها
عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على امة غيرهم لاخوانهم
امثالها وما هي من الظالمين ببعيد وما الذي ارسل على
قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق
رؤسهم امطر عليهم نارا تلظى وما الذي اغرق فرعون
وقومه في اليم فنقلهم ارواحهم الى جهنم فالاحساد

للخسف وللاسود والحرق وما الذي خسف بقارون
وداره واهله وما الذي اهلك القرون من بعد نوح
بانواع العقوبات ودمرها مدبرا وما الذي اهلك الاولين
من بعد نوح بانواع صاحب يس حتى حذروا عن اخرهم وما
الذي بعث على بني اسرائيل قوما اولي باس شديد فجاسوا
خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا الذرية والنساء واحرقوا
الديار ونهبوا الاموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا ما
قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرا وما الذي سلط عليهم
انواع العقوبات من بالقتل السبي وخراب البلاد
ومرة بجود الملوك ومرة بمسخهم قردة وخنازير واخر ذلك
افسد الرب تبارك وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
من يسومهم سوء العذاب وقال الامام احمد نا الوليد
ابن مسلم نا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير
ابن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس فرق بين اهلها فجعل
فيكي بعضهم الى بعض رأيت ابا الدرداء جالسا وحده
يبكي فقلت يا ابا الدرداء ما يبكيك في يوم اعز الله فيه
الاسلام واهله فقال ويحك ياجبير ما اهون الخلق
على الله عز وجل اذا اضاعوا امره شاهي امة قاهرة

ظاهرة لهم الملك ترتكوا امر الله فصاروا الى ما ترى
وقال علي بن الجعد انا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت
ابا البختري يقول اخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لن يهلك الناس حتى يعذروا من انفسهم وفي
مسند لعمر من حديث ام سلمة قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصي في امتي
عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله اما
فيهم يومئذ اناس صالحون قال بلى قلت فكيف تصنع
باولئك قال يصيبهم ما اصاب الناس ثم يصيرون
الى مغفرة من الله وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا تزال هذه الامة بخير ما لم يتخذوا دين الله وفيء كفيئه مال
فمال قراوها امراءها وما لم يترك صلحاؤها اشرارها
وما لم يهن خيارها اشرارها فاذا فعلوا ذلك رفع الله
يده عنهم ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب
ثم ضربهم الله بالقاقة والعقز وفي المسند من حديث
ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفيه ايضا عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شك ان يتداعى

ورضوان

عليهم لا يهم من جل انوكا نداى الاجل على قصعة فلما سمع الله
امن قلة منا يومئذ قال انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل
تنتزع المهابة من قلوب اعدائكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا
وما الوهن قال حب الحياة وكراهة الموت وفي المسند من
حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي
مررت بقوم لهم اظفار من نحاس ينهشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس
ويقعون في اعراضهم وفي جامع الترمذي من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان
قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس مسوك
الضان من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب
الذئاب يقول الله عز وجل ابي يغترون وعلي يجترئون فبي
حلفت لاتيحن على اولئك منهم فتنة تدع الحليم فيها حيران
وذكر ابو داود من حديث حفص بن محمد عن ابيه
عن جده قال قال علي يا تي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الناس؟
الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه مساجدهم يومئذ
عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت اديم السماء
منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود وذكر من حديث سمال عن

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه قال اذا ظهر الزنا
والربا في قرية اذن الله عز وجل بهلاكها وفي مراسيل الحسن
اذا ظهر الناس العلم وضيعوا العمل وحابوا بالالسن وتباغضوا
بالقلوب وتقاطعوا الارحام لعنهم الله عز وجل عند ذلك فاصمهم
واعمى ابصارهم وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب
قال كنا عشرة عشر رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال
يا معشر المهاجرين خمس خصال واعوذ بالله ان تدركوهن
ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى اعلنوا بها الا ابتلي بالطواعين
والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ولا نقصوا
من المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور
السلطان وما منع قوم زكاة اموالهم الا منعوا القطر
من السماء فلولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم العهد
الا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم فاخذوا بعض ما في ايديهم
وما لم تحكم ائمتهم بما انزل الله عز وجل في كتابه الا جعل
الله بأسهم بينهم شديدا وفي المسند والسنن من حديث
عمرو بن مرة عن سالم بن ابيه ابي الجعد عن ابي عبيدة بن

عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
من كان قبلكم كان اذا عمل العامل فيهم الخطيئة جاءه الناهي
تعذيرا فاذا كان الغد جالسه وواكله وشاربه كانه لم
يره على خطيئة بالامس فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب
قلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى
ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد
بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن
على يد السفيه ولتأطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق
قصرا او ليضربن الله قلوب
بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم وذكر ابو اسحاق
ابراهيم بن عمرو الصنعاني قال اوحى الله الى يوشع ابن نون
اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا
من شرارهم قال رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار
قال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم
وذكر ابو عمر بن عبد البر عن ابي هريرة قال بعث الله عز وجل
ملكين الى قرية ان دمرها بمن فيها فوجد في وسطها رجلا قائما
يصلي فاستحث فقال يا رب ان فيها عبدك فلانا يصلي فقال
الله عز وجل دمرها وعليه معهم فانه ما تمعر وجهه في قط
وذكر الحميدي عن سفيان بن عيينة قال حدثني سفيان

ابن سعيد عن مسعر بن ملكا امر ان يخسف بقريه فقال يا
ان فيها فلانا العابد فاوحى الله عز وجل اليه ان به فابدا فانه
لم يتمعر وجهه في ساعة قط وذكر ابن ابي الدنيا عن وهب بن منبه
قال لما اصاب داود الخطيئة قال يا رب اعفني قال قد
عفوت عنك الا ان متعة عارها بني اسرائيل قال يا رب كيف وانت
الحليم العدل لا تظلم احدا انا اخطيت وعلى عارها غرى
فاوحى الله اليه انك لما علمت الخطيئة لم يجلوا عليك بالانكار
وذكر ابن ابي الدنيا عن انس ابن مالك انه دخل على عائشة
هو ورجل اخر فقال لها الرجل يا ام المؤمنين حدثنا عن
الزلزلة فقالت اذا استباحوا الزنا وشربوا الخمور وضربوا
بالمعازف غار الله عز وجل في سمائه فقال للارض تزلزلي
بهم فان تابوا وبنوا والا هدمتها عليهم قال يا ام المؤمنين عذابا
لهم قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا وسخطا
على الكافرين فقال ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا استفزعنا من هذا الحديث وذكر ابن ابي الدنيا حدثنا
مرسلا ان الارض زلزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوضع يده على الارض فقال اسكتي فانه لم يأن لك بعد

ثم التفت الى اصحابه فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه فسكت ثم زلزلت
فما اتى على عهد عمر بن الخطاب فقال ايها الناس ما كانت هذه
الزلزلة الا عن شيء احدثتموه والذي نفسي بيده ان عدتم
لاعدت لكم فيما اظن انه اراد ما ذكر من مناقب عمر لانه رأى في الدنيا ان الارض
زلزلت على عهد عمر فضرب يده على فخذه وقال ما لك يا لكع ما لك اما انها
لو كانت الغيمة حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا كان يوم الغيمة فليس في ذراع ولا شبر
الا وهو تطوى وذكر الامام احمد عن صفية قالت زلزلت
المدينة على عهد عمر فقال يا ايها الناس ما هذا انا اسرع ما احدثتم
لان عدتم لاعدنا كلم فيها وقال كعب انما زلزل الارض
اذا عمل فيها بالمعاصي فترعد فرقا من الرب جل جلاله ان
يطلع عليها وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار ان يخرجوا
في يوم كذا واول شهر كذا واول كذا فمن كان عنده شيء
فليتصدق به فان الله عز وجل يقول قد افلح من تزكى
وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال ادم ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقولوا
كما قال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين

وقال الامام احمد ما استودع رجل شيئا او تكرى على الاعمش عن عطاء
ابن ابي رباح عن ابي عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة
واتبعوا اذناب البقر وتركوا الجهاد سلط الله ان لا يرفعه
بلاء لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم رواه ابو داود وابن ماجه
حسن وذكر ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد رأيتنا
وما احد احق بدينار ولا درهم من اخيه المسلم ولقد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس
بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد واخذوا
اذناب البقر انزل الله عليهم بلاء من السماء لا يرفعه عنهم
حتى يراجعوا دينهم وقال الحسن ان العينة الله بما هي
الا عقوبة من الله عز وجل على الناس ونظر حسن ابنا بني
اسرائيل الى ما يصنع بهم تحت نصر فقال بما كسبت ايدينا
سلطت علينا من لا يعرف لنا حرمة ولا يرحمنا وقال تحت نصر لذا تبال
ما الذي تسلطي على قومك قال عظم خطيئتك وظلم قومي انفسهم
وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن ياسر رفعه الى
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد

فتهم اماتت الاطفال واعقم ارحام النساء فتسل التقمه
وليس فيهم مرحوم وعن مالك بن دينار قال قرات في الحكمة
يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي
فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة
فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم ومن راتسل الحسن اذا اراد الله بقوم خيرا
جعل امرهم الى حلمائهم وفيهم عند سخائهم واذا اراد الله بقوم
شرا جعل امرهم الى سفهائهم وفيهم عند بخلائهم وذكر
الامام احمد وعنه عن فضالة قال قال موسى يا رب اين
في السماء ارضى عني الارض فما علامة غضبك من رضاك
قال اذا استعملت عليهم خيارهم فهو من علامة رضاي عنهم
واذا استعملت عليهم شرارهم فهو علامة سخطي عليهم وذكر
ابن ابي الدنيا عن الفضيل بن عياض قال اوحى الله الى
بعض الانبياء اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من
لا يعرفني وذكر ايضا من حديث بن عمر رفعه والذي
نفسي بيده لا يقوم الساعة حتى تبعث الله امراء كذبة
ووزراء فجرة واعوانا خونة وعرفاء ظلمة وقراء فسقة

سيماهم سيما الزهبان وقلوبهم انتن من الجيف اهوائهم مختلفة
يتبع الله لهم فتنة غبراء مظلمة فيها يتهوكون فهذا الذي يمس محمد بيده
لينقصن الاسلام عروة عروة حتى لا يقال الله الله لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فليسومنكم
سوء العذاب ثم يدعو اخياركم فلا يستجاب لهم فلتامرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليتعن الله عليكم لا يرحم صغيركم
ولا يوقر كبيركم وفي معجم الطبراني وغيره من حديث سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طفف
قوم كيلا الا حبسوا عنا الا سقاهم الله عز وجل الغيث وما
ظهر في قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما ظهر في قوم الربا الا
سلط الله عليهم العدو ولا ظهر في قوم القتل الا قتل بعضهم
الا سلط الله عليهم عدوهم ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط الا
ظهر فيهم الخسف وما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر الا لم ترفع اعمالهم ولم يسمع دعاؤهم ورواه بن ابي الدنيا
من حديث ابراهيم بن الاشعث عن عبد الرحمن بن مهدي عن
ابيه عن سعيد به وفي المسند وعن عائشة حديث شعرفة عن
عائشة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد

حفن الشمس فعرفت في وجهه ان قد حفزه شيء فما تم حتى
توضأ وخرج فلصقت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه
ثم قال اما بعد ايها الناس ان الله عز وجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتستنصروني فلا انصركم
وتسالوني فلا اعطيكم وقال ويحهم او ويحكم ما لي رأيتهم عن فعلكم
عن نفسك واعراضك عن الله لا ترى ما يستحق الله سبحانه وله
لا انا ربه ولا انتهى عنه حوقا منه لا يملك ضرا ولا نفعا وقال ما
ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فجاءه من المخلوقين
نزعت منه الطاعة ولو امر دله او بعض ولده لاستخف عقله
وذكر الامام احمد في مسنده من حديث قيس بن ابي حازم
قال قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية
وانكم تضعونها على غير موضعها الا وانا سمعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه
وفي لفظ اذا رأوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله
بعقاب من عنده وذكر الامام احمد عن يحيى بن ابي كثير
عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا اخفيت الخطيئة لم تضر الا صاحبها واذا ظهرت فلم تغير ضرت
العامة وذكر الامام احمد عن عمر بن الخطاب وشك الذي
ان تقوم دهماء فيقل وكيف بدهماء تلك قال اذا ذهبت
محاربها اراذلها وسادالقبيلة لئامها وذكر الامام احمد عن حسان
ابن عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيظهر شرار امتي
على خيارها حتى يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا
اليوم وذكر ابي الدنيا من حديث مرة عن ابن مسعود قال
ما تى زمان تذوب فيه قلوب المؤمن كما تذوب الملح في الماء قيل
ثم ذلك فيما يكون يا رسول الله مما لي يرى من المنكر لا يستطيع
تغييره وذكر الامام احمد من حديث جرير ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اعز والله
ممن يعمله لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب قبل ان يموتوا وذكر عنه صلى الله عليه وسلم
عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب
في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه اهل النار
فيقولون اي فلان ما شانك اليست كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا
عن المنكر قال كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن

واهلم عن المنل وابتدء ذكر الامام احمد عن مالك بن دينار
قال كان حرس من احاديث ليبتدل حتى ينزله الرجال
والنساء يعظهم ويذكرهم بايام الله فاي يوم منه يومًا نعم
النساء فقال مهلًا يا بني فسقط من بيته فانقطع نخاعه وسقطت
امراته وقتل بنوه فاوحى الله الى سهم ان اخرج فلما الجبل
اي لا اخرج من ضلك صدقتنا ابدا ما كان غضبك الى الان
فلك مهلًا يا بني وذكر الامام احمد من حديث عبد الله بن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب
فان مثل عمل الرجل حتى يهلكه وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا ارضا فلاة فحضر
صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل بحز من العود
حتى جمعوا سوادًا واججوا نارًا وانضجوا ما قذفوا فيها وفي
صحيح البخاري عن انس ما الذي قال انكم لتعملون اعمالا
هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا لنعدها على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وفي الصحيحين حديث
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت
امراة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت النار لا هي اطعمتها

ولا سقتها ولا تركتها تاكل من خشاش الارض وفي الحلية لابي نعيم
عن حذيفة انه قتل في يوم واحد مرتكبو اسرائيل دبيهم
قال لا ولكنهم كانوا اذا امر احدهم بشيء تركه واذا نهوا عن شيء
ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه ومن
ههنا قال بعض السلف المعاصي بريد الكفر كما ان الفضله
يريد الجماع والعناق يريد الزنا والنظر يريد العشق والمرض يريد
الموت وفي الحلية ايضا عن ابن عباس انه قال يا صاحب
الذنب لان اكون سوعاتبتك لما منعك الذنب اعظم من الذنب اذا
علمته فلعل حياءك ممن علم السر وعلم الشمائل انت على الذنب
اعظم من الذنب وضحك وانت لا تدري ما الذي صانع بك
اعظم الذنب ورجاء بالذنب اذا طرقت به اعظم والذنب
حزنك على الذنب اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك
من المكر اذا انزلك ستر بابك وامنك على الذنب لا تصطب
فوادك من نظر الله اليك اعظم من الذنب ويحك هل يدري
ما كان ذنب ايوب فابتلاه الله بالبلاء في جسده وذهاب
ماله واشياعه بمسلمين على ظالم بدرهم عنده فلم يعنه لم ابتلي
الظالم على ظلمه فابتلاه الله قال الامام احمد ثنا الوليد

سمعت الاوزاعي يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر
الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت وقال الفضيل بن
عياض يقدر ما تصغر الذنب عندك تعظم عند الله ويقدر
ما تعظم عندك تصغر عند الله وقيل اوحى الله تعالى لموسى يا موسى
ان اول من مات من خلق ابليس وذلك انه عصاني فانما اعد
من عصاني من الاموات وفي المسند وجامع الترمذي
من حديث ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء
في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت
حتى يعلو قلبه ذلك الران الذي ذكر الله عز وجل كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح وقال حذيفة اذا اذنب كان في قلبه نكتة
سوداء حتى يصير قلبه كالشاة الربداء قال الامام احمد ثنا
يعقوب ثنا ابي عن صالح عن شرحبيل حدثني عبد الله بن
عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لنا بعد يا معشر قريش قائم اهل هذا
الامر ما لم تعصوا الله فاذا عصيتموه بعث عليكم من يحاكم

كما في هذا الحديث لقضيب في يده ثم حكى قضيبه فاذا هو ابيض
يصلد وذكر الامام احمد عن وهب ان الله عز وجل قال في
بعض ما يقول لبني اسرائيل اني اذا اطعمت صفيت اذا صفيت
تابعت وليس لرضاي منتهى واذا عصيت لعنت ولعني يبلغ السابع
من الولد وذكر ايضا عن وهيب ثنا ذكريا بن عامر قال لست
عاصيته الى معاودته لما يعلم ان العبد اذا عمل بمعصية الله
عاد لحاجته من الناس ذليلا وذل ابو نعيم عن سالم بن ابي
الجعد عن ابي الدرداء قال لعذر امرء ان تبلغ ذنوب الموحدين
من حبيبه لا تشعرهم قال يدري بم هذا طلاع قال العبد
يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين فحيث لا
تشعر وذكر عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه عن محمد
ابن سنان عن ابي المليح الرقي عن ميمون بن مهران قال
الغم بذنب اصبته بعد توبة سنة وههنا نكتة دقيقة
يغلط فيها الناس في امر الذنب وهي ان العبد اذا عمل بمعصية الله
وقد بقي ما ثمة فينسى ويظن العبد انه لا عقوبة بعد ذلك وان
الامر كما قال القائل اذا لم يعد حارس في فنائه فليس له بعد الوقوع
وسجان الله ماذا اهلكت هذه البلية من الخلق وكم ازالت من

عبار

من نعمة ولم حلت من نقمة وما الذي المعتبرون من العلماء
فضلا عن الجهال لم يعلم المغتر ان الذنب كصيبة مفض ولو بعد
حين كما يفض السم كما يفض الجرح المندمل على الغش
والدغل وزلل الاقدام لعمر ابي الدرداء عبدا الله كما لم يرقبه
وعدوا العلم في الموتى علما ان قليلا من علم خير من كثير من الجهل
واعلموا ان الرجل كل الرجل ان الاثم لا يمحى وذكره لا يزال
صبي فتامل محاسنه فاتى في منامه وقيل له لتحدثن عنها بعد
اربعين سنة هذا مع ان الذنب قد يمحى لا ناس عنه
قال سليمان التيمي ان الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه
مذلته وقال ذو النون من خان الله في السر هتك الله ستره
في العلانية وقال يحيى بن معاذ الرازي عجبت من ذي عقل
يقول في دعائه اللهم لا تشمت بي الاعداء ثم هو يشمت نفسه
كل عدو له فليل وكيف ذلك قال بعصي الله ويشمت به في العاجلة كل
عدو فصل للمعاصي نكد في الاثار الصحيحة المذمومة
المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها
حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية
تطفئ ذلك النور ولما جلست الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه

اعجبه ما رأى من نور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه فقال
اني ارى الله قد القى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية
وقال الشافعي شكوت الى وكيع سوء حفظي فارشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بان العلم فضل وفضل الله لا يؤتاه عاص
ومنها حرمان الرزق فان المسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب
يصيبه وقد يعدم وكان تقوى الله مجلبة للرزق وفي ترك التقوى
مجلبة للفقر مما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي ومنها
وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا توازيها دلا
تقارنها لذة اصلا لو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها فما لم
يفز بتلك الوحشة فهذا امر لا يحس به الا من في قلبه حياة
وما اكثر ميت القلوب ولم تزل الذنوب الا حدرا من
وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حذرا منها وشتان
رجل ال بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال له
اذا لله فداء وحشة الذنب اذا اشفقت واشباهين
وليس عن القلوب اشد من وحشة الذنب على الدنيا سالمستحان
ومنها الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس لا سيما اهل
الخير منهم فانه يجد وحشة بينه وبينهم وكلما قويت تلك
الوحشة بعد منهم ومن محاسنهم وحرم بركة الانتفاع

لهم وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن
وتقوى هذه الوحشة حتى يستحكم فتفرق بينه وبين ربه ويذله
وانما بعده وبينه وبين نفسه فترى مستوحشا من نفسه وقال
بعض السلف اني لاعصي الله فاري ذلك في خلق ابني وامراتي
ومنكبي تغير امره علي فلا يتوجه لامر الا وجده معلقا دونه
او متعسرا عليه وهذا كما ان من اطاع الله جعل له من امره
يسرا ومن عطل التقوى جعل له من امره عسرا وما لله
العجب كيف يعد العبد ثواب الحسنة والصلاة مستدرجا
عنه وطردا معسرا عليه وهو لا يعلم ان ابن آدم مسخم ظلمة
احدها في قلبه حقيقة كالحسن كظلمة الليل البهيم
اذا ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره
فان الطاعة نور والمعصية ظلمة ولهذا قوبتا الظلمة ادادت
حيرة حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة
وهو لا يشعر كاعمى حين في ظلمة الليل يمشي وحده وبعوين
هذه الظلمة حتى تظهر في الوجه فترى بحيث يعلوا الوجه ويصير
سوادا فيه ترى كل احد قال عبد الله بن عباس ان
للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق
وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة

سوادا

للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن
ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق ومنها ان المعاصي
توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فانها لا تزال
توهنه حتى تزيل حياته بالكلية واما وهنها للبدن فان المؤمن
قوته من قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه واما الفاجر فانه وان
كان قوي البدن فهو اضعف شيء عند الحاجة فتجده قوته
عند الحاجة اخور ما تكون الى نفسه وتامل قوم ابدان قتلى
والروم كيف خانتهم اخور ما كانوا اليها وفيهم اهل الايمان
تقوم ابدانهم وقلوبهم ومنها حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب
عقوبة الا ان يصد عن طاعة يكون بدلا له وتقطع طريق طاعة
اخرى تقطع عليه بالذنب طريق ثالثة ورابعة وهلم جرا
فتقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير
له من الدنيا وما فيها وهذا كحال اكل اكلة ادخت له
مرضا طويلا منعته من عدة اكلات اطيب منها والله المستعان
ومنها ان المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته لا بد فان البر يزيد في العمر والفجور ينقص العمر وقد اختلف الناس في هذا
الموضع فقالت طائفة ينقصان العمر المعاصي هو ذهاب

ترك عمره ويحرم عليه وهذا حق وهو بعض مآثم المعاصي
وقالت طائفة سقصه حصة كما ينقص الرزق
بجعل الله سبحانه للبركة في الرزق مكنة وشرطه وللبركة في
العمر اسبابا مكنة وشرطها والامتناع زيادة العمر باسباب
فالارزاق والاجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض
والغنى والفقر وان كان بعضها اسبق من بعض فهو بعض
ما شاء باسباب جعلها هو وحده لمسبباتها مقتضية
لها وقالت طائفة اخرى مآثم المعاصي في محق العمر انما
هو باعتبار حصة الحياة هي حياة القلب ولهذا جعل
الله سبحانه الكافر ميتا غير حي كما قال في الاموات غير
احياء فالحياة في الحقيقة حياة القلب وعمر الانسان
مدة حياته فليس عمره الا اوقات حياته فتلك
ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه
الاوقات التي هي حقيقة عمر الانسان وله ستوازها بالجملة
فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت
عليه اتام حياة الحصة التي تحدث اضاعها يوم
يقول يا ليتني قدمت لحياتي فالاحمق اما ان يكون

لم يعرف ذلك فتطلع الى مصالحه الدنيوية ولذاتها وان لم يكن
له تطلع الى ذلك وقد ضاع عليه عمره كله ودهشت حياته ما طلا وان
كان له تطلع الى ذلك طالت عليه الطريق بسبب العوائق
وتعذرت عليه أسباب الخير بحسب اشتغاله باضدادها
وذلك نقصان حسي من عمره وسر المسئلة ان عمر الانسان
مدة حياته ولا حياة له الا بما قبله على ربه من التوجه وذكره
وايثار مرضاته فصل ومنها ان المعاصي
تزرع امثالها وتولد بعضها بعضا حتى يعسر على العبد مفارقتها
والخروج منها كما قال بعض السلف ان من عقوبة السيئة
السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها
فالعبد اذا عمل حسنة قالت اختها التي بعدها اعملي ايضا
فاذا عملها قالت التي بعدها كذلك وهلم جرا فتضاعف الحسنات
وتزايد الحسنات وكذلك السيئات ايضا
حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات
لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعة لصاق قلبه
عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت واحس من
نفسه بانه كالحوت إذا فارق الماء حتى يعاودها

فستمكن نفسه وتقر عينه ولو عطل المحرم المعصية واقبل
على الطاعة لخافت عليه نفسه وضاق قصده واغتم عليه
مذاهبه حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق ليواقع
المعصية من غير ان يجد بها لذة داعية اليها الا لما يجد من الالم
بمعاودتها كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هانئ حيث يقول

وكائن شربت على اللهو والغنى ٭ اديرت من كفي عليها
وقال آخر فحالت دواعي وهي داعي بعينه ٭ كما اوى شاربه الخمر للخمر

ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويوثرها حتى يرسل
الله سبحانه رحمته عليه الملائكة فتوثره ازا وتحفه عليها
وتزعجه عن فراشه ومجلسه الى ان يألف المعاصي
ويحبها ويوثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتوزه اليها
ازا فالاول قوي عند الطاعة المدد فصار المدد من الله
اعوانه وهذا قوي عند المعصية بالمدد فكانوا اعوانا عليه

فصل وهو من اخوف ما على العبد انه تضعف
القلب عن ارادته وقوى ارادة المعصية وضعف ارادة التوبة
شيئا فشيئا الى ان يسلب من قلبه ارادة التوبة بالكلية
فلو مات صعقه لما تاب الى الله فيا ذي من الاستغفار وتوبة

وتوبة الكذاب باللسان لشئ كثير وقلبه معقود بالمعصية
مصر عليها عازم على العود اقبح مما كان عليه وهذا من اعظم الامراض وازمها
الى الهلاك

فصل ومن انواع سلب من القلب
استفتاح فمضمون لو عالج فلا مستفتح من نفسه دوة الياس
له ولا كلامهم فيه وهذا عند ارباب الشهود هو عاية الهتك
وتمام الله حتى يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها من لا يعلم
انه عملها فيقول يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس
لا يعافون ويسد عليهم طريق التوبة ويعلق عنهم ابوابها
في الغالب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا
المجاهرين وان من الاجهار ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح
نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا فبهتك ستر ربه وقد
بات يستره ربه ومنع ان كل معصية من المعاصي فهي ميراث
عن امة من الامم التي اهلكها الله عز وجل فالزنا هي ميراث
عن قوم لوط واخذ الحق بالباطل ودفعه بالباطل ميراث
عن قوم شعيب والعلو في الارض والفساد ميراث عن قوم
فرعون والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود والمعاصي كلها
ثياب بعض هذه الامم واعذ الله وقد روى عبد الله بن احمد

في كتاب الزهد لابيه عن مالك بن دينار قال اوحى الله الى نبي من
انبياء بني اسرائيل ان قل لفلانة لا تدخلوا منازلي داخل اعدائي ولا
تلبسوا ملابس اعدائي ولا تتزينوا بزينة اعدائي ولا تطعموا مطاعم
اعدائي فتكونوا اعدائي كما هم اعدائي وفي مسند الامام احمد من
حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف
بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي
تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن
تشبه بقوم فهو منهم **فصل** ومنها ان المعصية
سبب لوقوع العبد في العقوبة وسقوطه من عينه قال الحسن البصري
ما نوا على معصية ولو عزموا عليها لعصمهم واذاها ان العبد عمل
السيئة يجرمه احدكما قال تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم
وان عظم الناس في الطاف محاسنهم البهم واخوفهم من سيئاتهم عليهم
في قلوبهم لعظم شيء وهو نه ومنها ان العبد لا يزال يرتكب
الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك فان
الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله وقد روى
البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال ان المؤمن يرى ذنوبه
كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه

كذبابة وقع على انفه فقال به هكذا فطار **فصل**
ومنها ان عرض الناس والذل يجود عليه مشوم ذنوبه
فيخف وهو وعز مشوم الذنوب والظلم قال ابو هريرة
رضي الله عنه ان الحبارى ليموت في وكرها من ظلم الظالم وقال
مجاهد ان البهائم تلعن عصاة بني ادم اذا اشتدت السنة
وامتنع المطر وتقول هذا بشوم معصية بني ادم وقال
عكرمة ما من دابة على الارض ذهولها حتى الحمامة في العمائر
تقول بمعاصي الله بذنوب بني ادم لا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوء
بلعنة مرة اذ نبه له **فصل** ومنها ان المعصية
تورث الذل ولا بد فان العز كل العز في طاعة الله تعالى قال تعالى
من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي فليطلع طاعته
الله فانه لا يجدها الا في طاعته وكان من دعاء بعض السلف
اللهم اعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك قال الحسن البصري
انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجتهم البراذين ان ذل المعصية
لا يفارق قلوبهم اي الله لا ان ذل من عصاه قال عبد الله بن
المبارك

رايت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل ادمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها

فصل وسمع ان المعاصي تقد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفئ نور العقل ولابد فاذا اطفئ نوره ضعف ضوءه ونقص وقال بعض السلف ما عصى الله احد حتى يغيب عقله وهذا ظاهر فانه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه في داره وكل بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون اليه وواعظ القرآن بنهاه وواعظ الايمان ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يغيثه بالمعصية من جنبه الدنيا والهوى لضعاف اضعاف ما يحصل من المسرة واللذة فهل يقدم عاقل الاشقى على ذلك الاضعاف به ذو عقل سليم

فصل وسمع ان الذنب اذا الف طبع على قلب صاحبه فكان من الغافلين كما قال بعض السلف في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال هو الذنب بعد الذنب وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب وقال غيره لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم احاطت بقلوبهم واصل هذا ان القلب يصدأ من المعصية فان زادت غلب الصدأ حتى يصير رانا ثم غلبا حتى يصير طبعا وقفلا وختما

فصيب القلب في غشاوة وغلاف فاذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار اعلاه اسفله واسفله اعلاه فحينئذ يسوقه عدوه ويسوقه حيث اراد

فصل ومنها ان الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لعن في معاصي وجزئيات الذنوب التي لا يدخل فاعلها تحت اللعنة فلعن الواشمة والمستوشمة والواصلة والموصولة والناصبة والمنتصبة والواشر والمستوشر ولعن اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ولعن المحلل والمحلل له ولعن السارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن من غير منار الارض وهي اعلامها وحدودها ولعن من لعن والديه ولعن من تحدث شيئا فيه الروح عرضا بيديه او سهم ولعن المخنثين من الرجال المترجلات من النساء ولعن من ذبح لغير الله ولعن من احدث حدثا او اوى محدثا ولعن المصورين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب اباه ولعن من بيت آنية ولعن من كمه اعمى عن الطريق ولعن من آذى بهيمة ولعن فاعل ذلك بها ولعن من ضار مسلما او مكره ولعن دوارات

العقود والمحدث على المشاهد المتخذة ولعن من اشد الله
على زوجها أو مملوكها على سيده لعن من رأى امرأة في دبرها واعنف
ان من باشت من حيث لفراشه وحتى لعنها الملائكة حتى تصبح ولعن
من تشبه الرجال بالنساء واحد ان من اشار الى اخيه حديدة فان
الملائكة تلعنه ولعن من سب اصحابه وقد لعن الله من افسد
الارض وقطع رحمه واذى الله واذى رسوله ولعن من كتم ما انزل الله
سبحانه من البينات والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات
الغافلات المؤمنات بالفاحشة ولعن من جعل سبيل
الكافر اهدى من سبيل المسلم ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل ولعن الماشي
والمرتشي والمرائش وهو السفير في الرشوة ولعن على اشياء لعن
غيرها ظلم بكل ذنب فعل ذلك الا رضا فاعلم بان يكون من
يلعنه الله ورسوله والملائكة لكان في ذلك ما دعوا الى تركه

لعل الواسطة

فصل ومن محرمات دعوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعوة الملائكة فان الله سبحانه امر نبيه ان يستغفر
للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله

يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا
وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات
فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة
رسوله الذين لا سبيل له عليهم فلا تقطع عروة ولا تماحه هذه الدعوة
اذا لم يتصف بصفات المدعو له والله المستعان

فصل ومن عقوبات المعاصي ما ذكره البخاري
في صحيحه من حديث سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم مما يكثر ان يقول لاصحابه هل رأى احد منكم الليلة
رؤيا فيقص عليه من شاء الله ان يقص وانه قال ذات غداة انه
اتاني الليلة اتيان وانهما ابتعثاني وانهما قالا لي انطلق
وانى انطلقت معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا هو قائم عليه
بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر
ههنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع اليه حتى يصح رأسه
كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل مرة الاولى قال
قلت لهما سبحان الله ما هذان قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا

هو؟

فانبنا على نهر احمر مثل الدم فاذا انا الهر رجل ساح يسبح واذا هو
على شبط النهر رجل فدجم عنه حجارة كثيرة واذا ذلك الساح
يسبح ما يسبح ثم ياتي ذلك الذي دجم عنه الحجارة فيغفر له
فاه فيلقمه حجرا فقلت لهما ما هذا ان قالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا فانتهينا على رجل كريه المرآة او كاانه ما انت راء
رجلا مرآة واذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها قال قلت
لهما ما هذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا على روضة
معتمة فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهري الروضة
رجل طويل لا اكاد اري راسه طولا في السما واذا حول
الرجل من اكثر ولدان رايتهم قط قال قلت ما هذا ما
هذا وما هؤلا قال قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فانتهينا
الى دوحة عظيمة لم ار دوحة قط اعظم منها ولا احسن
قال ظلا ارق منها وارتفعنا في المدينة فبينه وبين المدينة ملبن
ذهب وملبن فضة قال فاتينا باب المدينة فاستفتحنا
ففتح لنا فدخلنا فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن
ما انت راء وشطر منهم كاقبح ما انت راء قال قالا
لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال واذا نهر معترض

يجري كان ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه
ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم قال قالا لي هذه
جنة عدن وهذا منزلك قال فسمت بصري صعدا فاذا
قصر مثل الربابة البيضا قال قالا لي هذا منزلك قال
قلت لهما بارك الله فيكما ذراني فادخله قالا لي اما الآن
فلا وانت داخله قال قلت لهما فاني رايت الليلة منذ
عجبا فما هذا الذي رايت قال فالا لي اما انا سنخبرك
اما الرجل الاول الذي اتيت عليه يثلغ راسه بالحجر فانه
الرجل ياخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة
واما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه
ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من
بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق واما الرجال والنسا
العراة الذين هم في مثل بنا التنور فانهم الزناة والزواني
واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فانه
اكل الربا واما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها
ويسعى حولها فانه مالك خازن جهنم واما الرجل
الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم عليه السلام واما الولدان

الدر حوله فكل مولود مات على الفطرة وفي رواية الزهري ولد على
الفطرة فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين وأما القوم الذين
كانوا منهم حسن وسيظهر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا تجاوز الله عنهم **فصل** ومن آثار
الذنوب المعاصي التي أحدثت في الأرض أنواعا من الفساد في المياه
والهواء والروح والثمار والمساكن قال تعالى ظهر الفساد في
البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم
يرجعون قال مجاهد أي أول الظلم بالظلم والفساد
بحبس الله تعالى القطر عنهم فلا تخرج النبات والله لأجل الفساد
ثم تراظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس لأجل
ثم قال أما والله ما هو بحر هذا ولكن كل ريف على ما جاوره
فهو بحر وقال عكرمة ظهر الفساد في البر أما أني
لا أقول بحر هذا ولكن كل ريف على ما جاوره وقال قتادة أما البر
فأهل العمود وأما البحر فأهل القرى والريف قلت وقد
سمى الله تعالى الماء العذب بحرا فقال وهو الذي مرج البحرين
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ولتبين

شطره

العالم بحر حلو واقف دائما من الانهار الجارية والعيون هو
الساكن فتستمر الذي الى على المياه الجارية باسم تلك المياه
وقال ابن زيد ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب
قلت اراد ان الذنوب سبب الفساد الذي ظهر وان اراد
ان الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها فيكون قوله ليذيقهم
لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
والمعنى والله اعلم ان الله تعالى أجرى الأمر عند معاصي العباد
فكلما احدثوا ذنبا احدث لهم عقوبة كما قال بعض السلف
كلما احدثتم ذنبا احدث الله لكم عقوبة من سلطانه والظاهر
والله اعلم ان الفساد المراد بالذنوب وسجاعة ويدل عليه قوله
ليذيقهم بعض الذي عملوا فهذا حالنا وانما اذاقنا الشيء اليسير
من اعمالنا ولو اذاقنا كل اعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة
ومن آثار معاصي الله في الأرض ما يحل به من الخسف والزلازل
والمحق بركة وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود
ممنوعهم من دخول ديارهم ومن شرب مياههم ومن الاستقاء
من آبارهم حتى ان بعلف العجين الذي عجن بمائهم للنواضح
لما نبيشوم المعصية في الماء ولذلك سموم ثمانة الذنوب

الارض لما طهرت من المعاصي طهرت منها آثارها وازالته من
الله التي تحفظ الذنوب والكفر لا ريب ان العقوبات التي
انزلها الله من الارض بمعاصي آثارها سلبية في الارض بطلب
ما يشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك الجرائم التي عوقبت
للامم فهذه الآثار في الارض من آثار تلك الجرائم فتأمله
كلمة الله وحكمته الكونية أو لا دلالة وكان العظم من العقوبة
للعظم من الجناية الاحقه لله خف وهكذا احكم سبحانه
بين طبقتي دار البرزخ ودار الجزاء وتأمل مقارنة الشيطان
وحيله ودالته فانه لما قارن العبد استولى عليه نزعت البركة
من عمره وعمله وقوله ورزقه ولما انزع طاعته في الارض ما
انتزعت البركة من كل محل طهرت فيه طاعته وكذلك
مثله لما كان المحل ليس هناك شيء من الروح والخير والبركة

فصل

ومن عقوبات الذنوب اماتة القلب
مادة الخير التي هي صلاحه وحياته كالحرارة الغريزية بحياة
جميع البدن فالخير حرارته وماله الشر خرج ما فيه
من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث
الحديد والذهب والفضة وتشرف الناس على اعلاهم همة

في بعض الثمار وما يزري به من الآفات وقد قال الامام احمد في
تفسيره في حمص حدثنا قال احمد في جزء من اميه حفظته
الحمد لقد رأيته النبي وهو في مصر مكتوب على هذا كان
بمصر في زمن العدل وكثرة من هذه الآفات لحقه الله سبحانه
وتعالى بما احدثه العباد من الذنوب الخبر الذي جاء عن
شيوخ الصحابة انهم كانوا يقولون ما هي الا في كثير من
هذه الآفات التي نصبح لم يكونوا يعرفونها وانما حدث من
قرب وانما ناشئة الذنوب في الصوم الخلق تعهد روي المرفوع
في جامعه عن صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله آدم وطوله
في السماء ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتى الان ولما
يطهر الله سبحانه الارض من الظلم والفجور والخيانة ويخرج عبدا
من عباده من اهل بيته صلى الله عليه وسلم فيملأ الارض
قسطا كما ملئت جورا ويفتح للمسيح الهدى والنصارى
ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله تخرج الارض نباتها وتعود
كما كانت حتى ان العصابة من الناس ليأكلون الرمانة
ويستظلون بقحفها ويكون الحقوق من اللبن وقربه
وان اللقحة الواحدة لتكفي القبيلة من الناس وهذا الاثر

يروى

اشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي
صلى الله عليه وسلم اغير الخلق على الاطلاق والله سبحانه اشد غيرة
منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اتعجبون
من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الصحيح ايضا
انه قال في خطبة الكسوف يا امة محمد ما من احد اغير من
الله ان يزني عبده او تزني امته وفي الصحيح ايضا عنه
انه قال لا احد اغير من الله فمن اجل ذلك حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من
اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين لا احد احب اليه المدح من الله
من اجل ذلك اثنى على نفسه فجمع في هذا الحديث بين الامرين
الى اصلها راهذا الفتاح وفتح ومحبة العذر الذي يوجب
كمال العدل والحمد والاحسان والله سبحانه وتعالى شديد
غيرته يحب ان يعتذر اليه عبده ويقبل عذر من اعتذر
اليه وانه لا يواخذ عبده بارتكاب ما نهاه عنه من ارتكابه
حتى يعذر اليهم لاجل ذلك ارسل رسله وانزل كتبه
اعذارا وانذارا وهذا غاية المجد والاحسان وهو سبحانه

الكمال فان كثيرا ممن يستدعي غيرته من الحلوف من تحله مشقة
العذر على سرعة الانقياد والعفو به من غير اعذار منه وعن
قبول العذر ممن اعتذر اليه بل يكون له في نفس الامر عذر
لا يدعه مشقة العذر ان تقبل عذره وكثير ممن يقبل المعاذير
يحمله على قبولها قلة الغيرة حتى ينومنه في طرق المعاذير ويرى
عذرا انما لنفس بعذر حتى يعذر لكثير منهم بالقدر وكل ممدوح
على الاطلاق ومنزه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فالتي يبغضها الغيرة
في غير ريبة وذلك لعدم انتفاء العذر
فيعاد في محل العذر بعد في موضع العذر ومن كان هكذا
فهو الممدوح حقا ولما جمع الله سبحانه صفات الكمال كلها
كان احق بالمدح من كل احد لا احد ان يمدحه كما ينبغي له
بل هو كما مدح نفسه اثنى على نفسه فالعبد وفق ربه سبحانه
في صفة من صفاته ومن وافق الله في صفة من صفاته
فادته تلك الصفة اليه زلفاه وادخلته على ربه وادنته منه
وقربته من حضرته وصيرته محبوبا له فانه سبحانه رحيم يحب
الرحماء كريم يحب الكرماء عليم يحب العلماء قوي يحب المؤمن

منها غيرة

القوي وهو احب اليه من المؤمن الضعيف حتى عتب اهل الحياء
جميل يحب الجمال ويحب الوتر ولم يكن في الذنوب المعاصي
الا اثم توجب لصاحبها ضد هذه الصفات ويمنعه من الاتصاف
بها لكنها عفو فان الخطر متقلب وسوسته والوسوسة
تصير ارادة والارادة قوة فتصير عزيمة ثم تصير علما ثم تثبت
صفة لازمة وهيئة قائمة راسخة وحينئذ متعذر الخروج
منها كما تعذر الخروج من صفة العالمية والمقصود
انه كلما استدت ملابسته الذنوب اخرجت من القلب
الغيرة على نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف القلب جدا
حتى لا تستقبح بعد ذلك الفحشاء لا من نفسه ولا من غيره واذا
وصل الى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك وكثير من
هؤلاء لا يقنعون بعدم الاستقباح بل يحسن الفواحش
والظلم لغيره ويزينه له ويدعو اليه ويحثه عليه ويسعى له في
تحصيله ولهذا كان الذنوب الخبيثة حلق الله الخمر حرام
عليه وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه له فانظر
ما الذي حملك على قلة الغيرة وهذا يدلك على ان اصل
الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له لغيره تحمي القلب

فتحمي له

فتحمي له الجوارح فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت
القلوب فتموت الجوارح فلا تشتهي عمارها دفع البتة ومثل
الغيرة في القلب مثل القوة التي في دفع المرض فاذا ذهبت
القوة وجد الداء المحل قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فيكان
الهلاك ومثلها مثل حياض الحامي التي تدفع عن نفسه
وولده فاذا كثرت ثلم فيه عدوه

فصل

ومن عقوباتها ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب وهو
اصل كل خير وذهابه ذهاب الخير جميعه في الصحيح عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال الحياء خير كله وقال ان مما ادرك الناس
من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وفيه
تفسيران احدهما انه على التهديد والوعيد اي من لم يستح
فانه يصنع ما شاء من القبائح اذ الحامل على ترك القبائح اذا لم
يكن هناك حياء يزعه عن القبائح فانه واقع وهذا تفسير
ابي عبيد والثاني ان الفعل اذا لم يستحى منه من الله فاعلم
ان مبدأه الذي يمنع من تركه ما يستحيا منه من الله وهذا تفسير
الامام احمد ورد بانه ان هان فعلى الاول يجوز ان يقدم
لقوله اعملوا ما شئتم وعلى الثاني يجوز اذا واباحة فان قيل

فهل الى سبيل من حمل المعصية قلت لا ولا على قول من حمل المثل
على جميع معانيه لما بين الاباحة الهذيان من التنافاه ولكن لاعتبار
احد المعنيين وجب اعتبار الاخر والمقصود ان الذنوب تضعف
الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى له ربما لا يتبالى
بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه بل ربما يتحدث منهم مخبرا عن حاله
وقبح ما يفعله والحامل له على ذلك انسلاخ من الحياء اذا وصل
العبد الى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع ۞

۞ واذا راى الحسن طائفة وجهه حياء قال هذه من لا يفلح
والحياء مشتق من الحياة والعشب يسمى حيا لانه حياة
الارض والنبات والدواب لذلك سمى الحياء حياة القلوب
ممن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي في الاخرة وبين الذنوب
وبين قلة الحياء وعدم الخشية تلازم من الطرفين كل منهما
يستدعي الاخر ويطلبه حثيثا ومن استحيا من الله عند
معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه ومن لم يستحي
من معصيته لم يستحي من عقوبته

فصل

ومن عقوبات الذنوب انها تضعف القلب عن الارادة
حتى اذا اراد ضعف وقاده في قول العبد لا اشتهي ام ابي

ولو تمكن وقار الله وعظمته من قلب العبد لما تجرى على معاصيه
وربما اعتذر المعتذر وقال انما حملني على المعاصي حسن الرجاء
وطمعي في عفوه لاضعف عظمته من قلبي وهذا لمن مخالطة
النفس فان عظمة الله وجلاله في قلب العبد تعظيم
حرماته وتحول بينه وبين الذنوب والمتجرون على معاصيه
ما قدروا الله حق قدره وكيف يقدره حق قدره او يعظمه ويكرمه
ويجله من يهون عليه امره ونهيه هذا من اجهل الجهال
وابين الباطل ولكن يا لعاجز عفونة ان يصحل من قلبه تعظيم الله جل
جلاله وتعظم حرماته ويهون عليه حقه ومن بعض عقوباته
ان يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون
به كما هان عليه امره واستخف به فعل قدر عبد الله يحبه
للناس وعلى قدر خوفه من الله يخافه الخلق وعلى قدر تعظيم الله
وحرماته يعظم الناس حرماته وكيف يهتك حرمات الله ويطمع
ان لا يهتك الناس حرماته ام كيف يهون عليه حق الله لا يهون
الله على الناس ام كيف يستخف بمعاصي الله لا يستخف به
الخلق وقد اشار سبحانه بهذا الى ثقابه عند كثير من عقوبات
الذنوب وانه ارس اذنا مما استووا وعلى على قلوبهم فطبع عليها

بدنوبهم وانه سبحانه كما انسبهم اياها بهم كذلك انساهم انفسهم
كما صنعوا امر ولهذا قال تعالى في آية سجود الملائكة لآدم
بعد ان الله ما له من مكرم فانه لما اهانهم علمهم السجود له واسجدوا
ولم يعلموه اهانتهم فلم يكن له في مكرم بعد ان اهانهم ومن
ذا يكرم من اهانه الله او من من الله له فضل
ومن عقوباتها انها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه
وخليته منه ومن نفسه وشيطانه وهذا هو الهلاك الذي
لا يرجى معه نجاة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما
تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون فامر بتقواه ونهى ان تنسيه عياله
الموجب لنسيانه نفسه له فقوله واحذروه عاقبة من ترك
التقوى ان انساه نفسه اي انساه مصالحها ومنافعها
من عذابه وما يوجب له الحياة الابدية والكمال الذاتي وسرورها
ونعيمها فانساه ذلك كل حظ الما سمه من عطفه وحنوه
والقيام بما من فيه صلاح معاشه ومعاده فاضاعها
فها قد اعفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا

فقد افرطت عليه مصالح دنياه واخرته وقد فرط في سعادته
الابدية واستبدل بها ادنى ما يكون من له انما هي سحاب صيف
او احلام طيف او ظل زائل ان للبيت مثلها لا يجزع
واعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه واهماله لها واضاعته
حظها وصيدها من الله وبيعه ذلك الحظ الجزيل الهوان البخس الثمن
فضيع من لا غنى له عنه لا عوض له منه واستبدل به من هو عنه
كل الغنا ومنه كل عوض

من كل شيء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعه عوض
فالله سبحانه يعوض عن كل ما سواه ولا يعوض منه شيء ويغني عن كل
شيء ولا يغني عنه شيء وجبر من كل شيء ولا يجبر منه شيء ويمنع من كل
شيء ولا يمنع منه شيء فكيف يستغني العبد عن طاعته في هذا انه
طرفة عين ولكن ينسى ذكره ويضيع امره حتى ينسيه نفسه فيخربها
وظلمه اعظم الظلم فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه وما ظلمه ربه
ولكن هو الذي ظلم نفسه فضل ومن عقوباتها
انها تمنع العبد من ايثار الاحسان وتمنعه ثواب المحسنين
فان الاحسان اذا باشر القلب منعه من المعاصي فان من
عبد الله كانه يراه لم يكن ذلك الا باستيلاء ذكره ومحبته

وخوفه ورجاءه على قلبه حتى صيركانه يشاهده وذلك بحول
الله وهن ارادة المعصية فضلا عن مواقعتها فاذا افضى من ذاته
الاحسان فانه صحبه رفقه الخاصة وعشتهم الهنى ونعيمهم التام
فان عصاه بالمعاصى التى تحجه من دار الايمان كما قال
النبى صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مومن ولا
يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن ولا يسرق حين يسرق وهو
مومن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الله فيها الناس
ابصارهم حين ينتهبها وهو مومن فايام ايام التوبة
يعرضه بعد خروجه من دار الايمان وفاة رفقة
المومنين وحسن دفاع الله عنهم فان الله يدفع عن الذين
امنوا وفاة كل خزية الله فى حياته على الايمان
وهو حوما يخصله كل خصلة تاخذ من الدنيا وما
فيها فمع الاجل العظيم وسوف يوتى الله المومنين اجرا
عظيما ومع الدفع عنهم شرور الدنيا والاخرة ان الله
يدفع عن الذين امنوا ومع استغفار الملائكة حملة
العرش لهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت

كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم
عذاب الجحيم ومع ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى
الصالحين ومع ان ولى الذين امنوا الله يخرجهم من الظلمات
الى النور ومع لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة
لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ومع لهم
بشارة ربهم ورضوان من الله اكبر ومع لهم الدرجات العلى
فى الجنة ومع لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل
الكبير ومع ان لهم الدرجات عند ربهم والمغفرة
والرزق الكريم ومع العزة لله العزة ولرسوله وللمومنين
ومع معية الله لاهل الايمان وان الله مع المومنين ومع
الرفعة فى الدنيا والاخرة رفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات ومع اعطاءهم كفلين من رحمته ونظامهم
نورا يمشون به ومع ذوبهم ومع الود الذى يجعله الله
سبحانه لهم وهو انه يحبهم ويحبونه ان الله يحب التوابين
الصابرين ومع ان الله يحب المتقين المحسنين ومع ان الله
يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
ومع ان الله يحب المقسطين ومع ان الله يحب الذين
يتطهرون ومع ان الله يحب

في الدنيا والآخرة فسببه عدم الايمان فزحول عنه وبينه ولكن لا
يخرج من دائرة عموم المسلمين فان استمر على الذنوب واصر على خبث
عليه ان يزيغ قلبه كما قال بعضهم اتم يخافون الذنوب فيخرجه عن الاسلام
بالكلية ومن ههنا اشتد خوف السلف كما قال بعضهم انهم يخافون
الذنوب وانا اخاف الكفر **فصل** ومن عقوباتها
انها تضعف سير القلب الى الله والدار الآخرة حتى توقفه او تعوقه
وتقطعه عن السير ولا بد عنه بخطوة خطوها الى الله هذا ان
لم ترده عن وجهته الى ورائه فالذنب يحجب الواصل ويقطع السائر
ويكسل الطالب فالقلب انما سير الى الله بقوته فاذا لعرض
ما للذنوب ضعف تلك القوة التي تسير فان الت
بالكلية انقطع عن الله انقطاعا بعيدا تدارك وانى للمنقطع
فالذنب اما ان يميت القلب او يمرضه مرضا مخوفا او يضعف
قوته ولا بد حتى منتهى ضعفه الى الانشاء الثامنة الى استعاذ
منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي الهم والحزن والعجز والكسل والبخل
والجبن وضلع الدين وقهر الرجال وكل اسم منها فرسخان
فالهم والحزن فرسخان فان المكروه الوارد على القلب ان كان
من امر مستقبل يتوقعه احدث الهم وان كان من

امر ماض قد وقع احدث الحزن والبخل والكسل فرسخان فان
تخلف القصد عن اسباب الخير والفلاح ان كان لعدم
قدرته فهو العجز وان كان لعدم ارادته فهو الكسل والجبن
والبخل فرسخان فان عدم النفع منه ان كان بدنه فهو الجبن
وان كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال فرسخان
فان استولى العدو عليه ان كان بحق فهو من ضلع الدين
وان كان بباطل فهو قهر الرجال المقصود ان الذنوب
من اقوى الاسباب الجالبة لهذه الانشاء الثمانية
كما انها من اقوى الاسباب الجالبة لجهد البلاء ودرك الشقا
وسوء القضاء وشماتة الاعداء ومن اقوى الاسباب
الجالبة لزوال نعم الله وتحول عافيته فجاءه نقمته وجميع سخطه
فصل ومن عقوبات الذنوب انها تزيل النعم
وتجلب النقم فما زال من عبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة
الا بذنب كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما نزل بلاء
الا بذنب ولا رفع الا بتوبة وقد قال تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال تعالى
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم

مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض
خزانة داية الأفغاني

فاخبر تعالى انه لا يعذبه الذي انعم به على احد حتى يكون هو الذي
يعذب ما تنفك فيعصي طاعة الله بمعصيته ويشكره بكفره
واسباب رضاه باسباب سخطه فاذا انعم عز على عبده جزاء
وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فان عز المعصية بالطاعة
عفا الله عنه العفو بالعافية الذل بالعز قال تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال في بعض الآثار
الالهية عن الرب تبارك وتعالى انه قال وعزتي وجلالي
لا يكون عبد من عبيدي على ما احب ثم ينتقل عنه الى ما
اكره الا انتقلت عنه الى ما يكره لا يكون عبد من عبيدي
على ما اكره ينتقل عنه الى ما احب الا انتقلت له ما يكره الى
ما يحب وقد احيط الفاء

فصل

• اذا كنت ذا بغي وداعيا فان الذنوب تزيل النعم
• وحطم بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم
• واياك والظلم مهما استطعت فظلم العباد شديد الوخم
• وستار فقلبك بين الورى لتبصر اثارا ممن قد ظلم
• فثلك مستلب انعمهم شهود عليهم لانعمهم

ما حبا

• وما كان سبى عليهم اضر من الظلم وهو الذي قد قصم
• فلم يرحموا ان حنانٍ ومن قصود الورى عليهم اطم
• صلوا بالحميم وفاتت النعيم وحان الذي بالم كالحلم

فصل ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه وتعالى
من الرعب والخوف في قلب العاصي فلا تراه الا جبانا من عوما
فان الطاعة حصن الله الاعظم الذي من دخله كان من الامنين
من عقوبة الدنيا والاخرة ومن خرج عنه احاطت به المخاوف
من كل جانب فمن اطاع الله اعلت المخاوف وحقه امانا
ومن عصاه انعلت ما منه مخاوف فتجد العاصي الا وقلبه
كما قال بن حبان طائر ان ركن الى الريح الباب قال حبا الطلب
وان سمع وقع قدم خاف ان يكون هو الذي يطلبه فهو على كل
صيحة عليه وكل ملك قاصدا اليه فمن خاف الله امنه من كل
شيء ومن لم يخف الله اخافه من كل شيء

فصل ومن عقوباتها انها توقع الوحشة العظيمة
في القلب فتحول المذنب نفسه مستوحشا قد وقعت الوحشة
بينه وبين ربه وبين الخلق وبينه وبين نفسه وكلما كثرت

قرن

الذنوب استدت الوحشة وامر العيش عيش المستوحشين
الخاسرين واطيب العيش عيش المستانسين فلو نظر العاقل وازن
بين لذة المعصية وما توقعه من الخوف والوحشة لعلم سوء حاله
وغبن عنه اذ باع انس الطاعة وامنها وحلاوتها بوحشة المعصية
وما يوجبه من الخوف ◎

وان لم تد الوحشة الذنوب فدعها اذا شئت واستانس
وسر المسلمان الطاعة توجب القرب من الرب وكلما اشتد
القرب قوى الانس والمعصية توجب البعد من الرب وكلما ازداد
البعد قويت الوحشة ولهذا يجد العبد وحشة منه ومن علمه
للبعد الذي بينهما وان كان ملابسا له قريبا منه ويجد
انسا وقربا منه وهو من تحب وان كان بعدا والوحشة
سببها الحجاب وكلما غلظ الحجاب زادت الوحشة فالوحشة
توجب الوحشة اشد منها وحشة المعصية واشد منها وحشة
الشرك بالله لا تجد احدا ملابسا شيئا من ذلك الا يجد
من الوحشة بحسب ما لابسه منه فتعلو الوحشة
وجهه وقلبه فيستوحش منه ومن كل شيء

فصل

ومن عقوباتها انها تزرف العلم عن صحة استقامته الى

مرضه اخر افذ ولا يزال مريضا معلولا لا ينتفع بالاغذية التي هي
حياة وصلاح وقوام بل تمرة الذنوب في القلوب كتمرة الامراض
في الابدان فان الذنوب امراض القلوب ودواؤها ولا دواء
لها الا الترك وقد لحن السلف ان الله ان القلوب لا
لا تعطر منافذها الا حتى تصل الى مولاها ولا تصل الى مولاها
حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى تتفقد دواءها
فتبصر بصحة دواءها ولا صحة لها الا بمخالفة هواها فهواها
مرضها وشفاؤها مخالفته فان استحكم المرض فتل او كاد
وكما ان من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة ماوله فكذلك
قلبه في هذه الدار ممن جنبه عاجلا لا شك ان اهل نعيم الجنة
بل النباتات الذين انعم من كالنباتات الذين في نعيم
الدنيا والله اعلم وهذا امر لا يصدق به الا من مات قلبه
هذا وهذا ولا يحسب ان قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم مختص بنعيم الاخرة وجحيمها فقط بل في
دورهم الثلاثة لذلك ان في دار الدنيا ودار البرزخ ودار
القرار فهم في نعيم وهو لاء في جحيم هل النعيم الا
نعيم القلب وهل العذاب الا عذاب القلب واي عذاب

اشد من الخوف والم الحزن وضيق الصدر واعراضه عن الله
الدار الآخرة وتعلقه بغيرها وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة
وكل من تعلق به فاته من نعيم الله بحسبه ومن العذاب
بكل من لحب شيئا غير الله عذب به ثلاث مرات في هذه الدار
وهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل عذب به
حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته والتنغيص والتنكيد
عليه بانواع المعارضات فاذا سلبه اشتد عليه عذابه به
فهذه ثلاثة انواع من العذاب في هذه الدار واما في البرزخ
فعذاب تقاذف الم الفراق الذي لا ترجى عوده والم فوات
ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب عن الله
والم الحسرة التي تفطر الاكباد فالم والله الم والخوف والحزن
يعمل في نفوسهم فوق ما يعمل الهوام والديدان في ابدانهم
بل عملها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الى اجسادها
فحسبك بثقل العذاب الى يوم هو ادهى وامر فبين
هذا وبين نعيم من يرفض فله فرحا وفرحا وانشراحا به
واستبشارا والله له مناجاة حلاوة وطمأنينة مدكر حتى يقول
بعضهم في بعض حال نزعه اطرباه ويقول الاخوان كان اهل

الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش طيب ويقول الاحمقان
اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا اطيب عيشها وما ذاقوا
اطيب منها ونقول الآخر لو علم الملوك ابناء الملوك ما نحن فيه
لجالدونا عليه بالسيوف ونقول الآخر ان في الدنيا حانة من لم
يدخلها لم يدخل الجنة الآخر فمن باع حظه العالي بابخس الثمن
وغبن كل الغبن في هذا العقد وهو يحسب انه قد غبن اذا لم
يكن له بغيره السلع فسل المفوتين فما عجبا من ضياعه
بعد الله تشتري وتمنع حسنة الماوى والسفير الذي جرى
على يديه عقد المبايعة وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول
وقد شرع بغايه الهوان ◉

◉ اذا كان هذا فعل عبد بنفسه فمن ذا له من بعد ذلك يكرمه
ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء

فصل

ومن عقوباتها انها تعمي بصيرة القلب
وتطمس نوره وتسد طرق العلم ويحجب مواد المعارف
وقد قال مالك للشافعي لما اجتمع به ورأى على تلك المخايل
اني ارى ان الله قد القى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية
ولا زال هذا الهدى يضعف بجهل وظلام المعصية يوجب

حتى تصيا القلب في مثل الليل البهيم فكم من مهلك يسقط فيه
لا يبصره كاعمى حرج ما لليل في طريق ذات مهالك ومعاطب
فيا عجبا للسالمه وياسفا على الغطيم تفوتى تلك الظلمات
وينقبض من القلب الى الجوارح فيغشى الوجه منها سواد
بحسب قوتها وشدتها فاذا كان عند الموت ظهرت في البرزخ
فامثلا القبر ظلمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه القبور
ممتلئة على اهلها ظلمة وان الله ينورها بصلاتي عليهم فاداء
كان يوم المعاد حشر الاجساد على الوجوه عيانا
ظاهرا لكل احد حتى يصير الوجه اسود مثل الحممة فيالها
عقوبة لا تواذى لذاب الدنيا بما جمع من اولها
الى اخرها فكيف يقسط العبد المغفل المبتلى المتمتع في
دنيه انما هو ساعة من يوم فالله المستعان

فصل ومن عقوباتها ان صغر النفس
وتقمعها وتدسيها وحقرها حتى يصير اصغر شيء واحقره كما
ان الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها قال تعالى قد افلح من
زكاها وقد خاب من دساها المعنى قد افلح من نماها
كبرها واعلاها بطاعة الله واظهرها وقد خسر من حقرها

وحقرها وصغرها بمعصية الله واصل التدسية الاخفاء ومنه قولهم
يدسه في التراب فالعاصي يدس نفسه في المعصية ويخفي مكانها
ويتواري من الخلق من سوء ما يأتي به فقد انقمع عند نفسه
وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق فالطاعة ترفع النفس
وتعليها حتى تصير اشرف شيء لديه وازكاه وافضله
ومع ذلك فهي اذل شيء واصغره واحقره لله وبهذا الذل
حصل لها هذا العز والشرف والنمو فما صغر النفوس مثل
معصية الله وما رفعها وشرفها ونماها مثل طاعة الله

فصل ومن عقوباتها ان العاصي دائما في اسر شيطانه وسجن شهواته
وقيد هواه فهو اسير محبوس مقيد لا اسير اسوء حالا من اسير
اسير اعدائه ولا سجن اضيق من سجن الهوى ولا قيد
اصعب من قيد الشهوة فكيف الى الله والدار الاخرة قلت
ما سود محبوس مقيد وكيف يخطو خطوة واحدة وازداد القيد
القلب طرقته الآفات من كل جانب حسب قربه منه ومثل
القلب مثل الطائر كلما بعد عن الآفات وكلما
قرب احتوشته الآفات وفي الحديث اسطاردت
الانسان وكاد ان الشيطان الذي لا حافظ لها هو من الذئاب

سمعه العطب فكذا العبد اذا لم يكن عليه حافظ من الله
قد نبه مفترسه ولابد وانما يكون عليه حافظ من الله بالتقوى
نهى وقايه وجنه حصينه بينه وبين ما هو وقايه بينه وبين
عقوبه الدنيا والاخره وكلما كانت الشاه اقرب من الراعي
كانت اسلم من الذيب وكلما بعدت عن الراعي كانت اقرب
الى الهلاك فاعلم ما تكون الشاه اذا فقدت من الراعي وانما
ياخذ الذيب القاصيه من الغنم وهي البعيده من الراعي واصل هذا
كله ان القلب كلما كان ابعد من الله كان اقرب الى ان يسرع
وكلما قرب من الله بعدت عنه الافات والبعد من الله
مراتب بعضها اشد من بعض فالغفله بعد القلب عن الله
وبعد المعصيه اعظم من بعد الغفله وهذا البدعه اعظم من
بعد المعصيه بعد النفاق والشرك اعظم من ذلك كله

فصل ومن عقوباتها سقوط الحياء من القلب
والكرامه عند الله وعند خلقه فان اكرم الخلق عند الله
اتقاهم وادناهم منه منزله اطوعهم له وعلى قدر طاعه العبد
له تكون منزلته عنده فاذا عصاه وخالفه من سقط
من عينه فاسقط من قلوب عباده اذا لم يبق له جاه عند الخلق

وهان عليهم عاملوه على حسب ذلك فعاشر بينهم اسوا عيشه
خامل الذكر ساقط القدر زري الحال لا حرمه له ولا فرح له ولا
سرور فان خمول الذكر وسقوط القدر واجاه معه كل غم وهم
وحزن ولا سرور معه لا فرح ولا لذه هذا الالم فلله المصيبه
لو لا سكر الشهوه وذل المعصيه ثم الله على العبد ان يرفع له
بين العالمين ذكرا وعلى قدره يكون قدره عند الله وعند خلقه
ولهذا خص انبياءه ورسله بما يميزهم به عن غيرهم كما قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم
بخالصه ذكرى الدار اي خصصناهم بخصيصه هو الذكر
الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان
الصدق الذي سال ابراهيم الخليل حيث قال واجعل لي
لسان صدق في الاخرين وقال سبحانه عنه وعن غيره
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقال
لنبيه صلى الله عليه وسلم ورفعنا لك ذكرك فاتباع الرسل
لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من اتباعهم ومتابعتهم
وكل من خالفهم فانه من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم

فصل ومن عقوباتها انها تسلب صاحبها اسما

الشرف وتكسوه اسما الذم والصغار فتسليه اسم المؤمن
والبر والحسن المتقي والمطيع والمنيب الولي الورع والصلح والعابد
والخائف والاواب والطيب المرضي ونحوها وتكسوه اسم الفاجر
والعاصي والمخالف والمسيء والمفسد والخبيث والمسخوط والزاني
والسارق والقاتل والكاذب والخائن واللوطي وقاطع الرحم
والفاجر ولشتان ما بين هذه اسما الفوز ويبس الاسم الفوز
بعد الايمان الذي توجب غضب الديان ودخول النيران
وعيش الخزي والهوان وتلك اسما توجب نيل الرحمن ودخول
الجنان والفوز بالرضوان فلو لم يكن في شرف المسمى على سائر نوع الانسان
فلو لم يكن في عقوبة المعصية الا استخفاف تلك الاسماء
وموجباتها لكان في العقل ما يزع عنها ولو لم يكن في ثواب الطاعة
الا الفوز بتلك الاسماء وموجباتها لكان في العقل ما يحث
بها ولكن لما اعطى لا تعطل لما منع ولا موقف لما
بعد ولا مستعتب لمن قرب ومن يهن الله فما له من مكرم
ان الله يفعل ما يشاء فصل ومن عقوباتها
انها توثر بالخاصة في نقصان العقل ولا تجد عاقلين
احدهما مطيع لله والاخر عاص الا وعقل المطيع منهما اوفر

والعقل

والكل وفكره اصح ورأيه اسدد والصواب قرينه ولهذا نجد خطاب
القرآن انما هو مع اولي العقول والالباب لقوله فاتقون يا اولي الالباب
وقوله فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا وقوله انما يتذكر
الا اولوا الالباب ونظائر ذلك لنبئه وكيف يكون عاقلا
وان العقل من يعصي من هو في قبضته وفي داره وهو يعلم انه يراه
ويشاهده فيعصيه وهو يجيئه عن متواري عنه ويستعين بنعمه
على مساخطه ويستدر بكل وقت غضبه عليه لعنته له وابعاده
من قربه وطرده عن بابه واعراضه عنه وخذلانه له والغلبة بينه
وبين نفسه وعدوه وسقوطه من عينه حرمانه دوح رضاه وحب
وقرة العين بحسن النظر اليه بجواره والنظر الى وجهه في دار اوليائه
الى اضعاف اضعاف ذلك من عقوبات اهل المعصية واي
عقل لمن انزل له ساعة او يوم او دهرهم ينقضي كأنه حلم
لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة الدنيا
والاخرة ولولا العقل الذي يقوم به على الحجة لكان ممتنع
الجانبين بل قد تكون العاقبين اجسن حالا منه واسلم عاقبة
فهذا من هذا الوجه واما تأثيرها في نقصان العقل المعيشي
فلولا الاشتراك في هذا النقصان لظهر لطيفا نقصان

عقل عاصيا ولكن الحاجة عامة والجنون فنون وما اعجبنا
لو صحت العقول لعلمت ان طريق تحصيل اللذة والفرحة المسرة
وطيب العيش انما هو في رضا من النعم كلها في قضاء الاله
العذاب كلها في سخطه وعصيانه ففي رضاه قرة العيون ومسرة
النفوس وحياة القلوب وراحة الارواح وطيب الحياة ولذة
العيش والطعم للنعيم ما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا
لم يف به بل اذا حصل للقلب من ذلك انسة بقرب الله رضي
بالدنيا وما فيها عوضا عنه ومع هذا فهو بتمام نصيبه من الدنيا
اعظم تنعم المترفين فيها ولا يشوب تنعمه ذلك الخطر اليسير
ما يشوب تنعم المترفين من الهموم والغموم الا حوال
والمعارضات بل قد حصل على النعمين وهو يتقلب بنعمتين
احدى اعظم منهما وبما حصل له في حال ذلك من الالم فالامر
كما قال الله تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون
من الله ما لا يرجون فلا اله الا الله ما انقص عقل من باع
الدر بالبعر والمسك بالجيف ومن افقه الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ممن افقه الذي غضب
الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا

فصل

ومن اعظم عقوباته انه يوجب القطيعة بين
العبد وبين ربه تبارك وتعالى واذا وقعت القطيعة انقطعت عنه
اسباب الخير واتصلت به اسباب الشر فاي فلاح وای
رجاء واي عيش لمن انقطعت عنه اسباب الخير وتقطعت به وبين
وليه ومولاه الذي لا غنى له عنه طرفة عين ولا بد له منه ولا عوض
له عنه واتصلت به اسباب الشر وحصل فانه وبين اعدا عدو له
فولاه عدوه وتخلا عنه وليه فلا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع
والاتصال من انواع الالام وانواع العذاب قال
بعض السلف واتاه احد ملوك بني امية سجانه وبين الشيطان
فان اعرض عنه تولاه الشيطان وان تولاه الله لم يقدر عليه
الشيطان وقد قال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه
وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا يقول
سبحانه لعباده انا امرتكم اجمعين بسجود ادم تعظيما له وتكريما
وامرت ملائكتي كلهم ان يسجدوا له تشريفا فاطاعوني
واباه عدوي وعدوه ففصى امري وخرج عن طاعتي فكيف يحسن بكم
بعد هذا ان تتخذوه وذريته اولياء من دوني فتطيعوه في معصيتي

وقوا لوه في خلاف رضاني وهم اعداء عدوكم فوالوهم عدوي وعدائكم
معاداته ومن والى اعدا الملك كان هو اعدا له عنده شواهد ان
المحبة للشيء لا تتم الا بمعاداة اعدا المحبوب وموالاة اوليائه
ان يوالي اعدا الملك يدعي انه يوالي له فهذا محال هذا لو لم
يكن عدو الملك عدوا له فكيف اذا كان عدوه على الحقيقة
والعداوة التي بينه وبينكم اعظم من العداوة التي بين الشاة
والذئب فكيف تتوهم العاقل ان يوالي عدوه وعدو ربه ومولاه
الذي لا مولى له سواه وبنبه سبحانه على تضعيف الموالاة بقوله ذهم
الا عدو كما نبه على قبح بقوله معشوقي عن مربيه فتبين ان
عداوته لربه وعداوته لنا كل منهما سبب يدعو الى معاداته
فما هذه الموالاة وما هذا الاستدراج من الظالم بد لا
وينبغي ان يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف
محبب وهو اي عادة الملبس اذا لم يجد لابد لآدم مع ملابسه
فكانت معاداته لاجلهم كان عاقبة هذه المعاداة ان
عقد لهم سلم وسنه عقد المصالحة **فصل** ومن
عقوباتها انها تمحو بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة
وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة تمحو بركة الدين والدنيا فلا

تجد افل بركة في عمره ودينه ودنياه من عصى الله وما محقت البركة
من الارض الا بمعاصي الخلق قال تعالى ولو ان اهل الكتاب
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وان العبد
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الحديث ان روح القدس نفث في روعي
انه لن يموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في
الطلب فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته ان الله جعل
الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك
والسخط وقد تقدم الاثر الذي ذكره احمد في كتاب الزهد
انا الله اذا رضيت بادنى لبس لركبي سهلي واذا غضبت لغضب
ولغضبي يدرك الشقي من اولادي سعة الرزق والعلم بكثرته
لاطول العمر بكثرة الشهور والاعوام لكن سعة الرزق والعمر المراد
فيه وقد تقدم ان عمر العبد هو منه حياته لا حياة لمن اعرض
عن الله واستحل بغير بل حياته ايام جزء من حياته فان حياة
الانسان بحياة قلبه وروحه لا حياة لقلبه الا بمعرفة
فاطره ومحبته وعبادته وحده والانابة اليه والطمأنينة بذكره
والانس به ومن فقد هذه الحياة فقد فقد الخير كله

ولو عوض عما تعوض عما في الدنيا بل لست الدنيا باجمعها عوضا
عن هذه الجباة فمن كل شئ يفوت العبد عوض واذا فاته الله لم
يعوض عنه شئ البتة وكيف يعوض المقيد بالذات عن الغني بالذات
والعاجز بالذات عن القادر بالذات والميت عن الحي الذي لا
يموت والمخلوق عن الخالق ومن لا وجود له لا شئ له من ذاته
البتة عن من غناه وحياته وكل وجود ورحمة من لوازم ذاته
وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة في من له ملك السماوات
والارض وانما كانت عصية الله سببا لمحق بركة الرزق الحلال
لان الشيطان موكل بها وباصحابها فسلطانه عليهم وحوالته على
هذا الديوان واهل الديوان واصحابه وكل شئ يتصل به الشيطان تقارنه
قد تكتنفه محوقة ولهذا شرع الله تعالى عند الاكل واللبس
والشرب والجماع والركوب لما في معارنه اسم الله من البركة
وذكر اسمه يطرد الشيطان فيحصل البركة لعدم المعارض له
وكل شئ لا يكون لله فبركته منتزعة فان الرب هو المبارك
يبارك وحده والبركة كلها منه وكل ما نسب اليه تبارك فكله
مبارك ورسوله مبارك وعبده المؤمن التقي خلقه
مبارك وبيته الحرام مبارك وكانت من ارضه هي الارض

البيضاء ارض البركة وصفها بالبركة في ست آيات من كتابه
فلا تتبارك الا وحده ولا تنازل الا لما نسب اليه اعني
الى الوهيته ومحبته ورضاه والا فما لكون خلق منسوب
الى ربوبيته وخلقه وكل ما باعده من نقمته من الاعيان والافعال
والاحوال فلا بركة فيه لا حسية ولا معنوية وكلما كان قريبا من ذلك
ففيه من البركة على حسب قربه منه وضد البركة اللعنة
فما رضي لعنة الله او شخص لعنه او عمل لعنه ابعد شئ من الخير
والبركة وكلما اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبب
فلا بركة فيه البتة وقد لعن عدو الله ابليس وجعل ابعد خلقه
منه وكلما كان من جهته فلم من لعنه الله بقدر قربه منه
واتصاله به فمن ههنا كان للعاصي اعظم اثر في محق بركة
العمر والرزق والعلم والعمل وكل وقت عصيت الله فيه او
مال عصي الله به او بدن او جاه او علم او عمل فهو على صاحبه
لبيل له فليتق عبد ربه وقوته ومال وجاهه وعلمه وعمله الا
ما الجاع الله به لهذا من الناس من يعيش في هذه الدار
ما يتهنى او نحوها كما ان منهم من يملك الفناطير المقنطرة
من الذهب والفضة فيكون ماله في الحقيقة بيلة الف درهم

أو نحوها وهكذا الجاه والعلم في الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو
متعلم وفي أثر آخر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما
كان لله منها هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان

فصل ومن عقوباتها أنها تجعل صاحبها من السفلة
بعد أن كان منها لأن كون من العلية فإن الله خلق
خلقه قسمين عليه وسفلة وجعل علين مشتقا من العلية واسفل
سافلين مشتقا من السفلة وجعل أهل طاعته للأعلين في
الدنيا والآخرة كما جعل أهل طاعة الرحمن خلقه عليه وأهل معصيته
أهون خلقه عليه وجعل العزة لمولاه والذلة والصغار لعدوه
في مسند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال جعل الذلة والصغار على من خالف أمري
فكلما عمل العبد بمعصية نزل إلى أسفل درجة لا تزال في
نزول حتى يكون من الأسفلين وكل عمل للعبد طاعة
ارتفع بها درجة لا تزال في ارتفاع حتى يكون من الأعلين
وقد جمع للعبد في إحياء الصعود من وجه والنزول
من وجه أيهما كان أغلب عليه كان من أهله فليس من

صعد بها درجة ونزل درجة واحدة ممن كان في العكس ولكن
عرض هنا للنفوس غلط عظيم وهو أن العبد قد تنزل نزولا
بعيدا لا حد ما بين المشرق والمغرب وما بين السماء والأرض
لا تفي صعوده ألف درجة هذا النزول الواحد كما في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن العبد ليتكلم بالكلمة
الواحدة لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق
والمغرب فأي صعود يوازي هذه النزلة النزول إنما الأزم
للإنسان لكن من الناس من يكون نزوله إلى أسفله فقد
متى ليستقيط من غفلته عاد إلى درجته أو إلى أدنى منها بحسب
يقظته ومنهم من يكون نزوله إلى مباح لا سوى به الاستعانة
على الطاعة فهذا متى رجع إلى الطاعة فقد يعود إلى درجته وقد
لا يصل إليها وقد يرتفع عنها فإنه يعود على همته كما كان وقد
يكون لضعف همته وقد يعود همته كما كانت ومنهم من يكون
نزوله إلى معصية أنما إلى صغيرة أو إلى كبيرة فهذا يحتاج
في عوده إلى درجته إلى توبة نصوح وإنابة صادقة وإخلاص
للناس هل يعود بعد التوبة إلى درجته التي كان فيها بناء
على أن التوبة تمحو آثار الذنب وتجعل وجود العبد منه

فكانه لم يكن اولا يعود نيا على التوبه ما نزعها في استقاط العفو
واما الدرجه التي فاته فانه لا يصل اليها قالوا ونعم يرد لك انه
كان مستعدا باستعماله الطاعه في الزمن الذي عصى فيه
لصعود اخر وارتفاع تحمله اعماله السالفه ممن لو كتب الرجل
كل يوم تحمله ماله الذي يملكه لما ضاعف المال لضاعف
الربح فقد سلح عليه من المعصيه ارتفاع وربح تحمله اعماله
فاذا استانف العمل استانف صعودا من نزول وكان
قيل ذلك صاعدا من علو دسها بون عظيم قالوا ومثل ذلك
رجلان مرتفعان في سلم من لا يتماديهما سواء فنزل
احدهما الى اسفل درجه اخذ في استيانفا الصعود فان
الذي لم ينزل يجلو عليه لا محاله وحكم شيخ الاسلام ابن تيميه
رحمه الله من الطاعه نوعا حكما مقبولا فقال التحقيق
ان من الناس من يعود الى ارفع من درجته ومنهم من يعود
الى مثل درجته ومنهم من لا يصل الى درجته قلت وهذا
حسب قوه التوبه وكمالها وما احدثته المعصيه للعبد من
الذل والخضوع والانابه والحذر والخوف من الله والبكاء
من حسنته فقد تقوى هذه الامور حتى تعود بالعبد الى

ارفع من درجته وتصير بعد التوبه خيرا منه قبل المعصيه وهذا قد
تكون المعصيه بجنبه رحمه فارفع نفسه عنه داء العجب وخلصته
من ثقته بعمله وحاله ووضعته خضع اعتماده وذله وانكساره
على عتبه باب سيده ومولاه وعرفته قدره واشهدته فقره
وضروريته الى حظ سيده له والى عفوه عنه ومغفرته له ولعل
من قلبه حوله الطاعه وكسب انفه ان يشمخ بها او يتكبر بها او
يرى نفسه بها خيرا من عبد زلت قدمه بين يدي ربه بوقوف للحظه
بين يدي من هو اعلم به منه واقدر عليه منه وارحم به منه
وحلاوه محقق الطاعه مسقط المعصيه فدعوى نفسه بالنقص
والذم وربه مفرد اما المال والحمد الوفا وما قيل ◎

استتر شاسع الحمد الوفا ودلي الملامه الرجلا ◎

فاي نعمه وصلت من الله اليه اسلمت بها على نفسه وراى نفسه
دونها ولم يرها اهلا واي نعمه اولى به وصلت اليه وراى نفسه
اهلا لما هو ارفع منها وراى مولاه قد احسن اليه اذ لم يعاقبه على قدر
جرمه ولا شطره لا اذ خرد منه فانما اسقطه من
العقوبه لاحمله الحمال الماشاقه فضلا عن هذا العبد
الضعيف العاجز فان الذنب وان صغر فان مقابله العظيم

الذي لا شئ اعظم منه الكتاب الذي لا شئ ارحم منه الكريم الذي لا
احل بنته لا اجل المنعم لجميع اصناف النعم دقها وجلها
من اتقه للامور واضعها واشنعها فان تقابل العطاء والاحلا
وشادات الناس مثل ذلك يستفحل احدهم من دكاف
وارذل الناس واسقطهم مروه من قابلهم بالرد اقبل فكيف
بعظيم السماوات والارض ومالك السماوات والارض له
اهل السماوات والارض ولولا ان رحمته غلبت غضبه
ومعفرته سبقت عقوبته لما لنزلت الارض بمن قابله
بما لا يليق مقابلته ولولا حلمه ومعفرته لزلزلت السماوات
والارض من معاصي العباد قال الله تعالى ان الله يمسك السماوا
والارض ان تزولا ولان زالتا ان امسكهما من احد من بعده
انه كان حليما غفورا فتامل ختم هذه الاية باسمين من اسمائه
وهما الحليم الغفور تجد تحت ذلك انه لو لا حلمه عن الجنا
ومعفرته للخطاة لما استقرت السماوات والارض وقد
اخبر سبحانه وتعالى عن بعض كفر عباده انه تكاد السماوات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقد
احرج الله سبحانه الابوين من الجنة بذنب واحد ارتكباه وجالفا

فيه نهيه ولعن ابليس طرده واخرجه من ملكوت السماء والارض بمجرد
مذنب اذنبه وخالف فيه امره ونحن معاشر الحمقى نفعل
تفعل الذنوب الى الذنوب وتترجى درك الجنان لزيم النعيم الخالد
ولقد علمنا انه قد اخرج الابوين [illegible] مذنب واحد
والمقصود ان العبد قد يحرم بعض التوبة جزاء ما كان قبل الخطيئة
وارفع درجة وقد تضعف الخطيئة همته ونوهن عزيمته وتمرض قلبه
فلا يهوى دواء التوبة على اعادته الى صحته الاولى فلا تعود الى درجته
وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت وتعود الى مثل
حاله فيعود الى درجته هذا كله اذا كان نزوله الى معصيته
فان كان نزوله الى معصية تفتح في اصل ايمانه مثل الشذوذ
والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود الا بتجديد
الاسلام من رأس **فصل** ومن عقوباتها انها تحتري
على العبد من لم يكن يحتري عليه من اصناف المخلوقات فتحتري
عليه الشياطين بالاذى والاغواء والوسوسة والتخويف والتحزين
وامساكه عما له مصلحة في ذكره ومعرفته في نسيانه فتحتري عليه الشياطين
حتى توقعه في معصية الله اذا احتوى عليه شياطين الانس بما
تقدر الله من ازاله نعمته وحضوره وتحتري عليه اهله وخدمه

واولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم قال بعض السلف اني
اراك عصي الله فاعرف ذلك في خلق امراتي ودابتي لذلك يحتاج
اولبا الامر عليه الى القوة التي ان عدلوا اقاموا عليه حدود
الله وحتري عليه نفسه فتساسد عليه وتستصعب عليه فلو
اراد الحق لم يطاوعه لم ينقده ولم يسوقه الى ما فيه هلاكه
شاكم ابي وذلك ان الطاعة حصن الرب تبارك وتعالى
الذي من دخله كان من الامن فاذا فارق الحصن اخذ اعليه
قطاع الطريق وغيرهم وعلى حسب اجتنابه عن معاصي الله يكون
اخذهم اياه فالموفق من عليه ولسنا له شيء يردعه
فالذل الله وطاعته والصدقة والانفاق للجاهل والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقايه يرد عن العبد بمنزلة القوم الذين يرد
الارض وتعاد منها اذا سقطت القوم على وارد المرض فكان
الهلاك والاهلاك للعبد من شيء يردعه فان موجبات السيئات
والحسنات تتدافع وتكون الحكم للغالب كما تقدم وكلما
قوي جانب الحسنات كان الرجاء وان الله يدفع عن الذين
امنوا والايمان قول وعمل فيجب قوة الايمان بكون الدفع اقوى
للشيطان فصل ومن عقوباتها اعني الخطوب

العبد احوج ما يكون الى نفسه فان كل احد يحتاج الى معرفة ما
ينفعه ويمانضره في معاشه ومعاده واعلم الناس اعرفهم بذلك
على التفصيل واتمهم للسهم من يوبي على نفسه وارادته فاستعملها
فيما ينفعه وكفها عما يضره وفي ذلك تفاوت معارف الناس
وفهومهم ومنازلهم فاعرفهم من كان عارفا باسباب السعادة
والشقاوة وارشدهم من انزه هذه على هذه كما ان اسعدهم من عكس
الامر المعاصي تحوف العبد احوج اما كان الى نفسه في
تحصيل هذا العلم واتنا والحظ الاشرف الغالب الدائم على
الحظ الحسيس الادنى المنقطع يحجبه الذنوب عن كمال العلم وعن
الاشتغال بما هو اولى به وابقى له في الدار فاذا وقع في
مكروه واحتاج الى التخلص منه خانه فلم ينفعه وجوارحه
وكان بمنزلة رجل معه سيف قد عشيه الحرب ولزم قرابه
عشية لا يخدم مع صاحبه اذا احتاج به فعرض له عدو يريد
قتله فوضع يده على قائم سيفه واجتهد لتجريده فلم يخرج معه فذهب
العدو وظفر به فكذلك القلب يصدي بالذنوب والحرب وتصدأ
بالخطايا فاذا احتاج الى محاربة العدو به لم يجد معه منه شيئا
والعدو انما يحارب ويصاول وتقدم بقلبه الجوارح تتبع القلب

فاذا لم يكن عندك ما تدفع به هذا الظن فكذلك النفس اذا
تحتشمت لشهوات المعاصي وضعف عن النفس المطمئنة وان كانت
الامارة تقوى وتشتد وكلما قويت هذه ضعفت تلك سبق
الحكم والتصرف للامارة وربما ماتت نفس المطمئنة موتا لا
يرجى معه حياة فهذا معنى قولنا ميت في الدنيا ميت في الاخرة خسر في
الاخرة حياة منتظرة بل حياته حياة يدرك بها الالم فقط
والمقصود اذا قوي في نفسه او رآه أو لقيه خافه قلبه ولسانه
وجوارحه عما هو انفع شيء له فلا يحدث قلبه للتوكل على الله والانابة
اليه والخشية عليه والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه
فلا تطاوعه لسانه لذكره وان دل لسانه لم يجمع بين قلبه
ولسانه فيحتبس القلب عن اللسان بحيث يوشك الذكر ولا يحسن
اللسان عن المذكور بل ان ذل او دعا ذل بغلبة استاء
عاقل ولو اراد من جوارحه ان تعينه لطاعة امتنع عنه
لم يساعده ولم تطاوعه وهذا كله اثر الذنوب والمعاصي
ثم لو حدثه نفسه بالتوبة عن الاعداء فاهل حدثه وضيعهم
واضعفهم وقطع اخبارهم ثم اراد منهم عند هجوم العدو
عليه ان يساعدوه وينهضوا في الدفع عنه بغيرة فوق هذا

وثم امر اخوف من ذلك وادهى منه وامر وهو انه يحول قلبه ولسانه
عند الاحتضار والانتقال الى الله فربما يعدم علمه الحق
بالشهادة كما شاهدنا الناس كثيرا من المحتضرين اصابهم ذلك
حتى قيل لبعضهم قل لا اله الا الله فقال لا استطيع ان
اقولها وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال شناه لا اقول عليك
ثم قضى وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال ثوب فابل يوما وقد
تعبت كيف اقول ثم قضى وقيل لآخر قل لا
اله الا الله فجعل يهذي بالعاب ويقول نانا سنا حتى قضى
وقيل لآخر ذلك فقال وما يغني ما تقول ولم ادع معصية
الا ركبتها قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك فقال وما يغني عني
وما اعرف اني صليت لله صلاة قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك
فقال هو كافر بما تقول وقضى وقيل لآخر ذلك فقال لما اردت
ان اقولها ولساني يشير عنها واخذني من حضر بعض الشياطين
عند موتي فجعل يقول لله فليس لله فليس حتى قضى واخبرني
بعض العارفين رآه لما احتضر وهو عنده وجعلوا يلقنونه
لا اله الا الله وهو يقول هذه القطعة وحجة هذه مشتري حتى
هذه لذا حتى قضى وسبحان الله لم نشاهد الناس من هذا

عبة الذي يخفى عليهم من احوال المحتضرين لان عظم واعظم واذا كان
العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال ادراكه قد يمكن منه
الشيطان واستعمله فيما يريده من معاصي الله وقد اغفل قلبه وعطل
لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط
قوته واستيلاء ضعفه على نفسه كما هو مشاهد من الم النزاع وكمال
الشيطان له على قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال
منه فرصته فان ذلك العدو فوي ما يكون عليه سلطانه في ذلك
الوقت اضعف ما يكون هو من ذلك الحال فمن ترى يسلم على ذلك
فهنالك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فكيف
يوفق خاتمة من اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه
وكان امره فرطا وقد سمعت من قلب بعبد الله غافل عنه متعبد
لهواه اسير لشهواته ولسان فاتر عن ذكره وجوارح معطلة
عن طاعته مستعملة بمعصيته ان يوفق لخاتمة الحسنى
ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المقربين وكان المسيئون الظالمون
قد اخذوا توقيعا بالامان تام للعاقبة فان علمنا بالغيب
يوم القيمة ان لكم لما تحكمون سلم ايهم بذلك زعيم

يا اتباع قبح الفعل منه اهل انا كل يوقع ايمن انت تملكه
وجمعت شمس انا واتباع هوى هذا واحد اهما المرتبله
والمحتوم على رب المحاون تدنسا رواذ لك دربا ستنبلكه
وفرط في الزرع وقت البذر من سفه يجف عند حصاد الناس تندكه
كهذا واعجبي شيء فيك زهدك في دار البقاء بعيش سوف تتركه
من السفيه اذا بالله انتم المغبون في البيع عنا سوف تندكه

فصل من عقوباتها انها تعمي القلب فان لم تعمه صعفته
لا بد وقد تقدم بيان انها تضعفه ولا بد واذا عمي القلب
وضعف طاه من معرفة الهدى وقوته فان الكمال الانساني
مداره على اصلين معرفة الحق الباطل والتمييز بينهما
فاذا فقد منه ما دل الخلق عند الله في الدنيا والاخرة الاعتقاد
فاذا فقد منا دلهم على هذين الامرين وهما اللذان اثنى الله سبحانه
على انبيائه بهما في قوله واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب
اولي الايدي والابصار الايدي في الامر والابصار في الدين الايدي القوى
التي تنفذ الحق والابصار البصائر التي يدرك بها كمال
ادراك الحق وكمال سببه واقسم الناس على هذا المقام
اربعة اقسام فهؤلاء اشرف اقسام الخلق ادراكهم على الله

القسم الثاني عكس هؤلاء لا بصيرة في الدين ولا في عمل مفيد
الحق وهم الذين زينتهم فذى العيون
وحسن الارواح وتسقم القلوب يصيفون الديار ويخلون
الامصار ولا يستفاد بصحبتهم الا العار والشنار
القسم الثالث من له بصيرة بالحق ومعرفة به لكنه ضعيف
لا قوة له على نفسه ولا الدعوة اليه وهذا حال المؤمن
الضعيف والمؤمن القوي خير واحب الى الله منه القسم
الرابع من له قوة وهمة وعزيمة لكنه ضعيف البصيرة
في الذين لا تكاد تميز بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان
بل تحسب كل سنا ذائبة وكل بيضاء شحمة تحسب الورد
شحما والدرداء الباغ سمنا وليس في هؤلاء من يصلح للامامة
في الدين لا هو ولا موضعها سوى القسم الاول قال
الله تعالى وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
وكانوا بآياتنا يوقنون فاخبر سبحانه ان بالصبر واليقين
نالوا الامامة في الدين وهؤلاء هم الذين استثناهم الله
سبحانه من جملة الخاسرين واقسم ان العصر الذي هو زمن
سعي الخاسرين في الارض ان من عداهم فهو من الخاسرين

فقال الا

ت
فقال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحا
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فلم يكتف منهم بمعرفة الحق
والصبر عليه حتى يوصي بعضهم بعضا به ويرشده اليه ويحضه
عليه واذا كان من عداهم لا محالة خاسرا معلوم ان المعارف الذي
يعمى بصيرة القلب عن ادراك الحق اما بغي وضعف قوته وعزيمته
ولا بصيرة عليه بل قد توارد على القلب حتى يتغلغل اذ زاله
كما ينكت نكتة فيدرك الباطل حقا والحق باطلا والمعروف
منكرا والمنكر معروفا فيتكلس قلبه ويرجع الى الله عن
سفر الدار الآخرة الى سفره الى مستقر الموتى المبطلة
التي رضيت بالحياة الدنيا واطمأنت بها وغفلت عن آياته
واياته وتركت الاستعداد للغاية التي لم تكن في عقول
الذنوب الا هذه العقوبة وحدها لكانت اجنبة الى
تركها والتعدي اليها المستحيلان هذا كان
الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله وتقويه وسنة حتى
تصير كالمرآة المجلوة الصافية جلاها وصفاها فيتمثل
فيها الغاوي الشيطان بعينه اصابته من نور ما
تصيب حتى في السمع من الشهب التي قذف بها الشيطان

يفرق من هذا القلب استار من فرق الذئب من الاسد حتى
ان صاحبه ليصرع الشيطان فيخرج صريعا فيجتمع عليه الشياطين
فيقول بعضهم لبعض ما شانه فيقال اصابه انسي وربما نظر من
الانس فيما نظر من قلب حي فيعود فيكاد له الشيطان فيوقعه في
الفتنة فيستوي هذا القلب وقلب مظلم ارجاؤه مخالفة اهوائه
قد اخذه الشيطان في طبقة اعدة تمكنه اذا نجع طلعته حياء
وقال عليه السلام لا تغلبني دنياه ولا اخراه

قرنبل في الدنيا والحشر بعدها فانت قرين لي بكل مكان ٥

فان لك في دار الشقاء منيتي جميعا في شقي وهوان ٥

قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم
ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون فاخبر سبحانه ان من يعشو عن
ذكر وهو ما جاء به الذكر الرسول فاعرض عنه وصد عنه وعشي عن
نصيبه عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه فيقيض الله له شيطانا
يعوقه عما خلق له فاعراضه عن ذكره هو سبب الذكر لاقترانه في
الاقامة لاني المسير وعمله الذي هو سبب المولى وسبب العشو

وصبغ ليان تذكر ام نقاشها ما سهم دراج عوض تبرق ٥

ثم اخبر سبحانه ان الشيطان يصد قرينه ودليه عن سبيل الموصل
اليه والى جنته بحسب هذا المال المصدود عنه على طريق هذا
حتى اذا جاءنا اقر بان يوم القيمة يقول احدهما الله وبالتثنية
وبينك بعد المشرقين فبئس القرين حيث قال في الدنيا اضلاني
عن الهدى بعد اذ جاءني وصدني عن الخير واعوانني حتى هلكت
وبسبب الاضلال والغواية قال اليوم واذ كان المصاب واحدا اشار اليه في
مصيبة حصل بالتاسي نوع تخفيف وسلية اخبر سبحانه ان
هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشتركين في العذاب وان
الواحد لا يحتمل احدا ولا ادنى فرج من عذاب قرينه معه وان كانت
المصائب في الدنيا اذا عمت صارت سلوة كما قال الخنساء في اخيها صخر ٥

فلولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي ٥

وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي ٥

ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون فصل

ومن عقوبات الاعراض ان من الانسان بعده عدو في جبلته
يعوقه به عن حزبه وذلك ان الله سبحانه اسلم هذا الانسان بعد
لا يفارقه طرفة عين ليلا ولا نهارا عن نيام عنه ويغفل ولا يغفل عنه

له هو وسيله من حسنات لا يراه سدل جهده في معاداته وفي كل حال
لا يدع امرا يكيده به يقدر عليه الا اوصله اليه ويسعى
عليه بني آدم من سماطين الجن وغيرهم من شياطين الانس فقد
نصب له الحبائل ونصاه العوائل ومدحوله الاشراك ونصب له
الفخاخ والشباك وقال لاعوانه وجنوده عدوكم وعدو ابيكم
لا تفوتنكم لاجل حظه الحسنه وحظكم الابدي ونصيبه الجنه ونصيبكم
اللعنه وقد علمتم انما جرى على عدوكم من الخزي واللعن والابعاد
من رحمة الله فبسببه ومن اجله فاجتهدوا ان تكونوا
شركاءه في هذه البليه اذ قد فاتتنا شركه صاحبهم في الجنه
وقد علمنا سبحانه ذلك كله من عدونا وامرنا ان نأخذ له اهبته
ونعد له عدته لما علم سبحانه ان آدم وبنيه قد بلوا هذا العدو
وانه قد سلط عليهم امده من عساكر وجنود يلعونه ويلعن عدوهم
ايضا جنده وعساكره يلعنهم ابدا فاقام سوق الجهاد في هذه
الدار وجعله العمل الذي هي بالاضافة الى الاخرة كنفس واحد
من انفاسهم واشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنه يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
واخبر ان ذلك وعد موثوق عليه في التوراة

والانجيل والقرآن واخباره الاول بعهده منه سبحانه بما يوفي
ان يستشري اهل هذه الصفقه التي من ازاد ان يعرف قدرها فلينظر
الى المشتري من هو والى الثمن المبذول في هذه السلعه الى
من جرى على يديه هذا العقد فاي فوز واعظم من هذا واي تجاره
اربح منه ثم الله سبحانه وتعالى هذا الامر بقوله يا ايها الذين آمنوا
هل ادلكم على تجاره تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر
لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبه
في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله
وفتح قريب وبشر المؤمنين ولم يسلط سبحانه على العدو على
عبده المؤمن الذي هو احب انواع المخلوقات اليه الا لان
الجهاد احب شيء اليه واهله ارفع الخلق عنده درجات واقربهم هذا
الى الله وسيلة فعقد سبحانه لواء الحرب لخلاصه مخلوقاته
وهو العلم الذي هو محل معرفته ومحبته وعبوديته والاخلاص
له والتوكل عليه والاستناد اليه فقوله وامر هذا الحرب وآيته عند
من الملائكة لانفاذ قوته معقبات من بين يديه ومن
خلفه يعقب بعضهم بعضا فلما ذهب بذل جاء بذل احمد

مستوره وبارزته بالخذ بحضوره عليه ومجده ونصره امر الله
ونصيره ويقولون انما هو صبر ساعة وقد اشتد حتى راحة
لا بد ثم امده سبحانه بخمسة آلاف من الملائكة بل وحيه وكلامه فارسل
الله رسوله وانزل اليه كتابه فاورد قوه الى قوته ومدده
الى مدده وعدده الى عدده وابيح له ذلك بالعقل ودبره له ومهده
وبالمعرفة مشى عليه بالصحة له وبالايمان مشى له وموهده
وناصره وبالقرآن كاشفه له عن حقيقة الامر حتى كانه يعاين
ما وعد الله به اولياءه وحذر به عدوه فجمع داعية العقل مدبر امره
حسبته المعرفة صحة امور الحرب واسبابها وموانعها اللائقة
بها والايمان نيته وقوته وصبره والقرآن تقدمه وتعمل
به الحملات الصادقة ثم امده سبحانه العالم بهذا الحرب
بالقوى الظاهرة والباطنة فجعل الاذن طليعته والاذن
صاحب خبر واللسان ترجمانه واليدان والرجلان اعوانه
واقام ملائكته وحملة عرشه يستغفرون له ويسألون
له ان يقيه السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه
الدفع والدفاع عنه بنفسه وقال هو لاحزبي وحزب
الله هم المفلحون وهو لا جندي وان جندنا لهم الغالبون

وعلم سبحانه عباده كيف هذا الحرب والجهاد فجمع لهم قرابين ثمانية
فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله
لعلكم تفلحون ولا يتم امر هذا الجهاد الا بهذه الامور الاربعة
فلا يتم له الصبر الا بمصابرة العدو وهي مواقعته ومنازلته
فاذا صابر عدوه احتاج الى المرابطة وهي لزوم الثغر الذي
القلب وحراسته ليلا يدخل منه العدو ولزوم ثغر العين
الاذن واللسان والبطن والفرج والرجل فهذه الثغور يدخل
العدو بعضها من خلال الذي يليه وبعضها ما قد عليه والمرابطة
لزوم هذه الثغور ولا يخلي مكانا منها فيصادفه العدو والثغر
خاليا فيدخل منه كما لم يزل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير الخلق بعد النبيين والمرسلين واعظمهم حماية وحراسة من المستطار
وقد اخلوا المكان الذي امروا بلزومه يوم لحد فدخل
منه العدو فكان ما كان وحماية هذه الثلاثة وعمودها الذي
تقوم به هو تقوى الله تعالى فلا تنفع الصبر المصابرة ولا المرابطة
الا بالتقوى ولا تقوم التقوى الا على ساق الصبر فانظر الى
فشل الفئة الجبانة واضطراب العسكر وكيف
تدل على ذلك وتدل عليك اذا قابلت ملك الموت وعساكره

توحد القلب في حصنه جالسًا على كرسي مملكته امرها قد
في اعوانه وجنده فدعوا به فاتوا به معه وبدأوا يقولون عن
حوزته فلم يمكنه القوم عليه لاجتماع بعض اراءه وجنده
عليه فسأل عن اخص الجند به واقربهم منه منزلة فقيل له هي
النفس فقال لاعوانه ادخلوا على من مرادها وانظروا
مواقع محنتي وما هو محبوبها فعدوها به وسموها اياه واقتفوا
صوره المحبوب فيها في بعثها ومنامها فاذا الطمانت اليه
وسكنت عنده فاطرحوا على قلبه الشهوة وخاطبيه
ثم جروها بالبلم فاذا خامرت على القلب وصارت معكم عليه
ملكتم بتغر العين والاذن واللسان واللمم واليد والرجل فرابطوا
على هذه الثغور كل المرابطة ومتى دخلتم من ال القلب فهو
قتيل او اسير او جريح مثخن فاطرحات ولا تحكموا هذه
الثغور ولا تمكنوا من يدخل من ال القلب فيخرجكم منها
وان علتم فاجتهدوا واضعافا لنفس وقهرها حتى
تضل ال القلب وان وصلت اليه وصلت ضعيفة لا تعي عينه
شيئا فاذا استولتم على هذه الثغور فامنعوا ثغر العين
ان تكون نظرة اعتبار بل اجعلوا نظرة فكر واعتبارا

ذلها فان استرق نظرة عين فاجعلوها عليه بنظرة العقله
والاستحسان والشهوة فانه اقرب اليه واعلق بنفسه
واخف عليه ودلكم ثغر الاذن فان منه تنالون بغيتكم فاني
ما افسد بني ادم بشيء مثل النظر فان ابذره في القلب
بذر الشهوة ثم اسقيه بماء الامنية ثم لا ازال اعهده
واتعهده حتى افوق عن عزمته واقوده زمام الشهوة الى
الانخلاع من العصمة فلا تهملوا امر هذا المعشر
واستدركوه بحسب استطاعتكم وهو اعلم امره وقولوا له
ما مقدار نظرة تدعوك الى تسبيح الخالق والتامل لبديع
صنعته وحسن هذه الصورة التي انما خلقت لتستدل
الناظر عليه وما خلق الله لك العين بيدي وما خلق
هذه الصورة لتجري عن النظر وان نظرتم فليكن العلم قاسد
العقل فقولوا هذه مطهر من مطاهر الحق ومحل من محالبه
فادعوه الى القول بالاحاد فان لم يقبل فالقول بالحلول
القائم او الخاص ولا تقنعوا منه بدون ذلك فانه نصب
بدمن اخوان الجبارية وجيشها لعنة الله
والعباد والزهد في الدنيا واصطادوا عليه الجمال فهذا

من قرب حلفاي ارجندي بل انا من جنده اعوانه فصل
ثم اسمعوا نعم الاذن ان يدخل منه ما نقد علمكم الا وقد اجتهدوا
ان لا يدخلوا منه الا الباطل فانه خفيف على النفس يستخليه
ويستملحه ويجريه اعذب الالفاظ واسحرها الالباب
وارجوز ما هوى النفس ركابا والقوا الحلم فان دانهم منه
اصغا اليه من جهلهم واخوانهم وكلما صادفتم منه مستحسنا
شيئا فالقوا اذكره وانا لم ان يدخل من هذا المغرس شيء من
كلام الله او كلام رسوله او كلام الصحابة فان
عليتم على ذلك ودخل من ذلك شيء فحولوا ابنه وذهنه
وتدبره والتفكر فيه والعظمة اما ما دخل صدقه عليه
واما بتهويل ذلك وتعظيمه لان هذا امر قد حيل بين النفوس
وبينه فلا سبيل لها اليه وهو حمل ثقيل على لا يستقل به
ويحول ذلك اما وخاصة على النفوس فان الاستقبال
ينبغي ان يكون انهم ما هو اعلى عند الناس واجل عليهم واعجب
عندهم وزينه القائلون له الزوا اما الحق فهو مجهول
وقائله متعرض نفسه للعداوة الراجح من الناس والى
بالاباطل ويحول ذلك قد خلون عليه في كل قائل يقبله ويحقه

عليه ويخرجون له الحق في كل قالب يحرهه وشغل عليه واذا
شئت ان تعرف ذلك فانظر الى اخوانهم من شياطين
الانس كيف يحرجون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
في قالب لذيذ للقبول وتتبع عثرات الناس والتعرض
من البلايا ما لا يطيقون القاء النفس من الناس ويحولون ذلك
ويخرجون اتباع السنة ووصف الرب سبحانه بما وصف
نفسه ووصف به رسوله في قالب التجسيم والتشبيه والتكييف
ويسمون على الله على خلقه واستواءه على عرشه وبينونته
لخلوقاته تحيزا ويسمون نزوله الى سماء الدنيا وقوله
من يسألني فاعطيه تحركا وانتقالا ويسمون ما وصف
نفسه من اليد والوجه اعضاء وجوارح ويسمون ما يقوم
من افعاله حوادث وما يقوم به من صفاته اعراضا ثم
يتوصلون الى نفي ما وصف به نفسه بنفي هذه الامور
ويوهمون الاغمار وصفها البصائر ان اثبات الصفات
التي نطق بها كتاب الله وسنة رسوله يستلزم هذه الامور ويحولون هذا
التعطيل في قالب التنزيه والتعظيم والى الناس صعفاء
العقول يقبلون الشيء بلفظ ويردونه بعينه بلفظ اخر قال

الباطل

تعالى ولذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اسمعاه زخرفا
وهو الباطل لان صاحبه يزخرفه ويزينه ما استطاع وملقنه
الى سمع المغرور وسمعه يريد والمقصود ان الشيطان يدلس
تغفل الاذن تدخل ما يضر العبد ولا ينفعه ويمنع ان يدخل
اليها ما ينفعه وان دخل خواسه افسده عليه **فصل**
ثم يقول قوموا على ثغر اللسان فانه الثغر الاعظم وهو قبالة
الملك فاحذروا عليه من الكلام ما يضر ولا ينفعه وامنعوه ان
يجري على سنن مما ينفعه من ذكر الله تعالى واستعماله ولآلائه
كتابه وبحمد عباده او التكلم بالعلم النافع ويقول لكم في
هذا الثغر امران عظيمان لا تنالون منهما خيرا تحرم احدهما العلم
بالباطل فان المتكلم بالباطل اخ من اخوانكم ومن لم يحذر
واعوانكم الثاني السكوت عن الحق فان السائل عن
الحق اخ لكم اخرس كما ان الاول اخ ناطق وربما كان الاخ
الثاني انفع لاخويكم لكم لما سمعتم قول الناصح المتكلم بالباطل
شيطان ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالباطل
الباطل على هذا الثغر ان تتكلم بحق او تمسك عن باطل وبنوا

له الظلم والباطل بكل طريق وحرفوه من الكلام الحق بكل طريق
واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهلك منه بني آدم
والبهم منه على مناخرهم في النار وكم لي من قتيل وابسير
وجريح اخذته من هذا الثغر وادخلته جهنم بوصية فاحفظوها
لينبغي احدكم على لسانه اخرس الانس بالكلام ويكون للاخر
على لسانه السامع فينطق باسمحسانه ويخطئ والتحسين منه
ويتكلم من اخيه اعاذها ولنوا عوا انا عمل الانس بكل
طريق وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد
اما سمعتم قسمي الذي اقسمت به لهم حيث قلت فبما
اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من
بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد
اكثرهم شاكرين اوما تراني قد قعدت لابن آدم بطريق
عبده حتى اصبت منه حاجتي او بعضها وقد حذرهم كل
رسولهم فقال ان الشيطان قد قعد لابن آدم باطرقه كلها
فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتذر دينك ودين
اباءك فخالفه واسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر
ارضك وسماءك فخالفه وهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال

تجاهد فسبيل فيقسم المال وتنكح الزوجة فهكذا فاقعدوا
لهم بكل طريق الخير فاذا اراد احدهم ان يتصدق فاقعدوا
له على طريق الصدقة وقولوا له اترى نفسك تخرج المال فتنفق مثل
هذا السائل وقصة بعد قصة انت وهو سواء اوما سمعتم ما الله
على لسان رسوله اذا اراد احدكم ان يتصدق فليعطه فقال هل لكم الينا
ان اعطيناكموها ان تسلكوا واقعدوا لهم على طريق الحج فقولوا
لهم نفوسكم تخافه ستعرض سالها لتلف النفس والمال
وهكذا فاقعدوا على سائر طرق الخير لتقرنهم وذل
صعوبتها فاقعدوا على طرق المعاصي فحببوها في
اعين بني ادم وزينوها في قلوبهم واجلبوا الى اعدائكم
على ذلك الفساق من ابواب فادخلوا عليهم فسم الحوف منهم
لكم الموانع الدين والرحلين فامنعوها ان تبطش
بما نهاكم او تمشي فيه واعلموا ان ازعجتكم على الدوام هذه
النفوس بمصالح النفس للاماء فاعنوها واستعينوا
بها واللذوها واستمدوا منها واذا نوا منها على حرب النفس
المطمئنة فاجهدوا في كسرها وابطال قواها لا تستقيل
الى ذلك الا بفطم موادها عنها فاذا انقطعت موادها وقلت

مواد النفس الامارة وبطاعتكم اعوانها فاستولوا القلب من
حصنه واعزلوه عن مملكته وحولوا مكانه النفس فانها لا
تأمر الا بما يهوونه ويحبونه ولا تحبل بما يكرهونه البتة
مع انها لا تخالفهم في شيء يشترون به على بل اذا اشتهى
شيئا بادرت الى فعله فان احسستم من القلب منازعة
الى تملكه وارادتهم الامر من ذلك فاعقدوا انتم وبين
النفس عقد النكاح فزينوها وجلوها واردوها اياه في
احسن صوره عروس توجد وقولوا له ذق طعم هذا الوصال
والمتع هذه العروس كما ذقت طعم الحرب وباشرت مرارة
الطعن والضرب ثم وازن بين لذة هذه المساهلة ومرارة تلك
المحاربة فدع الحرب بضع اوزارها فلست بيوم ومعصي
وانما هو حرب متصل بالموت وقوالي الصعف عن كل حرب
دايم واستعينوا يا بني محمد بن عظيم من لن تغلبوا معهما احدا
جند الغلبة فاعقلوا اقلوب بني ادم عن امة والله الا حد
بكل طريق فليس لكم شيء ابلغ في تحصيل غرضكم من ذلك فان
القلب اذا غفل عن الله بكم تمكنتم من اغوائه بالشهوات
الشهوات فزينوها في قلوبهم وحببوها في اعينهم وحولوا

عليهم بالحسد من فلس لكم من بني آدم إلهين اثنين واسمعوا
على الغفلة بالشهوات وعلى الشهوات بالغفلة واقتلوا بين العائلين
ثم استعينوا بهما على الذل ولا تغلبن أحد خمسة فان مع
العافلين شيطانا من صار واربعة وشيطان الذل معهم
واذا رأتم جماعة مجتمعين على ما نهاكم من قبل الله وذل الله اياكم
ونهيه وذبه وكم تقدرون على تفريقهم فاستعينوا عليهم ببني
جنسهم من الانس البطالين ففرقوهم منهم وشوشوا عليهم بهم
وباكلهم فاقعدوا للامور اقراءها وادخلوا على كل واحد من
بني آدم من باب إلهه وشهوته فساعدوه بعلمكم وتوهموا
له على تحصيلها واذا كان الله قد نهاهم ان صبروا لهم وصابروهم
وبرابطوا عليكم الثغور فاصدوا وصابروا ورابطوا عليهم
الثغور واسهروا وضحكم فيهم عند الشهوة والغضب فاكثر من
تصادفون بني آدم في اعظم من هذين الموطنين واعلموا ان معهم
بكون سلطان الشهوة عليه اغلب وسلطان غضبه
ضعيف منهم فتحذروا عليه طريق الشهوة ودعوا طريق
الغضب ومنهم من يكون سلطان الغضب عليه اغلب فلا تخلوا
طريق الشهوة قبله لا تخطوا بهذا فان من لم يملك نفسه

عند الغضب فانه بالحري ان لا يملك نفسه عند الشهوة وزجروا
بين غضبه وشهوته وارجوا اخذهما بالاخر وادعوه الى الشهوة
من باب الغضب والى الغضب من طريق الشهوة واعلموا انه
ليس لكم من بني آدم سلاح ابلغ من هذين السلاحين وانما
لغحت ابوكم من الجنة بالشهوة وانما لعنت العداوة بين
اولادهم بالغضب فيه وطعنت ارحامهم وسفكت دماؤهم
وبه قتل احدهم اخاه واعلموا ان الغضب جمرة في قلب
ابن آدم والشهوة فارة تثور من قلبه انما تطفأ النار بالماء
والصلاة والذكر والتكبير فابلغوا ان يكون ابن آدم عند
غضبه وشهوته من ذكر الله على وجل والصلاة فان ذلك يطفئ
عنهم نار الغضب والشهوة وقد امرهم بهم ذلك فقال
ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الم ترا حمرار عينيه وانتفاخ
اوداجه فمن احس ذلك فليتوضأ وقال لهم انما تطفأ النار
بالماء وقد اوصاهم الله ان يستعينوا عليكم بالصلاة
يحولوا بينهم وبين ذلك واستعينوا انتم عليهم بالصلاة
والغضب الله ان اسلحتكم فيهم وانكاها الغفلة واتباع الهوى
واعظم اسلحتهم فيكم وانفعها حصونهم ذكر الله ومخالفة الهوى

فاذا رايتم الرجل محافظا لهوله فاهربوا من طلاقه لا تتزوجوا بنته
والمقصود ان الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها
العبد اعداءه ويجنيهم على نفسه صفيا ملونة بسلاحه وكون
معهم على نفسه وهذا غاية الجهل ما تبلغ الاعداء من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه ومن العجايب ان العبد يسعى
جهده في هوان نفسه وهو يزعم انه لها مكرم ويجتهد في ضياعها
على حظوظها واشرفها وهو يزعم انه يسعى في حظها ويبذل
جهده في تحقيرها وصغرها وتدسيتها وهو يزعم انه يعليها
ويرفعها وكما كان بعض السلف يقول في خطبته
الارث مهين لنفسه وهو يزعم انه لها مكرم ومذل لنفسه
وهو يزعم انه لها معز ومصغر لنفسه وهو يزعم انه لها مكبر
ومضع لنفسه وهو يزعم انه مراح لحفظ ونكن بالمرء جهلا
ان يكون مع عدو على نفسه يبغي مع نفعه ما لا يبلغه
عدو والله المستعان

فصل في عقوبات

اما عقوبة العبد نفسه واذا نسي نفسه اهملها وافسدها
واهلكها فان قيل كيف ينسى العبد نفسه واذا نسيها
فاي شيء يذكر وما معنى نسيانه نفسه قيل

نعم نسيها نسيانا يقال تعالى لا تكونوا كالذين نسوا
الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فما نسوا
ربهم سبحانه بنسيانهم وانساهم انفسهم فقال تعالى نسوا الله فنسيهم
فعاقبهم سبحانه من نسيه عقوبتين احداهما انه سبحانه
نسيه والثانية انه انساه نفسه ونسيانه سبحانه للعبد
اهماله وتركه وخذله عند اضاعته فالهلاك ادنى اليه
من اليد للفم والما انساه نفسه فهو انسان حظوظها
العالية واستيثار سعاداتها وفلاحها وصلاحها وانكاك
به عن ذلك جميعه فلا حظ لها ولا يجعل على ذكر ولا
تصرف اليه همته فرغ عنه فانه لا تمر بباله حتى يعتقد
ونوته على نفسه ايضا فنسيه عيوب نفسه ونقصها
وافاتها فلا حظ لها بمعالجة ذلك وايضا نسيه امراض
نفسه وقلبه والامها فلا حظ لقلبه بمداواتها ولا
السعي في ازالة علتها وامراضها التي تؤول به الى الهلاك
والهلاك كهو مريض متخن بالمرض وهو مرضه مستمر به
الى التلف والاستمرار بمرضه ولا حظ له بمداواته
وهذا من اعظم العقوبة العامة والخاصة فاي عقوبة

اعظم من عمره من اهل بعثه وصنعه وسنى مصالحها ودواها
ودواها واسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها وحياتها
الابدية في النعيم المقيم ومن تامل هذا الموضع تبين له ان اكثر
هذا الخلق قد سووا انفسهم حقيقة وصيروها واضاعوا
حظها من الله وباعوها رخيصة بثمن بخس بيع العبد انما
نظر لهم هذا عند الموت ونظر كل الظهور يوم التغابن
يوم ينظر للعبد انه غبن في العقد الذي عقده لنفسه
في هذه الدار والخسارة التي اخرجها لمعاده فان كل احد
تجر في هذه الدنيا لاخرته فالخاسرون هم الذين يعتقدون انهم
اهل الربح وانما تشترى الحياة الدنيا وحظهم فيها وايثارهم
بالاخرة وحظهم فيها فاذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا
واستمتعوا بها ورضوا بها واطمانوا اليها وكان سعيهم لها
فباعوا واستبدوا واخروا ما عوا اجلا عاجلا ونسيئة
بنقد وغاليا برخيص وقالوا هذا هو الحزم وبقول احدهم

خذا بطن هرشا سمعت به ◎

وليس حاضرا فقد اشتاهته في هذه الدار غائب نسيئة
في دار اخرى غيرها وبيني وبين ذلك ضعف الامان فتى داعي

السهو ومحبة العاجلة والنسية بنى الحسن فان الخلق في هذه
الخانة الخامسة التي قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
وقال فيهم ما زخرف تجارتهم وما كانوا مهتدين فاذا كان
يوم التغابن ظهر لهم الغبن في هذه الخانة فسقط على النفوس
حسرات فيا لها الحسرات فيا بوا فاساءوا وخسئوا
بنفوس وحقروا بعظيم وقالوا يا مقدار هذه الدنيا
لو كان اجلها حتى يبلغ حظنا من الله والدار الاخرة
فكيف بما نال العبد منها في هذا الزمن القصير الذي هو
في الحقيقة لعمر حلم لا نسبة له الى دار البقاء التي قال
تعالى يوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون
بينهم وقال تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها
فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من
يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
وقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا
ساعة من نهار وقال تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم

الا قليلا لو انكم تعلمون وقال تعالى يوم تنفخ في الصور
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا تخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا
نحن اعلم بما يقولون اذ يقول مثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما
فهذا حقيقة هذه الدنيا عند من افناه الله عما علموا قلة
لبثهم فيها وان لهم دارا غير هذه الدار هي دار الحيوان وهي دار
البقاء وامن اعظم العون على دار البقاء بدار الفناء فاخرجوا
بخاله الاجناس ولم تعتروا بخاله السفهاء منا الناس فظهر
لهم يوم المعاينة ربح تجارتهم ومقدار ما استشروه وبخل الجدير
في هذه الدنيا بما هو مستقر ومتجر وكل الناس يغدو فبائع نفسه
فموبقها او مبتاع نفسه فمعتقها ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن
ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
وذلك هو الفوز العظيم فهذا اول نقد من ثمن هذه البضاعة
فتاجروا ايها المفلسون وبادروا من لا تقدرون على هذا الثمن هيهنا
ثمن آخر فان كنت من اهل هذه البضاعة فاعط هذا الثمن
التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون

فطول

الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في
سبيل الله باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون فالمقصود ان الذنوب مبتنى العبد حظه من
هذه البضاعة الرابحة ويشتملها بخاله الخاسرة ولولا عفوه
والله المستعان **فصل** ومن عقوباتها انها
تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل
وتمنع الواصل فان نعم الله ما حفظ موجودها بمثل
طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فان ما عنده
لا ينال الا بطاعته وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببا وانه
سببا لحفظه وافقه تبطله فحفظ اسباب نعمه الحالية بها
طاعته وافقاؤها بمعصيته واذا اراد حفظ نعمته على عبده
الهمه رعايتها بطاعته واذا اراد زوالها عنه خذله
حتى عصاه بها ومن البين على العبد ذلك مشاهدة في
نفسه وغيره وسماعا لما غاب عنه من اخبار من ازيلت نعم
الله عنهم بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كانه مستثنى من

هذه الجملة ومخصوص من هذا العموم وكان هذا ارجاع على
الناس لاعمله وواصل الى الخلق لا الله فاي جهل ابلغ من هذا
واي ظلم للنفس فوق هذا والكلام تتمة لقول الخير

فصل

ومن عقوباتها انها لا تباعد عن العبد وليه الذي خلق له
وانعم له ومن سعادته في قربه منه وهو الملك الموكل به
ومدنى منه عدوه واعظمهم ضررا له وهو الشيطان
فان العبد اذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر ذلك المعصية
حتى انه ليباعد عنه بالكلية الى الابد فيسلمه بعيدا وفي
بعض الآثار اذا اذنب العبد تباعد الملك منه ميلا من نتن
ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كلمة واحدة
فما ذا يكون مقدار بعده منه بما هو اكبر من ذلك واعظم منه
وقال بعض السلف اذا ذهب الذنب الذي عجب الارض
الى الله وهربت الملائكة الى ربها وشكت اليه عظيم ما نزلت
وقال بعض السلف اذا اصبح العبد اشتد الملك
والشيطان فاما الشيطان فانه يقول يا ويله ما اصنع بهذا
ويولول واما الملك فانه يذهب الملك عنه ويقول للشيطان
ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير اكبر همه والغلبة

والطاعة له فتقول له الملائكة في حياته وعند موته وعند بعثه
كما قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما
تدعون فالملك يوصل الخلق اليهم وانهم منه وعلمه وقوى خيره
وايده قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين
امنوا وتقول له الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر
بالذي يسرك وتثبته بالقول الثابت حتى ما يكون اليه في
الحياة الدنيا وعند الموت وفي القبر وعند المسألة فليس احد
انفع للعبد من صحبة الملك وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته
وعند موته وفي قبره وموانسه في وحشته وصاحب خلوته
ومحدثه في سره يحارب عنه عدوه ويدافعه عنه ويعينه
عليه ويحبب اليه الخير وشره اليه ويحثه على العمل الذي يناله
جاء في الاثر الذي يروى مرفوعا وموقوفا ان الملك يقلب
اربعة لمة للشيطان فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق
بالوعد ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا
استقر قرب الملك من العبد تكلم على لسانه وتكلم على

القول السيء اذا بعد منه وقرب منه الشيطان تكلم على لسانه
والذي عليه قول الزهاد المحققين حتى يرى الرجل يتكلم على لسانه
الملك والرجل يتكلم على لسانه الشيطان وفي الحديث ان
السكينة تنطق على لسان عمر وكان احدهم يسمع الكلمة الصالحة
من الرجل فيقول ما ألقاها على لسانك الا الملك ويسمع ضدها
فيقول ما ألقاها على لسانك الا الشيطان والملك يلقي الى القلب
ويخطر على اللسان والشيطان يلقي الباطل في القلب ويجري على
اللسان فمن عقوبة المعاصي ان يسعد من العبد قلبه
الذي يشقاه في ربه ويحاربه ويواليه ويشقى من يسعد
الذي يشقاه ويهلك ونفسه في قربه وموالاته حتى
ان الملك ليتباعد عن العبد العبد ويتأذى عليه اذا آذاه عليه
السفيه وسببه كما اختصم رجل من بني البني صلى الله عليه وسلم فجعل
يحمل احدهما يسب الآخر وهو ساكت فتكلم فكلمه يرد بعض
على صاحبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لما
رددت عليه بعض قوله قمت فقال كان الملك ينافح عنك فلما
رددت عليه جاء الشيطان فلم اكن لاجلس اذا جاء الشيطان
المسلم لاحبه لطهر العبد من الملك على دعائه فقال ولكن

مثله واذا فرغ من قراءة الفاتحة استأذن الملك على دعائه اذا اذن
العبد المؤمن الموحد المسبح لسيده وسنه رسوله المستعف
لحملة العرش ومن حوله واذا قام على وضوء ثالث في شعار ملك
ملكا المؤمن يذب عنه ويحارب ويدافع ويخذله ويشتمه ويستخفه
فلا يلتفت اليه ان يستجره ويسامحه في ازالة وطره عنه فاذا جاءه
فانه ضيفه وجاره واذا الزم الضيف من الاذى والاحتقار
الى الجار من لوازم الايمان وموجباته فما الظن باكرام
الرب للاضياف وجزاء الجيران واكرامهم واذا ذهب العبد
الملك بنواح المعاصي والظلم الفواحش دعا عليه ربه وقال
لا جزاك الله خيرا كما تدعوا له اذا اكرمه بالطاعة والاحسان
قال بعض العلماء ان يعلم من لا يفارقكم ولا يستحيي
منكم اكرموهم ولا الأم بمن لا يستحيي من الكريم العظيم
القدير ولا يخافه ولا يتقيه وقد نبه سبحانه على هذا المعنى
بقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فهؤلاء
الحافظين الكرام الكاتبين عودوهم واجلوهم ان يروا منكم ما يكرهون
ان يراهم عليه من هو مثلكم الملائكة ينادي مناديهم ما ينادي منه
بنو آدم فاذا كان ان آدم ينادي ممن يفجر وبعض من يديه

مديه وان كان قد يعمل مثل عملها الظن بادئ الملائكة الكرام
الكاتبين والله المستعان فصل ومن عقوباتها
انها تسلب مرادها لان العبد في دنياه اخرته فان الدنيا
هي الارض التي استحكمت حلقات ولابد وكان الله لا يحب
حبجا الاعتداء بحفظ قوته واستفراغ مستفرغ المواد
الفاسده والاخلاط الرديه التي متى علت عليه افسدته
وحسبه مسح ما من شانها ول ما تؤديه وعشى ضرره فكذلك
الله لا يتم حياة الاعتداء من الاعمال الصالحه
بحفظ قوته واستفراغ بالتوبه النصوح مستفرغ المواد
الفاسده والاخلاط الرديه منه وحسبه توجب لحفظ الصحه
ويجتنب ما يضادها وهي عباره عن ترك استعمال ما يضاد
الصحه والتقوى اسم يتناول هذه الامور الثلاثه فمامات
منها مات من التقوى بقدره واذا استوفى هذا الدنيوي صفاته
لهذه الامور الثلاثه فاته يستفرغ المواد المؤذيه ويوجب
التخليط الصادر للجسم ومع الاستفراغ بالتوبه النصوح
فاطرأ ان بدن عليه قدر ما كان عليه الاخلاط ومواده
المرض وهو لا يستفرغها ولا يجتمع لها ما تكون معه ونفاذ

ولقد احسن القائل جسمك الحميه حصنه مخافة من الم طارئ
وكان اولى بك ان تحمي المعاصي خشية النار
فمن حفظ القوى بامتثال الاوامر واستعمال الحميه باجتناب
النواهي واستفراغ التخليط بالتوبه النصوح لم يدع للخلد مطلبا
ولا من الشر مهربا والله المستعان فصل
فاذا لم ترتدع هذه العقوبات ولم تحملها ما تراه في قلبك فاحضر
العقوبات الشرعيه التي شرعها الله ورسوله على الجرائم كقطع اليد
في سرقة ثلاثة دراهم وقطع اليد الثاني في قطع الطريق على معصوم
المال والعضو وشق الجلد بالسوط على كل قذف لمحصن او
قطع خمر يدخلها جوفه وقتل بالخمار اشتد العلاب في ادلاج
الحسيفه في فرج حرام وحتف هذه العقوبه عمن لم تنم عليه
نعمه الاحصان بما يحله وتفرسه عن وطنه وبلده الى
بلاد الغربه ووقوفه بين ابن العبد بدونه اذا وقع على ذات
رحم محرم منه او ترك الصلاه المفروضه او تكلم بكلمة كفر
وامر بقتل من وطئ ذات محرمه وقتل المفعول به وامر بقتل
من اتى بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت المتخلفين
عن الصلاه في الجماعه وغير ذلك من العقوبات التي رتبها على

الحرام وحسب الوازع عنها فما كان الوازع عنه طبعا وليس
في الطباع داع اليه النفي صبه التحريم مع التعزير ولم يرتب عليه حدا
كاكل الجيف وشرب الدم واكل الميتة وما كان في الطباع
داع اليه رتب عليه من العقوبة بقدر مفسدته ويقدر داعي
الطبع اليه ولهذا لما كان داعي الطباع الى الزنا من اقوى
الدواعي كانت عقوبته العظمى من اشنع القتلات واعظمها
وعقوبته للبكر اعلى انواع الجلد مع زيادة التغريب لما
كان اللواط فيه الاران كان جنسه القتل بكل حال ولما كان
داعي السرقة قويا ومفسدتها لذلك قطع فيها اليد وتامل
حكمته في افساد العضو الذي باشرته الجناية كما اقيد
على قاطع الطريق بيده ورجله اللتين بهما قطعه لم يقتد على العاقر
لسانه الذي جنى به اذ مفسدته قطع يده تربد على مفسدة الجناية
ولا يبلغها فالنفي من ذلك كالام جمع بدنه بالجلد فان قيل فلا
اقيد على الزاني وجه الذي باشرته المعصية قيل لوجوه
احدها ان مفسدة ذلك تربد على مفسدة اكتساب ادنى طرفي
السبل وتربو عليها كما ان القتل عقوبة عضو مفسود
لا عضو يقطعه مقصود الحد من الردع والزجر لامثاله

من الجناة قطع اليد الثالث انه اذا قطع يده ابقي له يدا اخرى
تعوض عنها بخلاف الزنا الرابع ان لذة الزنا عمت جميع البدن
فكان الاحسن ان تعم العقوبة جميع البدن وذلك اولى من
تخصيص بضعة منه بعقوبات الشارع حاث على اتم الامرين
وادعى للعقل والطبع الى الموازنة بالمصلحة المقصودة ان الذنوب لما تنوعت
العقوبات الشرعية او القدرية او جمعها الله للعبد وقدر بعضها
عن بعض باحسن فصل وعقوبات الذنوب نوعان العقوبات
شرعية وقدرية فاذا اقيمت الشرعية رفعت القدرية او خففت
ولا تكاد رب تعالى يجمع على العبد بين العقوبتين الا اذا لم
ينف احداهما بتوبة تمحو الذنب ولم تكفر في ذلك اذا
عطلت العقوبات الشرعية اسحالت قدرية وربما كانت اشد
من الشرعية وربما كانت توبة وكفارة تعم والشرعية تخص فان
الرب تبارك وتعالى لا يعاقب شرعا الا من باشر الجناية
او تسبب اليها واما العقوبة القدرية فانها تعم عامة وخاصة
فان المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت ضرت
الخاصة والعامة اذا رأى الناس المنكر فاستطالوا في
ذلك ولم ينكروه اوشك ان يعمهم الله بعقابه وقد تقدم ان

العقوبة الشرعية ستزعه الله سبحانه على قدر مفسدة الذنب
وتفاوتها وجعل سبحانه ملئة انواع القتل القطع
والجلد وجعل القتل بازاء الكفر وما يليه وتقرب منه وجعل ان نا
واللواط فان هذا تفسد الادميان وهذا تفسد الانساب
ونوع الانسان قال الامام احمد لا اعلم بعد القتل ذنبا
اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله بن مسعود انه قال
لرسول الله اى الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو
خلقك قال قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خافة ان
يطعم معك قال قلت ثم اى قال ان تزاني حليلة جارك
فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
الآية والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر من كل نوع اعلاه ليطابق
جوابه سؤال السائل فانه سأله عن اعظم الذنب فاجابه
بما تضمن ذكر اعظم الانواع وما هو اعظم كل نوع فاعظم انواع
الشرك ان تجعل العبد لله ندا واعظم انواع القتل
ان يقتل ولده خشية ان يشاركه في طعامه ومشربه
واعظم انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة ان

تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق فان زنا الرجل الى
زوج اعظم اثما وعقوبة من زنا الى لا زوج لها اذ فيه انتهاك
حرمة الزوج وافساد فراشه وتعليق نسب عليه لم يكن
منه وغرج لذلك من انواع اذاه فهو اعظم اثما وجرما من ان
يعبث بأنثى لا بعل فان كان زوجها جارا له اضاف الى
ذلك سوء الجوار وادى جاره باعلى انواع الاذى ولذلك
من اعظم البوائق وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم اية قال
لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه لا بائقه اعظم من
ان يزني بامرأته قال فما اعظم من ذلك قال ان يأتي
من زنا بامرأة الجار فان كان الجار اخاه او قريبا من
اقاربه انضم الى ذلك قطيعة الرحم فيتضاعف الاثم فان كان
الجار غائبا في طاعة الله كالجهاد وطلب العلم والحج تضاعف
الاثم حتى ان زنا بامرأة الغازي في سبيل الله توقف له يوم
القيمة ويقال خذ من حسناته ما شئت فما الظن صلى
الله عليه وسلم فما ظنكم اي ما ظنكم انه يترك له من حسناته
قد حكم لي ان آخذ منها ما شاء على شدة الحاجة الى
حسنة واحدة جبلة لا يترك الاب لابنه ولا الصديق

لعدم نفعه حقا عجله عليه فان اتفق ان تكون الجراحة منه اضاف
الى ذلك بطبعه جرما فان اتفق ان يكون الزاني محصنا كان
الاثم اعظم فان كان شيخا كان اعظم اثما وهو احد الثلاثة
الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فان اتفق
ان يكون ذلك في مسجد حرام او بلد حرام او وقت معظم عند
الله كما وقت الصلوات وارقات الاحابة تضاعف الاثم
وعلى هذا فاعتبر مفاسد الذنوب تضاعف درجاتها في الاثم
والعفو والله المستعان **فصل** وجعل سبحانه
القطع جزاء افساد الاموال الذي لا يمكن الاحتراز منه فان
السارق لا يمكن الاحتراز منه لانه ياخذ المال في اخفاء
وستر الدور وبيوت عن غير الابواب فهو كالسنور او
الحية التي تدخل عليك من حيث لا تعلم فلم يرتفع مفسدة
اليها الا بقطع اليد فهي اخف المفسدتين
لانها العضو الذي يتسلط به على الجناية وجعل الجلد جزاء افساد
العقول وتمزيق الاعراض بالقذف فقد اردت عقوبات سبحانه
التي رتبها على هذه الانواع الثلاثة كما ادرت الكفارات
على ثلاثة انواع العتق هو اعلاها والاطعام السلام ثم

انه سبحانه جعل الذنوب ثلاثة اقسام وسمى فيه الحد
وهذا لم يسم فيه الا القتال الحد وسمى ما ترتب عليه حدا
منها ما سمى فيه القاءه كالوطء في الحيض والوطء في الاحرام
والصيام وقتل الخطاء والحنث في اليمين وعد ذلك وسمى ما لم يرتب
عليه حد الا القاءه وهو نوعان احدهما ما كان الواجب عنه
جميعا كاكل العذرة وشرب البول والدم والثاني ما كانت
مفسدته ادنى من مفسدة ما رتب عليه الحد كالنظر واللمس
والقبلة والمجادنة وشرفه فليس بحرام ذلك وشرع الكفارة
في ثلاثة انواع احدها ما كان مباح الاصل عرض تحريمه
مباشرته في الحال التي عرض فيها التحريم كالوطء في الاحرام والصيام
وطء الوطء في الحيض والنفاس بخلاف الوطء في الدبر فلهذا
كان الحاق بعض الفقهاء له بالوطء في الحيض لا يصح فانه لا يباح
في وقت دون وقت فهو بمنزلة اللواط وشرب المسكر
النوع الثاني ما عقده الله من نذر او ما الله من يمين او
حرمه الله ثم اراد حله فشرع الله سبحانه حله بالكفارة وسماها
حلة وليست هذه الكفارة واجبة لهتك حرمة الاسم بالحنث
كما ظنه بعض الفقهاء فان الحنث قد يكون واجبا وقد يكون

سبحانه وقد يكون مباحا وانما الفاه حل لما عقد النوع
الثالث ما يكون محرما فانه يكفاه قتل الخطا وان
يكن هناك اثم ويكفاه قتل العبد خطا فان ذلك من باب
الجوائر النوع الاول من باب الزواجر النوع الوسط من
باب التحلة لما منعه العقد لجمع الجمعة الكفاه في معصيته
بل كل معصية فيها حد لا كفاه فيها وما فيه كفاه لا حد فيه
وهل يجتمع الحد والكفاه في المعصية الثلاث حد فيه خلاف
وهذا كالوطء في الاحرام والصيام ووطء الحايض اذا اوجبنا
فيه الكفاه فقتل بحث التعزير لما انتهك من الحرمة يوجب
الخناه وقيل لا تعزير في ذلك لانتفاء الكفاه لانها جابرة واجبة

فصل واما العقوبات المقدرة فهي نوعان نوع
على القلوب والنفوس ونوع على الابدان والاموال والى عقوبات
القلوب نوعان احدهما الاثم وحده بضرب من القلب
والثاني قطع المواد التي يمكن صلاحه عنه اذا
قطعت عنه حصل له اضدادها وعقوبة القلوب
ابتدا العقوبة من وهي اصل عقوبة الابدان وهذه العقوبة
نوعان تتراءى بشري من القلب الى البدن كما يشرى

سرى الم البدن الى القلب فاذا فارقت النفس البدن صار
الحكم متعلقا بها فظهرت عقوبة القلب حينئذ وصارت
عيانه ظاهرة وهي المسماة بعذاب القبر ونسبته الى الروح
كنسبة عذاب الاعضاء الى هذه الدار **فصل** والى
على الابدان ايضا نوعان نوع في الدنيا ونوع في الاخرى
وسنذكرها وادوية بحسب معاشدها شقت عليه في الشدة والخفة
فليس في الدنيا والاخرة شر اصلا الا الذنوب وعقوباتها
فالشر اسم لذلك كله واصله من شر النفس وسيات الاعمال
وهما الاصلان اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ
منهما في خطبة نحو قوله ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيات
اعمالنا وسيات الاعمال من موجبات الذنوب فعاد الشر كله
الى شر النفس فان سيات الاعمال من موجباته وثمراته
وقد اختلف في معنى قوله من سيات اعمالنا هل معناه
السيي من اعمالنا فيكون من باب اضافة النوع الى جنسه
ويكون بمعنى من وقيل معناه من عقوباتها التي تسوء فيكون
المقدر من عقوبات اعمالنا التي تسوء ما ورجح هذا القول
ان الاستعاذة تكون لدفع جميع الشر فان شرور

الانفس بشلم الاعمال السيئه وهي تشمل العقوبات السيئه
فنبه بشرور الانفس على ما تقتضيه من قبح الاعمال والتقذر بها
منه اذ هو اصل ثم ذكر غايه المتقذر منها وهو السيات التي اسو
العبد من عمله من العقوبات والالام فتضمنت هذه الاستعاذه
اصل الشر وفرعه وغايته ومقتضاه ومن دعا الملائكه
للمومنين قولهم وقهم السيئات ومن قي السيات يومئذ فقد
رحمته فهذا يتضمن طلب وقايتهم من سيات الاعمال وعقوباتها
الى تستوعب احاطته سبحانه بمن وقاهم اصل السيئ وقاهم
جزاه السيئ ان كان قوله ومن قي السيات يومئذ فقد رحمته
اظهر في عقوبات الاعمال المطلوب وقايتهم يومئذ وان قيل
فقد سالوه سبحانه ان يقيهم عذاب الجحيم وهذا هو وقايه
العقوبات المستقبله قلنا ان المراد بالسيات التي
سالوا وقايتها الاعمال السيئه ويكون الذي سالوه الملائكه
نظير ما استعاذ منه صلى الله عليه وسلم لامته في هذا وله يومئذ
وقاية المطلوب وقايه شرور سيات الاعمال لكل الموتم
وهي سيات في الدنيا قيل وقايه السيات نوعان احدهما
وقايه فعل ما الموقي ولا تصدر منه التاني وقايه جزائها

بالمغفره فلا حاقت على صفته الا بسوال الامرين الطرف
يقتضد للحمله الشرطيه لا الحمله الطلبيه وتامل ما تضمنه هذا
الخبر عن الملائكه من رحمتهم بالايمان في العمل الصالح والاحسان
الى المومنين بالاستغفار لهم وتقديم ابين يدي استغفارهم
توسلهم الى الله سبحانه بسعه علمه وسعه رحمته فسعه علمه
تضمن علمه بذنوبهم واتباعهم وصفاتهم عن المعصيه واستيلاء هواهم
وانفسهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا وزينتها
وعلمه بهم اذ انشاهم من الارض واذ هم اجنه في بطون
امهاتهم وعلمه السابق بانهم لا بد ان يعصوه وانه يحب العفو
والمغفره وغير ذلك من سعه علمه الذي لا يحيط به احد من خلقه
وسعته رحمته تضمن انه لا يهلك عليه احدا من المومنين به
اهل توحيده ومحبته فانه اتسع الجميع لا خرج عن دايره
رحمته الا الاشقياء الا اشقى ممن لم تسعه رحمته وسعت كل
شيء ثم سالوه ان يعرفهم النابين الذين اتبعوا سبيله وهو
صراطه الموصل اليه الذي هو معرفته ومحبته وطاعته فتابوا
مما يكره واتبعوا السبيل الذي يحبه ثم سالوه ان يقيهم عذاب
الجحيم وان يدخلهم المومنين من اصولهم وزوجهم وازواجهم

خطات عدن الى وعدهم وهو سبحانه وان كان لا يخلف
الميعاد فيه وعدهم بها بسبب من جملة دعاء
ملائكته لهم وان يدخلهم اياها مدخلوها رحمة الى منها
ان دعوهم لاعالهم واقام ملائكته يدعون لهم بدخولها
اخبر سبحانه عن ملائكته انهم قالوا عقيب هذا الدعوى انك
انت العزيز الحكيم اى مصدر ذلك وسببه وغايته
صادر عن كمال قدرتك وعلمك فالعزة كمال القدرة والحكمة
كمال العلم وهاتان الصفتان تقتضى سبحانه ما شاء وما يؤديهما ويثبت
ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق الامر
والمقصود ان عقوبات الرب تنوع الى عقوبات
شرعيه وعقوبات قدريه وهى اما فى القلب واما فى البدن
واما فيهما وعقوبات فى البرزخ بعد الموت وعقوبات
يوم حشر الاجساد فالذنب لا يخلو عقوبته البته ولكن
لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من العقوبة لانه بمنزلة
السكران والمخدر والنائم الذى لا يشعر بالالم فاذا
استيقظ وصحى احس بالم فذوقت العقوبات على
الذنوب كذوق الاجراق على النار والكبير على الانكسار

والاعتراض على الماء وفساد البدن على السموم والامراض على الاسباب
الحالبه لها وقد تقارن المرض للذنب وقد يتاخر عنه اما سببا
واما بقية فما يتاخر المرض عن سببه او تقارنه وكثيرا ما يقع
الغلط للعبد فى هذا المقام ويظن الذنب لا يرى اثره عقيبه
ولا يدرى انه احدث عليه من المرض شيئا فشيئا كما تعمل السموم
والاسباب الجالبة للحمى والقولنج فان يدا رأى العبد
ما لا يلائمه او الاستراح والجسد لا يهنأ صابا ل الملائكة
هذا اذا كان ذنبا واحدا لم يتدارك بما يزيل اثره فكيف
بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة والله المستعان

فصل فى بعض العقوبات التى توعد الله سبحانه
على الذنوب وحرمه وصول بعض البلاء واصل ذلك داعيا
للنفس الى هجرانها وانا اسوق لك منها طرفا يقف العاقل
مع القدر فى بعضه فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة
على الابصار والاقفال على القلوب وجعل الاكنة على قلوب
على القلب والطبع وتقلب الافئدة والابصار والحيلولة بين المرء
وقلبه اغفال القلب عن ذكر الله وانسا الانسان نفسه
وترك اراده الله تطهير القلب وجعل الصدر ضيقا حرجا

كانما يصعد في السما وصرف القلوب عن الحق وزيادة في مرضها
على مرضها وارتكاسها ونكسها حتى يعمى منكوسه كما ذكر الامام
احمد عن حذيفة بن اليمان انه قال القلوب اربعة قلب اجرد
فيه سراج يزهر وذلك قلب المومن وقلب اغلف فذلك قلب
الكافر وقلب منكوس فذلك قلب المنافق وقلب ممده
مادتان مادة ايمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما
ومنه التنبيط عن الطاعة والانقياد ومنه جعل القلب
اصم لا يسمع الحق ابكم لا ينطق به اعمى لا يراه فصار السبب
بين القلب وبين الحق الذي لا يسمعه غيره كالسبب بين الاذن
الاصم الاصوات وعين الاعمى الالوان ولسان الاخرس
والكلام وهذا يعلم ان الصمم والبكم والعمى للقلب اذات
والحقيقة الجوارح بالعرض والتبعية فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والبين المراد من العمى الحسي
عن البصر كيف وقد قال تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج وتولى ان جاءه الاعمى
واما المراد ان العمى التام في الحقيقة عمى القلب حتى ان عمى
البصر بالنسبة اليه كلا عمى حتى انه نفى نفيه بالنسبة الى كماله

قال عيسى ع

وقوته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي
يملك نفسه عند الغضب وقوله ليس المسلم بالطواف الذي ترده
اللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس ولا يفطن
له فيتصدق عليه ونظائره كثيرة والمقصود ان عقوبات المعاصي
تحول القلب عن اصم ابكم ومنها الخسف بالقلب كما عشف بالمكان
وما فيه فيخسفه الى اسفل السافلين فصاحبه لا يشعر وعلامة
الخسف به ان لا يزال الجور والاخوال السفليات والفاد وزات
والرذائل كما قال ان القلب الذي رفعه الله ووجه اليه لا يزال
جوالا حول البر والخير ومعالي الاعمال والاخوال والاخلاق
قال بعض السلف ان هذه القلوب جوالة فمنها ما يجول
حول العرش ومنها ما يجول حول الحشش ومنها مسخ القلب
فمسخ كما مسخ الصورة فصار القلب على قلب الحيوان الذي شابهه
في اخلاقه واعماله وطبيعته فمن القلوب ما مسخ على قلب خنزير
لشده شبهه صاحبه به ومنها ما مسخ على قلب كلب اوحمار او
حية او عقرب وعند الله هذا وكل نفس من عينه في قوله
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم قال منهم من يحول على اخلاق السباع العادية

ومنهم من يكون على اخلاق الكلاب واخلاق الحمار وراخلاق
الحمير ومنهم من يتطوس في شابه ما يتطوس الطاوس في ريشه
ومنهم من يكون بليدًا كالحمار ومنهم من يتزين على نفسه كالديك
ومنهم من يالف ويؤلف كالحمام ومنهم الحقود كالجمل ومنهم الذي
هو شر كله كالغنم ومنهم اشباه الذباب ومنهم اشباه الثعالب
الى تنوع اردعائها وتدبيره الله تعالى اهل الجهل والعمى بالجهل
ناه وبالكلب ثانية وبالانعام ثالثة ونوى هذه المشابهه
باطنًا حتى تظهر في الصوره الظاهره ظهورًا حقيقيًا يراه المتفرسون
وتظهر في الاعمال ظهورًا يراه كل احد ولا زال يقوى حتى يستتبع
الصوره فتقلب له الصوره فاذا رأى الله وهو المسخ التام فتقلب
الله سبحانه الصوره الظاهره على صوره ذلك الحيوان كما فعل
باليهود واشباههم ويفعل يوم من هذه الامه بمستحقيه فرده
فتبارك الله فسبحان الله كم من قلب منكوس صاحبه لا يشعر
وقلب ممسوح وقلب محسوف به وكم من مفتون بثناء
الناس عليه ومغرور بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه
وكل هذه عقوبات واهانه وظن الجاهل انها كرامه
ومنها مكر الله بالمال وخداعه للمخادع واستدراجه بالمستدرج

واز اغه لقلب الزايغ عن الحق ومنع نكس القلب حتى
يرى الباطل حقًا والحق باطلًا والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا
ويفعل ويرى انه يصلح ويصد عن سبيل الله وهو يرى انه يدعو
الى الهدى ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى انه على الهدى ويتبع
هواه وهو يرى انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات
الذنوب الجاريه على القلوب ومنع حجاب العلم عن الله تعالى
في الدنيا والحجاب الاخر يوم القيمه كما قال تعالى كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فمنعهم الذنوب ان يقطعوا المسافه منهم وبين قلوبهم
فيصلوا اليه فيردا ما يصلح ويزكي وما يفسدها ويثقلها
وان يقطعوا المسافه بين قلوبهم وبين ربهم فيصل القلوب
اليه فيفوز بقربه وكرامته ويقر به عينًا ويطيب به نفسًا
بل كانت الذنوب حجابًا بينهم وبين قلوبهم وحجابًا بينهم وبين
ربهم وخالقهم ومنع المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ
والعذاب في الاخره قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وفسرت
المعيشه الضنك بعذاب القبر ولا ريب انه من المعيشة

الضنك والاعتناء بما هو اعم منه وان كانت نكرة في
سياق الاثبات فان عمومها من حيث المعنى فانه سبحانه رتب
المعيشة الضنك على الاعراض عن ذكره فالمعرض عنه له من ضنك
المعيشة بحسب اعراضه وان تنعم في الدنيا فاضاف النعيم
ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب
والاماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وانما نوازع عنه
سكر الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة وان لم
ينضم الى ذلك سكر الخمر فسكر هذه الامور اعظم من سكر الخمر
فانه يفيق صاحبه ويصحو وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو
صاحبه الا اذا صار صاحبه في عيشة الضنك المعيشة
الضنك لا مرتقى لمعرض عن ذكر الله الذي انزله على رسوله
في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده ولا تقر العين ولا يهدأ القلب
ولا تطمئن النفس الا بالاله ومعبودها الذي هو حق وكل
معبود سواه باطل فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين
ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات
والله تعالى انما جعل الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل
صالحا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى

انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما
كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان والعمل الصالح الحياة الطيبة في
الدنيا والطيبة والحسنى يوم القيمة فلهم اطيب الحياتين وهم احيا
في الدارين فتأمل هذا وتأمل قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة الدنيا
حسنة والدار الآخرة نعم دار المتقين ونظيرها قوله وان
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل
مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله فقابل المتقون المحسنون
بنعيم الدنيا والآخرة وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين
فان طيب النفس وسرور القلب وروحه ولذته وانبساطه
وطمأنينته وانشراحه ونوره وسعته وعافيته من
الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم على
الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن اليه وقد كان يقول
بعض من ذاق هذا لو علم الملوك وابناء الملوك
ما نحن عليه لحاربونا عليه بالسيوف وقال آخر انه
ليمر بالقلب اوقات فأقول ان كان اهل الجنة في
مثل هذا انهم لفي عيشة طيب وقال آخر ان في الدنيا
جنة هي في الدنيا كالجنة في الآخرة فمن دخل جنة

الجنة ومن لم يدخلها لم يدخل جنة الله فقد اشار النبي صلى
الله عليه وسلم الى هذه الجنة لقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال ايضا من مبتدى
ويبقى روضة من رياض الجنة لا يظن ان قوله تعالى ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم في دوام الملائكة واي لذة ونعيم
في الدنيا أطيب من براءة القلب وسلامة الصدر ومعرفة
الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل العيش الا
الحمقة الا عيش القلب السليم وقد اثنى الله على خليله بسلامة
قلبه فقال وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم
وقال حاكيا عنه انه قال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك
والغل والحقد والحسد والبغي وحب الدنيا والرياسة
فسلم من كل افة يتعلقه من الله وسلم من كل شبهة تعارض
خبره ومن كل شهوة تعارض امره وسلم من كل ارادة
تزاحم مراده وسلم من كل قاطع يقطع عن الله فهذا القلب
السليم في جنة معجلة الدنيا وفي جنة في البرزخ وفي
الجنة يوم المعاد لا تتم اسلامه مطلقا حتى يسلم من

من خمسة اشياء من شرك ينافي التوحيد وبدعة تخالف السنة
وشهوة تخالف الامر وغفلة تنافي الذكر وهوى ينافي التجريد
والاخلاص وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحدة منها انواع
كثيرة تتضمنها وادلة الانحصر لذلك اشتدت حاجة العبد
بل ضرورته الى ان يسال الله ان يهديه الصراط المستقيم
فليس العبد احوج منه الى هذا الدعوة وليس شيء انفع له
منها فان الصراط المستقيم يتضمن علوما وارادات واعمالا
وتروكا وظاهرة وباطنة يحرى عليه كل وقت فتفاصيل الصراط
المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها وقد يكون ما لا يعلمه اكثر
مما يعلمه وما يعلمه قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه هو من الصراط
المستقيم ان عجز عنه وما يقدر عليه قد يريد بقلبه ونفسه وقد لا
يريد كسلا وتهاونا والقيام بما يعوقه عن ذلك وما يريده قد يفعله
وقد لا يفعله وما يفعله قد يقوم فيه شروط الاخلاص وقد لا
يقوم وما يقوم فيه شروط الاخلاص قد يقوم فيه بكمال
المتابعة وقد لا يقوم وما يقوم فيه بالمتابعة قد يشتبه عليه
وقد يصرف قلبه عنه وهذا كله واقع سار في الخلق فمستقل
ومستكثر وليس لطالب العبد المداية الى ذلك الا متى

وكل الى طباعه حيل بينه وبين ذلك وهذا هو الارتكاس
الذي ارتكس الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم
وما جلبت عليه نفوسهم من الجهل والظلم الا ترى تبارك وتعالى
كيف صراطه مستقيم في قضاياه وقدره وشرعه وامره فهدى من شاء
الى صراطه مستقيم بفضله ورحمته وحكمته واضل من اضل لعدم
صلاحيته لمحل ذلك فهو على صراط مستقيم وتضل عباده من اي صراط شاء مستقيما
دعاهم جميعا اليه بحجته منه وعدله وهدى من شاء منهم الى
سلوكه بنعمته منه وفضله ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل
عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا كان يوم القيامة نصب
لخلقه صراطا مستقيما يوصلهم الى جنته ثم صرف عنه
من صرف عنه من الدنيا واقام عليه من اقامه على الدنيا
وجعل نور المؤمنين به ورسوله وما جاء به الذين كان في
قلوبهم في الدنيا نورا ظاهرا يسعى بين ايديهم وبايمانهم
في ظلمة الحشر وحفظ عليهم نورهم حتى قطعوا كما حفظ عليهم
الايمان حتى لقوه واطفأ نور المنافقين حين ماكانوا

اليه كما اطفأه من قلوبهم في الدنيا واقام اعمال العصاة
حجبتني الصراط كالليل وحسبكما تخطفهم كما خطفتهم في
الدنيا عن الاستقامة عليه في الدنيا ونصب للمؤمنين حوضا
يشربون منه اذا شتهر لهم من شرعه في الدنيا وحرم
من اشرب منه هناك من حرمه من الشرب من شرعه وبينه
ههنا فانظر الى الاخ كانها رأي عين وتامل حكمة الله
سبحانه في الدار ان يعلم حميد بقتنا لا شك فيه ان الدنيا
مزرعة الاخرة وعوانها واموذجها وان منازل الناس في
الدار الاخرة في السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار
في الايمان والعمل الصالح وضدهما وبالله التوفيق فمن اعظم
عقوبات الذنوب الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والله

فصل

لما كانت الذنوب متفاوتة في درجاتها
ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا والبرزخ والمعاد
ونحن نذكر فيها ما يسر الله تعالى ذكره فصلا وجملا جامعا
فنقول اصل ذلك ان تعلم ما ورد وفعل بخطورة هما
الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما ابوي الجن والانس
وكلاهما يتضمن باعتبار محله الى ظاهر على الجوارح وباطن في

القلب وباعتبار متعلقه إلى حق لله وحق لخلقه وإن كان كل
حق لخلقه فهو متضمن لحق لله كما سبق حقا للخلق لأنه يحب بطالبهم
ويسقط باسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام ملكية
وشيطانية وسبعية وبهيمية ولا تخرج عن ذلك الذنوب الملكية
إن تعاطى ما لا يصلح إلا من صفات الربوبية كالعظمة والكبرياء
والجبروت والقهر والعلو واستعباد الخلق ونحو ذلك ويدخل
في هذا الشرك بالله تعالى وهو نوعان شرك في أسمائه
وصفاته وجعل الهة أخرى معه وشرك في معاملته وهذا
الباب قد لا يوجب دخول النار وإن أحبط عمل الذي أشرك
فيه مع الله غيره وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب ويدخل فيه
القول على الله بلا علم في خلقه وأمره فمن كان من أهل هذه
الذنوب فقد نازع الله سبحانه في بيته وملكه وجعل له ندا
وهذا أعظم الذنوب عند الله لا ينفع معه عمل فصل
وأما الشيطانية فالبغي والحسد والعجب والفخر
والغل والخداع والمكر والأمر بمعاصي الله والتحبب والتملق
عن طاعته والتجنب والاستدراج في دينه والدعوة إلى البدع
والضلال وهذا النوع إلى النوع الأول في المفسدة وإن كانت مفسدة

وأما السبعية فدنوب
العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب على الضعفاء
والعاجزين وينولد منها أنواع أذى النوع الإنساني والجراءة على
الظلم والعدوان وأما الذنوب البهيمية فمثل الشره والحرص
على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها تنولد الزنا والسرقة
وأكل أموال الناس والبخل بالشيء والجبن والهلع والجزع وغير
ذلك فهذا القسم أكثر ذنوب الخلق فيحجبهم عن الذنوب
السبعية الملكية ومنه مدخلون إلى ما دونه فالذي
يحجبهم البهائم يدخلون منه إلى الذنوب السبعية ثم إلى
الشيطانية ثم إلى منازعة الربوبية الشركية في الوحدانية
ومن تأمل هذا حق التأمل تبين له أن الذنوب ذهلية الشرك
والكفر ومنازعة الله ربوبيته فصل وقد دل
القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأمة على أن
الذنوب كبائر وصغائر قال تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى الذين يجتنبون
كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى

الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر
وهذه الاعمال المكفرة لها ثلاث درجات احدها ان تفضل
عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الاخلاص فيها والقيام
بحقوقها بمنزلة الدواء الضعيف الذي ينقص عن مقاومة
الداء لمنعه ولقلة الباسه ان يقاوم الصغائر ولا يبقى
الى تكفير شيء من الكبائر الثانية ان تقوى على تكفير الصغائر
وتبقى فيها فضل تكفير فيدخل هذا فانه يزيل عدد
اشكالا لا تحصره وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم الا اعلمكم
بما يزيل الخطايا قلنا بلى يا رسول الله فقال الاسباغ الوضوء
على المكاره وفي رواية اخرى في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم
اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك
بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم
واكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات
الغافلات وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الذنب
اكبر عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم اي
قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي
قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا

يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا يزنون الاية واختلف الناس في الكبائر هل لها عدد
تحصرها فقيل لبعضهم الذين قالوا تحصرها اختلفوا في عددها فقال
عبد الله بن مسعود هي الى اربع وقال عبد الله بن عمر هي سبع
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص هي تسعة وقال غيرهم
احدا عشر وقال اخرون سبعون وقال ابو طالب المكي جمعها
من اقوال الصحابة فوجدتها ترجع الى ثلثمائة وهي الشرك والاصرار
على المعصية والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله اربعة
في اللسان شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس
والسحر وثلاث في البطن شرب الخمر واكل مال اليتيم واكل الربا
واثنان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنان في اليدين وهما
القتل والسرقة واحد في الرجلين وهو الفرار من الزحف
واحد يتعلق بجميع الجسد وهو عقوق الوالدين فالذين
لم يحصروها بعدد منهم من قال كل ما نهى الله عنه في القرآن
فهو كبيرة وما نهى عنه الرسول فهو صغيرة وقال لتطابقه
ما اقترن بالنهي عنه ووعيد من فعل واحدا منها وعقوبته فهو
كبيرة وما لم يقترن به شيء من ذلك فهو صغيرة وقيل كل ما ترتب عليه

حد في الدنيا او وعيد في الاخرة فهو كبيرة وما لم يرتب عليه لاهذا
ولاهذا فهو صغيرة وقيل كل ما لعن الله او رسوله فاعله او اقيمت
الشرايع على تحريمه فهو من الكبائر وما كان بخلافه فهو صغيرة
شرعا فهو صغيرة وقيل كل ما لعن الله او رسوله فاعله فهو كبيرة
وقيل كل ما ذكر من اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم والذين لم يقتسموا
الى آخر الآية صغائر قالوا الذنوب كلها بالنسبة الى الجرأة على الله
سبحانه ومعصيته ومخالفته امره كبائر والنظر الى من عصى لانه
والهتك محارمه توجب ان تكون الذنوب كلها كبائر وهي
مستوية في هذه المفسدة قالوا ويوضح هذا ان الله سبحانه
لا يعبأ بالذنوب لاستهانتها فلا تكون معصيته بالنسبة
اليه اكبر من بعض فلم يبق الا مجرد معصيته بمخالفته ولا
فرق في ذلك بين ذنب وذنب قالوا ويدل عليه ان مفسدة
الذنب تابعة للجرأة والتوثب على حق الله تعالى
فهذا لو شرب رجل خمرا او ظل فرجا حراما وهو لا
يعتقد تحريمه لكان قد جمع بين الجهل بمفسدة او تكاب
الحرام ولو فعل ذلك من يعتقد تحريمه لكان فاعلا لاحد

المفسدتين وهو الذي يستحق العقوبة دون الاول فدل على
ان مفسدة الذنب تابعة للجرأة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان
المعصية تضمن الاستهانة بالمطاع ونهيه وانتهاك حرمته
وهذا الاقرب فيه ان ذنب وذنب قالوا والالتفات الى عدل
الذنب وصغره في نفسه ولكن بالنظر الى قدر من عصاه وعظمته
وانتهاك حرمته بالمعصية وهذا لا يعترف فيه الحال بين
معصية ومعصية فانه لا مطاع اعظم لو امر احد مملوكه
ان يذهب في مهم له الى البلد البعيد امرا حتم ان يذهب في
شغله الى جانب الدار فعصاه وخالفه امر لكان
في تفته والسقوط من عينه سواء قالوا ولهذا كانت معصية
من ترك الحج من مكة ترك الجمعة وهو جار المسجد افبح
عند الله من معصية من ترك من الاذان الى العيد والواجب
على هذا الذي من الواجب على هذا لو كان مع رجل مائتا
درهم فمنع زكاتها ومع آخر مائتا الف فمنع زكاتها لا
فرق بينهما وجب على كل واحد منهما لا يعد استواهما في الهفوة
اذ كان كل منهما مصرا على عصيانه ما لا ظلما كثيرا لا كثيرا

فصل وكشف الغطاء عن هذه المسئلة ان يقال ان الله عز وجل

مستويا

ارسل رسله وانزل كتبه وخلق السماوات والارض ليعرف
ويوحد ويعبد ويكون الدين كله لله والطاعة كلها لله والدعوة
له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال الله
الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن ينزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء
علما وقال جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس
والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما
في السماوات والارض وان الله بكل شيء عليم فاخبر سبحانه
ان القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته ويعبد
وحده لا يشرك به وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل
الذي قامت به السماوات والارض كما قال تعالى لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه
ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن اعظم القسط
التوحيد بل هو راس العدل وقوامه وان الشرك لظلم
عظيم فالشرك ظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان

اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر ومنافاة
درجاتها حسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا
المقصود فهو اوجب والحسنات اوكد الطاعات فتامل
هذا الاصل حق التامل واعتبره بفاصله تعرف به حكمة
احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرمه
عليهم ونهاهم عنه من الطاعات والمعاصي فلما كان الشرك
بالله منافيا بالذات لهذا المقصود كان اكبر الكبائر على الاطلاق
وحرم الله الجنة على كل مشرك واباح دمه وماله واهله
لاهل التوحيد وان يحدوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام
بعبودية الله سبحانه ان يقبل من مشرك عملا او
يقيل له عثرة او يستحب له في الاخرة دعوة او
يغفل له زلة فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث
جعل لله من خلقه ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية
الظلم منه وان كان المشرك لم يظلمه وانما ظلم نفسه
ووقعت مسئلة وهي ان المشرك انما قصده تعظيم جناب
الرب تبارك وتعالى وانه لعظمته لا يليق الدخول عليه الا
بالوسايط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد

الاستهانة بجناب الربوبية وانما قصد بعظمه وقال انما
اعبدهذه الوسائط لتقربني اليه وتدخلني عليه فهو المقصود
وهذه وسائل وشفعا فلم كان هذا القدر موجبا لسخط
وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار وموجبا لسفك
دماء اصحابه واستباحة حريمهم واموالهم وتربص على هذا
سؤال اخر وهو انه هل يجوز ان يشرع الله سبحانه لعباده
التقرب اليه بالشفعاء والوسائط فيجيء تحريم هذا انما
استفيد من الشرع ام ذلك قبيح في الفطر والعقول بمنع
ان ياتي به شرعه بل جاءت الشرائع بتقريره في الفطر
والعقول من قبحه الذي هو فيه من كل قبيح وما السر
في كونه لا يعفو عنه من بين سائر الذنوب كما قال
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فتامل هذا السؤال واجب فليكن منك
على جوابه لا شهوة فان فيه يحصل الفرق بين التوحيد
والموحدين الطاهرين بالله والجاهلين به واهل الجنة
واهل النار وبالله التوفيق والتاييد
ومن يستمد المعونة والسداد فغاية من بهدايته

قال

ولا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والمانع لما اعطى ولا
معطي لما منع الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود
واسمائه وصفاته وافعاله وشرك في عبادته ومعاملته
وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته
ولا في صفاته ولا في افعاله والشرك الاول نوعان احدهما
شرك التعطيل وهو في انواع الشرك كشرك الذين
اذ قال وما ربك العالمين وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا
لعلي ابلغ الاسباب اطلع الى اله موسى واني لاظنه من
الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك
معطل وكل معطل مشبه فكل شرك لا يسلم اصل
التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته
ولكنه عطل حق التوحيد واصل الشرك وقاعدته الى
رجع الى هو التعطيل وهو ثلاثة اقسام تعطيل المصنوع
عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله
المقدس بتعطيل اسمائه واوصافه وافعاله وتعطيل
معاملته عما يحب ويرضى العبد من حقيقة التوحيد
ومن هذا اشرك طائفة اهل وحدة الوجود الذين يقولون

ما ثم خالق ومخلوق ولا ههنا سببان بل الحق المنزه
هو عين الخلق المشبه ومنه مشترك الملاحدة العاملين
بقدم العالم وابديته وانه لم يكن معدوما اصلا بل لم
يزل ولا يزال والحوادث ما سرها مستندة عندهم
الى اسباب ووسايط اقتضاها وهذا سموه بالعقول
والنفوس ومن هذا اشترك من عطل اسماء الرب تعالى واوصافه
وافعاله من المعتزلة والجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا
صفة بل جعلوا المخلوق قد كمل منه اذ كمال الذات
باسمائها وصفاتها

فصل النوع الثاني

شرك من جعل بعض المخلوقات جزءا من معبوده
وهو شرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة
وجعلوا المسيح الها وامه ايضا ومن هذا شرك المجوس
القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث
الشر الى الظلمة ومن هذا شرك القدرية القائلين بان
الحيوان هو الذي يخلق افعال نفسه فانها تحدث بدون
مشيئة الله وقدرته وارادته ولهذا كانوا اشباه المجوس
ومن هذا شرك الذي حاج ابراهيم في ربه اذ قال له ابراهيم

ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت فهذا جعل
تعليق الله يحيي ويميت بزعمه دليلا على ان طلوع قوله
ان يقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي ياتي الله
منها وليس هذا اسفه الاكارعم بعض اهل الجدل ان الدليل
على ابطال الدليل ابطال حقا ومن هذا اشترك كثير ممن يشرك
بالكواكب العلويات وجعلها ارباما مدبرة لامر هذا العالم كما
هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ومن هذا اشترك عباد
الشمس وعباد النار وغيرهم ممن هو اعلم من هؤلاء ممن يقول ان معبوده
هو الاله العظيم وقد ضل ومنهم من يزعم انه الرب الاله ومنهم من
يزعم انه الرحمن الاله وانه اذا احصه بعبادته والتذلل
اليه والانطراح بين يديه اقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم
ان معبوده الاعلى يقربه الى المعبود الذي هو دونه
والدون فالدون يقربه الى من هو فوقه حتى يقربه تلك الالهة
الى الله سبحانه فصار تكثر الوسايط وقاربه نقل

فصل

واما الشرك في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخف
امرا فانه يصدر ممن يعتقد انه لا اله الا الله وانه لا خالق
ولا رازق ولا يدبر الامر الا الله وانه لا يضر
ولا ينفع الا الله ولا يعطي ولا يمنع الا الله وانه لا الاجر ولا الذخر

سوله ولكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته بل يحب لحظ نفسه
تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند
الخلق تارة فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه
نصيب وللشيطان نصيب وللخلق نصيب وهذا حال اكثر
الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما
رواه ابن حبان في صحيحه الشرك الذي هذه الامة اخفى من
دبيب النمل فالوا وكيف نجو منه يا رسول الله قال قل اللهم
اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم
قال ابو كامل شرك قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي انه اله
واحد لا اله الا هو فكذلك ينبغي ان يكون العبد
له وحده فكما يفرد الالهية يجب ان يفرد المعبود به
فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقتدا بسنة وكان
من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم اجعل عملي
كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه
شيئا وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد عاقب

عليه اذا كان العمل واجبا فانه يسأل منه ولم يعمله مع
عمل لله مع الله سبحانه انما امر بعبادته خالصة قال تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ومن لم
يخلص لله في عبادته لم يفعل ما امر به بل الذي اتى به شيء
غير المأمور به فلا يصح ولا يقبل منه ويقول الله تعالى انا اغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري فهو للذي
اشرك به انا منه بري وهذا الشرك ينقسم الى معفو وغير
معفو والكبير اصعب والنوع الاول ينقسم الى كبير
وليس شيء منه معفورا فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم
ان يحب مخلوقا كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا
يغفره الله وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين
امنوا اشد حبا لله وقال اصحاب هذا الشرك لا لتتم وقد
جمعهم الجحيم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين معلوم انهم ما سووهم به سبحانه في الخلق
والرزق والاماتة والاحياء والملك القدرة انما سووهم به
في المحبة والتالة والخضوع لهم والذل لهم وهذا غاية الظلم والجهل

وكيف يسوى الثوب الذى لا ثياب ولا كيف يسوى العبد بمالك
الرقاب وكيف يسوى العفير بالذات الصحيف بالذات العاجز
بالذات المحتاج بالذات الذى ليس له من ذاته الا العدم
بالغنى بالذات القادر بالذات الذى غناه وقدرته وملكه
وجوده واحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم
ذاته فاى ظلم اقبح من هذا واى حكم اشد جورا منه حيث
عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى الحمد لله الذى خلق
السماوات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون بعدل المشركين خلق السماوات والارض
وجعل الظلمات والنور من لا مثل له لا لغة ولا عقلا
ذرة فى السماوات والارض فما لك من عدل ضم الى
الظلم والقبيح **فصل** ومع هذا المشرك الشنيع
به سبحانه فى الافعال والاقوال والارادات والغايات
فالشرك فى الافعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته
وتخلل الناس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار
غير الحجر الاسود الذى هو يمينه فى الارض او تقبيل
العتبة واستلامها والسجود لها وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم

والحاجب

من اتخذ القبور مساجد صلى الله عليه وسلم فكيف بمن اتخذ
القبور اوثانا تعبد من دون الله وفى الصحيح عنه انه
قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وفى الصحيح عنه ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء
والذين يتخذون القبور مساجد وفى الصحيح ايضا عنه ان
من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا
القبور مساجد فانى انهاكم عن ذلك وفى مسند الامام احمد
وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات
القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج وقال اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال ان
من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم احياء والذين
يتخذون القبور مساجد وقد تواترت عنه صلى الله عليه وسلم
من طرق يحذر ما فعلوه ويخبر ان من فعل ذلك فقد
حق عليه لعنة الله وغضبه وان من مات على ذلك فقد
استحق ان يكون من اهل النار وان اولئك الصور التى
كانوا يصورونها فى تلك القبور هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة
فهذا حال من سجد لله على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه وقد قال النبى
صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد وقد حمى
النبى صلى الله عليه وسلم حمايا حمى به جناب التوحيد اعظم حماية حمى به
ملاه التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند

عزوجل ليكون ذريعة الى ان يشبه بعباد الشمس الذين يسجدون
لها في هاتين الحالتين وشدد الذريعة بان منع من ذلك في
بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين
يسجد المشركون فيهما للشمس واما السجود لغير الله فقال
لايحل ان يسجد لاحد الا لله ولا خلاف في كلام الله ورسوله
للذي هو في غاية الامتناع كقوله وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وقوله عن الملائكة
ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء **فصل**
ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره
كما روى الامام احمد وابو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
من حلف بغير الله فقد اشرك صححه الحاكم وابن حبان ومن
ذلك قول القائل للمخلوق ما شاء الله وشئت فقال
اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده فان
قد جعلت للعبد مشيئة لقوله لمن شاء منكم ان يستقيم
فكيف من يقول انا متوكل على الله وعليك انا في
حسب الله وحسبك ومالي الا الله وانت وهذا

من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي
في السماء وانت لي في الارض او يقول والله وحياة فلان
او يقول نذرا لله ولفلان او انا تائب الى الله ولفلان لا ترد
ارجو الله وفلانا ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ
وبين قول القائل ما شاء الله وبين قول القائل ما شاء الله
وشئت ثم انظر ايهما اقبح بنفسك ان تقابل اولى جواب
النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة واياك اذا كان قد
جعله بدلا فهذا قد جعل من لا يدانى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شئ من الاشياء لعله ان يكون من اعداء
ندا لرب العالمين فالسجود والعبادة والنذر كل الالفاظ
والتقوى والحسنة والحسبة والتوبة النذر والحلف
والتسبيح والتكبير والتهليل والطواف بالبيت والدعاء
كل ذلك محض حق الله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك
مقرب ولا نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتى
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دنا فلما وقف بين
يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال
عرف الحق لاهله **فصل** واما الشرك في

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الارادات النبات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من
ينجو منه ممن اراد بعلمه وجه الله او نوى شيئا غير التقرب
اليه وطلب الجزاء منه فقد اشرك في نيته وارادته الاخلاص
الحنفية ملة ابرهيم التي امر الله عباده كلهم لا تقبل من احد
غيرها وهي حصنه الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين وهي ملة ابرهيم
التي من رغب عنها فهو من سفه النفس **فصل**
اذا عرفت هذه المقدمة فقد اتضح لك الجواب عن السؤال
المذكور فنقول ومن الله وحده نستمد الصواب
حقيقة الشرك هو التشبيه بالخالق والتشبيه للمخلوق به
هذا هو التشبيه في الحقيقة لاثبات صفات الكمال
التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله سبحانه فجعل
من لم يثبت لله ما اثبته لنفسه ولرسوله مشبها مثلا
الامر وجعل التوحيد سيرا والتشبيه محظما قاطعا
في ح فالشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الالهية
فان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء
والمنع وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل

به وحده ممن علق ذلك بمخلوق فقد جعل شبهه بالخالق
وجعل ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة
ولا نشورا فضلا عن غيره شبيها لمن له الامر كله فازمة
الامور كلها بيديه ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشأ
لم يكن لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع بل اذا فتح لعبده
باب رحمته لم يمسكها احد وان امسك عنه لم يرسلها اليه
احد فمن اقبح التشبيه بشبه هذا العاجز الفقير بالذات
بالقادر الغني بالذات ومن خصائص الالهية الكمال المطلق
من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك
يوجب ان تكون العباد كلها له وحده والتعظيم والاجلال
والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوبة والتوكل والاستعانة
وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك بحق عقلا وشرعا
وفطرة ان يكون لله وحده ومن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبهه بذلك الغير من
شبهه ولا مثل له ولا ند له ولا ذلك فاتضح التشبيه وانطلم
وشبهه فتح وتضمنه عاجل الظلم لخير عباده انه لا يحب
من اتى بشيء من التشبيه الجهمي ومن خصائص الالهية العبودية

التي قامت على ساقين لاقوام لا بد لها غاية الخضوع غاية الذل
هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق في ذلك بحسب
تفاوتهم في هذين الاصلين فمن اعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله
فقد شبهه به في هذا الخاص حقه وهذا من المحال ان
يجيء شريعة من الشرائع صحيحة مستقيمة في فطرة وعقل ولكن
غيرت السياطين فطرهم ان الخلق وعقولهم وافدة عليهم
واخبارهم عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقه من انبياء الله
الحسنى وارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه بما يوافق
فطرهم وعقولهم فازداد اذلك نورا على نور ويهدي الله لنوره
من يشاء اذا عرفت هذا فمن خصائص الالهية السجود لمن يسجد
له فقد شبه المخلوق به ومن التوكل على من يوكل على غيره
فقد شبهه به ومن التوبة لمن تاب لغيره فقد شبهه به
ومن الحلف باسمه تعظيما واجلالا له لمن حلف بغيره فقد
شبهه به هذا في جانب السنة واما في جانب الشبه
فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس الى اطرائه في المدح والتعظيم
والخضوع والاجلال وتعلق القلب به خوفا ورجاء والتجاء
واستغاثه فقد شبه بالله وادعى ربوبية الالهية

وهو حقيق بان يهينه الله غاية الهوان ويذله غاية الذل
ويجعله تحت اقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن
نازعني واحدا منهما عذبته اذا كان المصور الذي يصنع الصور
كذلك فمن اشد الناس عذابا يوم القيمة لتشبهه بالله في
مجرد الصنعة فما الظن بالمتشبه في الربوبية والالهية
كما قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة
المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم وفي الصحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب
يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فتبين بالادلة
والسنة على ما هو اعظم منهما وذكرنا المقصود ان
هذا الجهل من يشتبه في صنعة صورة فكيف حال من يشتبه
به في خواص الربوبية والالهية وكذلك من يسمي
الاسم الذي لا يسمى الا الله وحده كملك الاملاك وحاكم
الحكام ونحوه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان اخنع الاسماء عند الله رجل تسمى بملك الاملاك
شاه اي ملك الملوك لا ملك الملوك الا الله وفي لفظ

اعيط رحل عل الله رحل اسمع بملك الاملاك فهذا مقت الله
وعصمه عل من بشبهه في الاسم الذي لا سمي الا له
فهو سبحانه ملك الملوك وحده وهو حاكم الحكام وحده
وهو الذي يحكم عل الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا عكس
فصل اذا تبين هذا فهنا امر عظيم لكشف سبب
المسئلة وهو ان اعظم الذنوب عند الله سبحانه الظن بغير الحق
به الظن قد ظن به خلاف حاله المقدس فظن به ما ينافي
اسمائه وصفاته ولهذا توعد سبحانه الظانين به ظن
السوء بما لم يتوعد به غيرهم فقال تعالى عليهم دائرة السوء
وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال
تعالى لمن انكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
اردا كم فاصبحتم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله ابراهيم
انه قال لقومه ما ذا تعبدون افكا الهة دون الله تريدون
فما ظنكم برب العالمين اي شيء ظنكم ان يجازيكم به اذا لقيموه
وقد عبدتم غيره وما ذا ظننتم حتى عبدتم معه غيره وما
ظننتم باسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى احوجكم
الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو اهل من ان يكون شيء

عليم

علیم وعل کل شیء قدیر وانه غنی عن کل ما سواه وکل ما سواه فقیر
الیه وانه قایم بالقسط عل خلقه وانه المتفرد بتدبیر خلقه لا
شریک له في شيء من ذلك وانه بکل شيء محیط لا یعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا
اکبر الا هو في کتاب مبین وانه سبحانه یعلم خائنة الاعین
وما تخفي الصدور وانه یعلم السر واخفی وانه یعلم ما توسوس
به نفس عبده ویعلم خطرات القلوب وانه لا تخفی علیه خافیة
من خلقه وانه الکافي لعبده فلا یحتاج الی معین وانه الرحیم برحمته
فلا یحتاج في رحمته الی من یستعطفه وهذا بخلاف الملوک
وغیرهم من الرؤساء فانهم محتاجون الی من یعرفهم احوال
الرعیة وحوائجهم الی من یعینهم عل قضاء حوائجهم والی من
یسترحمهم ویستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الی الوسائط
ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم فاما القادر
عل کل شيء الغني بذاته عن کل شيء العالم بکل شيء الرحمن الرحیم
الذي وسعت رحمته کل شيء فما الحاجة الی الوسائط معه وبین
خلقه مقتضی ربوبیته والهیته وتوحیده ظن به ظن
السوء وهذا لا یستحیل ان یشرعه لعباده ویمنع في العقول
والفطر ان فیه مستقرا في العقول والفطر السلیمة فوق
کل شيء یوضح هذا ان العابد معظم المعبود متالة له خاضع
ذلیل له والرب تبارک وتعالی وحده هو الذي یستحق کمال
التعظیم والاجلال والتالة والخضوع والذل وهذا خالص

حقه ممن اتخذ الله ان يعطي حقه لغيره او يشرك منه ونسبه فيه
لاسيما اذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه
كما قال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم
من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم
انفسكم اي اذا كان احدكم يابى ان يكون مملوكه شريكه
في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما انا
مستقل به وهو الالهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي
فمن ادعى عبدا لله مما قدر حق قدره ولا عظمه حق تعظيمه
ولا افرد بما انفرد به دون خلقه مما قدروا الله حق قدره
من عبد معه غيره كما قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا
يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا
الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فما قدر الله حق قدره
من عبد معه من لا يقدر على خلق اضعف حيوان
واصغره ان يسلبه الذباب شيئا مما عليه لم يقدر على
يقدر على استنقاذه وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره

والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسماوات مطويات بيمينه
سبحانه وتعالى عما يشركون فما قدر من اشرك به وعظمته حق قدره ومن
اشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة بل هو اعجز
شيء وضعفه فما قدر القوي العزيز حق قدره ومن اشرك معه الضعيف
الذليل ولذلك ما قدره حق قدره ومن قال انه لم يرسل الى خلقه
رسولا ولا انزل كتابا بل سببه الى ما الابليس منه ولا عكس منه
من اهمال خلقه وضيعهم وتركهم سدى وخلقهم بالطلاعتنا
لا قدره حق قدره من نفى خطابه بسمائه الحسنى وصفاته
العلى فنفى سمعه وبصره وارادته واحسانه وعلمه فوق خلقه
وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد او نفى عموم قدرته
وخلقه بافعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم فاخرجها عن قدرته
ومشيئته وخلقه وجعلهم يخلقون لانفسهم ما يشاؤن بدون
مشيئة الرب فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون
تعالى الله عن قول اشباه المجوس علوا كبيرا ولذلك ما قدره
حق قدره من قال انه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد
ولا له عليه قدرة ولا مشيئة فيه البتة بل هو نفس فعل الرب
جل جلاله وسعادة عبده على فعله سبحانه الذي حسن

هو

العبد عليه وحمده على الفعل اعظم من ازاله المخلوق للمخلوق
واذا كان من المستقر في الفطر والعقول ان المستبد لو ان
عبده عمل فعلا واتاه اليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحا فاعل
العادلين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين كيف يجبر العبد على
فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا اثر ولا هو واقع بارادته
بل ولا هو فعله البتة ثم يعاقبه عليه عقوبة الابد تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا وقولها ولا اشر من قول المجوس الطائفتان
ما قدر الله حق قدره ولزلك ما قدر حق قدره من لم يصفه عن
نقص ولا عيب ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان
وصانه عن عرشه ان يكون مستويا على صعد اليه الكلم الطيب
العمل الصالح ترفع الملائكة الارواح اليه وتنزل من عنده
وتدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فصانه عن استوائه
على شيء من الملك ثم جعله في كل مكان بائنا من الانسان بل
عيه من الحيوان ان يكون فيه وما قدر الله حق قدره من
نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته
ولا نفى حقيقة حكمته التي تعلل العالمان لحكمة المقصودة ولا من
نفى حقيقة فعله لم يجعل له فعلا اختيارا يقوم به بل

افعاله مفعولات منفصلة عنه فنفى حقيقة محبته وابتاءه واستوائه
على عرشه وكلامه لموسى من جانب الطور ومحبة قوم اقيم لفضل
القضاء من عباده بنفسه الى غير ذلك من افعاله واوصاف كماله
التي يعلم بها ورغموا انهم سفروا قدره حق قدره وكذلك لم
يقدره حق قدره من جعل صاحبه ولدا او جعله محل في
مخلوقاته او جعله عين هذا الوجود وكذلك لم يقدره حق قدره
من قال انه رفع اعداء رسوله واهل بيته واعلى ذكرهم وجعل لهم
الملك والخلافة العامة ووضع اولياء رسوله واهل بيته واهانهم
واذلهم وضرب عليهم الذلة اينما ثقفوا وهذا اشنع من عابد القدح
في الرب تعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول
مستمد من قول اليهود والنصارى في رب العالمين انه ارسل
ملكا ظالما فادعى النبوة لنفسه وتحدث على الله ومكث زمنا
طويلا يحدث على كل وقت ويقول قال لي واذا دهى عن كذا
ونسخ شرايعه واشياءه ويرسله ويستبح دماءنا وعلمهم واموالهم
وحريمهم ويقول الله اباح لي ذلك والرب تعالى يطهره ويوحيه
ويعليه ويقربه ويحب دعواته ويمكنه ممن خالفه ويقيم الادلة على
صدقه ولا يعاديه احدا الا طهره فصدقه بقوله وفعله ويقربه

ام ج

وحدث اذا تصدقه شيئاً محدث ومعلوم ان هذا اعظم
القدح والطعن في الرب تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى
عن قول الكاذبين علواً كبيراً فوازن بين قول هؤلاء وقول
اخوانهم من الرافضة تجد القولين ⊙

⊙ وصبغي لبان ذكر ام تقاسما اشم داج عوض لا نتفرق ⊙

ولذلك لم تقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب اولياءه
ومن لم يعصه طرفة عين ويدخلهم دار الجحيم وينعم اعداءه ومن
لم يومن به طرفة عين ويدخلهم دار النعيم وان كلا الامرين
بالنسبة اليه سواء وانما الحذر المحض جاء عنه بخلاف ذلك
سمعاه للعدل المخالف حكمه وعدله وقد انكر سبحانه
في كتابه على من جوز عليه ذلك غاية الانكار وجعل الحامل له على
هذا الاحكام وكذلك لم تقدره حق قدره من زعم انه لا
يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ولا يجمع خلقه ليوم لا ريب
المحسن فيه باحسانه والمسيء بانسانه ويأخذ للمظلوم فيه
حقه من ظالمه ويحكم المتحاكمين للمشاق في هذه الدار من
احله وفي مرضاته ما فضل اهانته وبين اخلقه الذين يختلفون
فيه ويعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فلذلك لم يقدره

حق قدره

وحق قدره من هان عليه ما امر به فاراد خلقه بضده
وذلك ناهيه وغفل قلبه عنه وكان هواه انزع عنه من طلب
رضاه وطاعة المخلوق اهم عنده من طاعة الله فضلاً عن
قوله وعمله وسوله المقدم في ذلك لانه اهم عنده يسعى بنظر القلب
اليه واطلاعه عليه وهو في قبضته ناصيته بيده ويعلم نظر المخلوق
اليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه يستحي من الناس ولا يستحي من
الله ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق بافضل
ما تقدر عليه وان عامل الله عامل بما هون ما عنده واحقره ان
اقام في حقه الادنى من البشر قام بالجد الاجتهاد وبذل
النصح وقد فرغ له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه
حتى اذا اقام في حق ربه ان ساعد القدر فاقام قياماً لا يقيم
مثله مخلوق من مخلوق وبذل له من ماله ما لا يستحق ان يواجه
به مخلوق لمثله فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه وهل
قدره حق قدره من شارك بينه وبين عباده في محض حقه
من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف
والرجاء فلو جعل له من اقرب الخلق اليه شريكاً في ذلك كان
ذلك جرأة وتوثباً على محض حقه واستهانة به وتنقيصاً بينه

وبين عنه فما لا سبق ولا صلى الا بسجاءه وكيف انما شركه
منه ومن بعض الخلق اليه وهو نهم عليه واسقتهم عنده وهو
عدله على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان
كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولما عبد
المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الامر
للشياطين وهم يتولون اليهم بعدون الملائكة كما قال تعالى
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
الجن اكثرهم بهم مؤمنون والشيطان يدعوا المشركين الى عبادته
ويوهمهم انه ملك وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب
يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب وهي التي
تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها
الشيطان فيسجد لها الكفار فتقع سجودهم له فلذلك عبد
عدو الله ولذلك من عبد المسيح امه الا ولم يعبدهما وانما
عبد الشيطان فانه زعم انه يحب من يحب عباده وعبادة
امه ويرضى لهم وامرهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم لا

عبد الله ورسوله فنزل هذا كله على قوله تعالى الم اعهد
اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان ما عبد احد
من بني ادم غير الله كانبيا بن كان الا وقعت عبادته
للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع
المعبود في تعظيمه له اشتراكا مع الله الذي هو
غاية قصد الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا
يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم
واضلالهم وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم
خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم ومنه اشاره
لطيفة الى السالك كان الشيء لا يظهر الا بضده
عند الله وانه لا يغفر ان يتوب منه انه يوحي الخلود
في العذاب انه ليس تحريمه وسخطه لمجرد الامر عنه بل لتسخيط
على الله سبحانه ان يشرع عبادة الا عنه كما يستحيل عليه ما
ينافي اوصافه كماله ويخوف خلاله وكيف يظن بالمتقد
ما لا يوسوس به الا لهيه الفطنة للحلال ان يأذن في شيء ثم
في ذلك او يرضى به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فصل

فلما كان الشرك اكبر شيء منافاة للامر الذي خلق الله له
الخلق وامر لاجله بالامر كان اكبر الكبائر عند الله وكذلك
الكبر وتوابعه كما تقدم فان الله سبحانه خلق الخلق وانزل
الكتب لتكون الطاعة لله وحده والشرك والكبر بنيان
ذلك ولذلك حرم الله الجنة على اهل الشرك والكبر ولا يدخلها
من في قلبه مثقال ذرة من كبر فصل وبهذا ذلك
في كتب المقدمة القول على الله بلا علم في اسمائه وصفاته
وافعاله وصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله
فهذا اشد شيء منافاة وهو لمنافاته الخلق والامر
وقع في نفس الربوبية وخصائص الالهية فان ضد
ذلك عن علم فهو عناد لربه من الشرك واعظم انما عند
الله فان الشرك المقرر صفات الكمال خير من المعطل
الجاحد لصفات كماله كما ان من اقر للملك بالملك ولم
يجحد ملكه ولا الصفات التي استحق الملك ان جعل معه
شريكا في بعض الامور فقد اليه خيرا ممن جحد صفات
الملك وما يكون به ملكا هذا امر مستقر في بداية الفطر
والعقول فاياك ان تقدح في صفات الكمال او تجحدها من عباده

واسطة بين المعبود الحق وبين العابد يتقرب اليه بعبادة تلك الواسطة
اعظاما له واجلالا لاقداره المعطل هذا الداء العضال الذي
لا دواء له ولهذا حكى الله عن امام المعطلة فرعون انه انكر
على موسى ما اخبره من ان ربه فوق السموات فقال يا هامان
ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا واخي الشيخ ابو الحسن
الاشوحي في كتابه المعطلة بهذه الاية وقد ذكرنا لعطله
في غير هذا الموضع القول على الله بلا علم والشرك ملازمان
ولما كانت البدع المطلقة جهلا بصفات الله وكذبا بما
اخبر عن نفسه واخبره عنه رسوله عنادا او جهلا كانت
من اكبر الكبائر ان قدرت عن الكفر وكانت احب الى ابليس
من كثير من الذنوب كما قال بعض السلف المبتدع احب الى
ابليس من المعصية لان المعصية تتاب منها والبدعة لا
يتاب منها وقال ابليس اهلكت بني ادم بالذنوب واهلكوني
بالاستغفار ولا اله الا الله فلما رايت ذلك منهم
بالاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم محسنون
صنعا ومعلوم ان المذنب انما ضره على نفسه واما المبتدع

فضله على النوع وسنه المبتدع في اصل الدين وسنته المذنب في
الشهوة والمبتدع قد يدعو الناس الى صراط الله المستقيم بصدهم
عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع قادح في اوصاف الرب
وكماله والمذنب ليس كذلك والمبتدع ناقض لما جاء به
الرسول والعاصي ليس كذلك والمبتدع يغلق على الناس طريق
الاحوال العاصي يظن المعصية بسبب ذنوبه **فصل**
ثم لما كان الظلم العدوان منافيا للعدل الذي قامت به
السموات والارض وارسل الله سبحانه رسله وانزل كتبه
ليقوم الناس بالقسط كان من اكبر الكبائر عند الله وكتابه
في العظم حسب مفسدته في نفسه وكان قتل النفس وقتل الطفل
الصغير الذي لا ذنب له وقتل الغلوب على رحمته وعطفه
عليهم خصائص الدين من ذلك بمنزلة ظاهرة فقتل حسنة ان
يشارك في مطعم ومشرب وملبس وما لا غنى لهم عنه ولذلك
قتل ابوبة الدين كما سيأتي وجوه وكذلك قتله داخل
وتعاونت درجات القتل حسب فحشه واتساقه
من قتله للمسن في انائه وصبغه ولهذا كان اشد الناس
عذابا يوم القيمة من قتل نبيا او قتله نبي وملكه من قتل
اماما او عالما ما لم يأمر الناس بالقتل ويدعوهم الى انه وبعضهم

في دينهم وقد جعل الله سبحانه جزاء قتل المؤمن عمدا عمدا الخلود
في النار وغضب الجبار ولعنته واعداد العذاب العظيم
له هذا موجب قتل المؤمن عمدا ما لم يمنع منه مانع ولا خلاف
ان الاسلام الواقع بعد القتل طوعا واختيارا مانع من
نفوذ ذلك الجزاء وهل يمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه
فيه قولان للسلف والخلف وهما روايتان عن الامام احمد رض
الله عنه ونور ضريحه والذي قالوا لا يمنع التوبة من تفويت روح
حق لادمي لم يستوفه في دار الدنيا وخرج منها ظلامة منه فلا
بد ان يستوفاه في دار العدل اما له واما استوفاه الوارث
فانما استوفاه بحض حفظة الذي حرم الله من استيفاء العفو
عنه وما يضع المقتول من استوفاه ورثته ولي اشد ان الظلامة
حصل له ما استيفاؤه ورثته وهذا احد القولين في المسالة ان حق
المقتول لا يسقط باستيفاء الوارث وهما وجهان لاصحاب
احمد والشافعي وغيرهم وزادت طائفة انه يسقط بالتوبة
واستيفاء الوارث فان التوبة تهدم ما قبلها والذنب الذي
قدمناه قد اقيم عليه حده فلو اذا كانت التوبة محو اثر
القتل والسحر وما هو اعظم اثما من القتل فكيف يقصر عن محو

كحوادث القتل وقد قبل الله توبة الفار الذين قتلوا انبياءه
وجعلهم من جملة عباده ودعا الذين حرقوا اولياءه وفتنوهم عن
دينهم الى التوبة وقال قل لعبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فهذه
في حق التائب وهي متناولة للكفر وما دونه قالوا فكيف
يتوب العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد التوبة هذا
معلوم انتفاؤه في شرع الله وحكمه قالوا والتوبة هذا
الذنب تسليم نفسه لاستيفاء القتل منه ولا يمكن تسليمها الى المقتول فاقام
الشارع وليه مقامه وجعل تسليم النفس اليه تسليما
الى المقتول بمنزلة المال الذي عليه لوارثه فانه يقوم
مقامه في تسليمه للموروث المحض في المسئلة ان القتل تعلق
به حقان حق لله وحق للمقتول وحق للولي فاذا
سلم القاتل نفسه طوعا واختيارا الى الولي لما عمل ما
فعل وخوفا من الله توبة نصوحا اسقط حق الله بالتوبة
وحق الولي بالاستيفاء او العفو وبقي حق المقتول
يعوضه الله عنه يوم القيمة عن عبده التائب المحسن
ويصلح عدوه ويهب له من فضله ولا يذهب حق هذا ولا يبطل توبة هذا

واما مسئلة المال فقد اختلف فيها فقالت طائفة اذا ادى ما
عليه من المال الى الوارث فقد برئ من عهدته في الاخرة
كما برئ منها في الدنيا وقالت طائفة بل المطالبة لمن ظلمه
ماخوذة باقية عليه يوم القيمة وهو لم يستدرك ظلامته باخذ
وارثه له فانه منعه من انتفاعه به طول حياته ثم مات
ولم ينتفع به وهذا لم يستدرك هو انما استوفى عين
ماستدرك له وبينهما فرق ظاهر فانه لو استقل من واحد الى واحد
وتعدد الوارث وكانت المطالبة للجميع لانه حق كان
يجب عليه دفعه الى كل واحد منهم عند موته وهو الوارث
وهذا قول طائفة من اصحاب مالك واحمد وفصل
شيخنا بين الطائفتين وقال ان تمكن الموروث من اخذ
ماله المطالبة فلم ياخذه حتى مات صارت المطالبة
به للوارث في الاخرة كما هو كذلك في الدنيا وان لم يتمكن
من طلبه اخذ بقدر حاله بينه وبين ظلمه وعدوانه لطلبه
في الاخرة وهذا التفصيل من احسن ما قيل فان المال
اذا استهلكه الظالم على الموروث وتعذر عليه اخذه
منه صار بمنزلة عبده الذي قتله قاتل ورد الى اجر

عنه وطعامه وشرابه الذي اكله وشربه عنه ومثل هذا
انما تلف على الموروث لا على الوارث فحق المطالبة لمن تلف على
ملكه سقى ان قال فاذا كان المال عقارا او ارضا او
اعيانا قائمة فانه بعد الموت لهى ملك للوارث يحب على
الغاصد رفعه اليه كل وقت فاذا لم يدفعه اليه اعيانا استحق
المطالبة عند الله كاستحق المطالبة في الدنيا وهذا
سؤال قوي لا محاص منه الا بان نقال المطالبة لها حميها
كالوعضنا لا تشترك بين جماعة يستحق كل منهم المطالبة بحصة
منه وكانوا استولى على وقف مرتب على بطون فابطل حق
البطون كلهم منه كانت المطالبة يوم القيمة لجميعهم ولم يكن
بعضهم اولى من بعض والله اعلم فصل ولما كانت
مفسدة القتل هذه المفسدة قال تعالى من اجل ذلك
كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن
احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد اشكل فهم
هذا على كثير من الناس وقالوا يعلم ان اثم قاتل
مائة اعظم عند الله من اثم قاتل نفس واحدة وانما انو

من ظنهم ان المشبه في مقدار الاثم وانما المقصود اللفظ لم
يدل على هذا ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء احد بجميع
احكامه وقد قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا
عشية او ضحاها وقال كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا
الا ساعة من نهار ولا يدل ذلك لا يوجب ان يلبثهم في الدنيا انما
كان هذا المقدار وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشا
في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة
فكانما قام الليل كله اي مع العشا كما جاء في لفظ آخر
واضح من هذا قوله من صام رمضان واتبعه ستا من
شوال فكانما صام الدهر وقوله من قرأ قل هو الله احد
فكانما قرأ ثلث القرآن ومعلوم ان ثواب فاعل هذه
الاشيا لا يبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سواء
ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لصلى العشا في
جماعة مضعفة في قيام الليل على التعقيب المذكور وما
اوتي عبد بعد الايمان افضل من الفهم عن الله ورسوله
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا فان قيل ففي اي شيء
وقع التشبيه بين قاتل نفس واحدة وقاتل الناس جميعا

قيل في وجه تشديده احدها ان كلا منهما عاص لله ورسوله
مخالف لامره متعرض لعقوبته وكل منهما قد باء بغضب من الله
ولعنته واستحقاق الخلود في نار جهنم ولعذاب عظيم
وان بغا وتشددت فلتقاتلوا من قتل نبيا او امر بقتل
العذاب عادلا او عالما بامر الناس بالقسط كائنا من قتل من لا ذنب
له من احاد الناس الثاني انهما استويا في استحقاق اوهاف
النفس الثالث انهما استويا في الجراءة على سفك الدم الحرام
فان من قتل نفسا بغير استحقاق للحد افسد في
الارض فكانما قتل الناس جميعا ومنه قتل كل من طرقه وامكنه
قتله وهو معاد للنوع الانساني ومن اراد ان يسعى فاتلا
او قاتفا او ظالما او عاصيا بقتله احدا كما يسعى
بقتل الناس جميعا ومنها ان الله سبحانه جعل المؤمنين
في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كالجسد الواحد اذا اشتكى
منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر فاذا
الف القاتل من هذا الجسد عضوا فكانما اتلف
سائر الجسد او الجميع اعضاءه فمن ادى نوعا واحدا
فكانما ادى جميع النوع ولذا ادى جميع المؤمنين اذى

جميع الناس فان انسانا يدفع عن الناس بالمؤمن الذي
سلم فابدا الحفيا بذله المحقد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لافتل نفس ظلما يجري الا كان على ابن آدم الاول كفل
من دمها لانه اول من سن القتل ولم احى هذا الوعيد في
اول زمان الا اول ساعة ولا اول ساعة وشاهد مستكثرا
وان كان اول المشركين فلا يكون اولى بذلك من اول قاتل
لانه اول من سن الشرك ولهذا راى النبي صلى الله عليه وسلم
عمرو بن لحي يعذب باعظم العذاب في النار لانه اول
من غير دين ابراهيم وقال تعالى لا تكونوا اول كافر به
اي سببا لكفر غيركم من بعدكم فيكون لكم كفره وله
حكم من سن سنة سيئة فاتبع عليها وفي جامع الاصول
عن رجل من عنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء المقتول فاعل
يوم القيمة فاصنته وراسه بيده اوداجه تشخب دما
يقول رب سل هذا فيم قتلني فذكر الابن عباس النزو
قتله هذه الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى قال ما مسحت
هذه الاية الا حملت اني له التوبة قال هذا حديث حسن
وفيه ايضا عن نافع قال نظر عبد الله بن عمر يوما الى الكعبة

فقال لها اعطك واعظم جرمتك المؤمن عند الله اعظم حرمة منك
قال هذا حديث حسن وفي صحيح البخاري عن حذيفة قال اول
ما ينتن من الانسان بطنه فمن استطاع ان لا يأكل الا
طيبا فليفعل ومن استطاع ان لا يحول بينه وبين الجنة
ملء كف من دم اهراقه فليفعل وفي صحيحه ايضا عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن في فسحة
من دينه ما لم يصب دما حراما وقال البخاري ايضا عن ابن
عمر قال من ورطات الامور التي لا مخرج لمن اوقع
نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله وفي الصحيح عن
ابي هريرة رفعه سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
وفيها ايضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا
يضرب بعضكم رقاب بعض وفي صحيح البخاري عن جندب ان رجلا
عليه وسلم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها
ليوجد من مسيرة اربعين عاما هذه عقوبة عدو الله اذا
كان في عهده وامانه فكيف عقوبة قاتل عبد المؤمن
واذا كانت لمرة قد دخلت النار في هرة حبستها
حتى ماتت جوعا وعطشا فراها النبي صلى الله عليه وسلم

في النار والتي تخدشها في وجهها وصدرها فكيف عقوبة من
حبس مؤمنا حتى مات بغير جرم وفي بعض السنن عنه صلى الله عليه وسلم
لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مؤمن بغير حق **فصل**
ولما كانت مفسدة القتل من اعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام
العالم في حفظ الانساب وحماية الارواح وصيانة الحرمات وتوفي
ما يوقع اعظم العداوة والبغضاء الناشئ من افساد كل منهم
امرأة صاحبه وابنته واخته وامه وفي ذلك خراب العالم كانت
تلك مفسدة القتل في الكبر لهذا قرنها الله سبحانه في كتابه
وسنة رسوله في سياقة كما تقدم قال الامام لعبد الله بن احمد
لا اعلم بعد قتل النفس شيئا اعظم من الزنا وقد اكد سبحانه حرمته
بقوله الذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له
العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب فقرن الزنا
بالشرك وقتل النفس وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب المضاعف
ما لم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة والايمان والعمل الصالح وقال
تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فاخبر
عن خبثه في نفسه وهو القبح الذي قد نهى عنه حتى استقر خبثه
في العقول حتى عند كثير من الحيوان كما قال البخاري في صحيحه عن عمرو

ابن ميمون الاودي قال رأيت في الجاهلية قردة اتت قردا ميتا فجعلت
تزوده وتجمعه حتى ما فاتها اخر عن عاينه بانه سيأتي سبط
فانه سبيل هلكه وبوار واقفار في الدنيا وسبيل عذاب وخزي
ونكال في الاخرة لما كان كفار وزلل الا بأمن افسحه حصة من يشاء
دم فقال انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وعلى سبحانه
فلاح العبد على حفظ فرجه منه لا سبيل له الى الفلاح بدونه
فقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وهذا تضمن ثلاثة امور ان من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين
وانه من الملومين ومن العادين فعاقبة الفلاح واسمحق اسم
العدوان ودرج في اللوم فمقاساة الم الشهوة ومعاناة
انفاس من بعض ذلك ونظير هذا انه سبحانه ذم الانسان
وانه خلق هلوعا لا يصبر على ستة الا على ضرائل اذا مسته
الخير منوعا واذا مسه الشر جزوعا الا من استثناه
بعد ذلك من الناس من خلقه فذكر منهم الذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين

فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون فاذا تقابل هذه ان
يأمر المؤمنين بعض اصنافهم بحفظ فروجهم ان يعلمهم انه مشاهد
لاعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولما
كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على
حفظ الفرج فان الحوادث مبدأها من النظر كما ان
معظم النار من مستصغر الشرر فيكون نظرة ثم خطرة ثم
خطوة ثم خطيئة ولهذا اقبل من حفظهن للاربعة احرز دينه
للخطاب والخطرات واللفظات والخطوات فيبقى للعبد
ان يكون ثواب نفسه على هذه الابواب الاربعة ويلازم
الرباط على ثغورها فمنع يدخل عليه العدو منها من خلال الاثار
وتتبع ما غلا منها فصل ان مبادئ كل المعاصي
على العبد من هذه الابواب الاربعة فندري في كل منها فصلا
يليق به فاما الخطرات فهي زاد الشهوة ورسولها وحفظها
اصل حفظ الفرج فمن اطلق بصره اورده موارد الهلكات وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى
وعليك الثانية وليست لك الاخرة وفي المسند عنه صلى
الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من سهام ابليس فمن

عض بصره عن محاسن امرأة بدت او رث الله قلبه حلاوة الى يوم يلقاه
هذا معنى الحديث وقال غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم
وقال ايا كم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا
مالنا منها بد قال فان كنتم لا بد فاعلين فاعطوا الطريق حقه قالوا
وما حقه قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والنظر
اصله يولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة
ثم تولد الشهوة ارادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة ويقع الفعل
لا بد ما لم يمنع منه مانع وفي هذا قيل الصبر على غض البصر
من الصبر على الم ما بعده قال الشاعر

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والعبد ما دام ذا طرف يقلبه في اعين الغير موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر محنته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

ومن آفات النظر انه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى
العبد ما لا قدرة له عليه ولا صابر له عنه وهذا من اعظم العذاب ان
ترى ما لا صبر لك عن بعضه ولا قدرة لك على بعضه قال الشاعر
وكم بي اذ بلحظ طرف رائد اليك اوما اليك المناطر

العبد

رأيت الذي ان لا اكلفه قادر عليه ولا عن بعضه انا صابر
وهذا البيت يحتاج الى شرح وراد ان يقول ما لا اصبر عن شيء
منه لا اقدر على شيء منه فان قوله لا اكلفه انه قادر عليه لقدرته
على الكل الى لا سبيل الا بمنع القدرة عن كل واحد واحد وهم
من ارسل خطاه فما اقلعت الا وهو يسخط من قبيلا ودبرا
مثل السلامة واعدت لخطاه وفاعل ظلل بطن حبلى
ما زال يتبع انف خطاه حتى يسخط بينهن فتى
ومن العجب ان لحظ الناظر منهم لا يصل الى المنظور اليه حتى يسقط
مكانك من قلب الناظر لى من نصيبك
يا راميا بسهام اللحظ مجتهدا انت القتيل بما ترمي فلا تصب
وما عذاب الطرف ترداد السقام له احسن بسولك لا ما بك الطلب
واعجب من ذلك ان الطرف يجرح القلب فينتج جرحا على جرح
ثم لا ينعم الجارح من استه عاثر اها وكى اضاف هذا المعنى
ما زال لحظك يقطع في بطنه في اثر كل بلحظة ومسلح
ونظر ذا دوا جرحك وهو في الجفون يجرح على خروج
فليحذر كل بالحاظ وبالمقل فالقلب منكم بين اظفار ذبح
وقد قيل حسن الخطات ايسر من دوام الحسرات

فصل واما الخطرات فمنشاها اصعبها مبدأ الخير
والشر ومنها تولد الارادات والهمم والعزائم فمن راعى خطراته
ملك زمام نفسه وقهر هواه ومن غلبته خطراته هواه ونفسه
له اغلب من اشتمل بالخطرات فادته قترا الى الملكات ولا
تزال الخطرات ترد على القلب حتى يصير منقادا باطله لشهوات نفسه
يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده
فوفاه حسابه والله سريع الحساب فالخمس الباقية
واوضعهم نفسا من رضي من الخطرات بالامانى الكاذبة واسعدها
لنفسه وتخلى بها وهي لعمر الله رؤس اموال المفلسين ومتاجر
البطالين وهي فوت النفس الفارغة التي قنعت من الوصل
بوروده الخيال ومن الخطرات تتولد الامال كما قال الشاعر
تمنى ان تكون حقا لكي احسن المني والا فقد عشاني ما بعذا
وهي اخص شيء على الانسان وتتولد من الهجر الكسل وتولد الغبطة
والحسرة الندم المتولد منها فانه مباشر لحقيقة نفسه
تحت صورة في قلبه وعاقبة رجع اليه فقبح وصال صورته وهمه
حاليه صورها فكن في ذلك لا تحدث عليه شيئا وانما مثله
مثل الجائع والظمآن يصور في همه صورة الطعام والشراب وهو حامل

ويشتهي والسكون الى ذلك واستحلاه يدل على خساسة النفس
ودناءتها وانما شرف النفس وزكاءها وطهارتها وعلوها بان
تسمو على كل خطرة لا حقيقة لها ولا يجز ان تخطرها ببالها وبانف
لنفسه من هذه الخطرات بعد استشعار تقدم على اربعة اصول
خطرات تستحلب بها منافع دنياه وخطرات تستدفع بها مضار دنياه
اخرته وخطرات تستحلب بها مصالح اخرته وخطرات تستدفع
بها مضار اخرته فالحصر خطراته واذكاره وهمومه في هذه الاقسام
الاربعة فاذا انحصرت له فمن الممكن اجتماعه على ان يتركها لغير
واذا ازدحمت عليه الخطرات لزمه مراعاة اقدم الاهم الذي
يحتشى فوته واخر الذي يسهل تداركه فوته فهي قسمان
اخران احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم لكنه يفوت
وفي كل منهما ما يدعو الى بعده فههنا نفع الزهد الحقيقي فان
قدم المهم حتى فواتها دونه وان قدم ما دونه فاته
للاشتغال به عن المهم وكذلك يعرض له اماني لا يمكن الجمع
بينها ولا يحصل احدها الا بفوت الاخر فهذا موضع استعمال
العقل والعقة المعرفة ومن ههنا ارتفع من ارتفع وانحط من
انحط وخان من خاب فان من ترى ممن يعظم عقله ومعرفته يؤثر

غير المهم الذي لا يفوت على المهم الذي يفوت ولا يجد أحدا اسلم
من ذلك ولكن تستعمل مسئلة والحكم في هذا الباب للقاعدة
الكبرى التي عليها مدار الشرع والعقل وهي مرجع الخلق والامر
وهي ايثار اتم المصلحتين واعلاهما وان فاتت المصلحة التي هي
دونها والدخول في اذى المفسدتين لدفع ما هو اسوأ منهما فتفوت
مصلحة لتحصل ما هو اكمل منها ويرتكب مفسدة لدفع ما هو اعظم
منها فخطرات العاقل وفكره لا تخاو من ذلك وبذلك جاءت
الشرايع ومصالح الدنيا والاخرة لا تقوم الا على ذلك واعلى
الفكر اجلها وانفعها ما كان متعلقا بالدار الاخرة فما كان
من انواع احدها الفكر في آيات المنزله وتعلم فهم مراده
منها ولهذا انزلها الله تعالى لا لمجرد تلاوتها بل التلاوة
وسيلة قال بعض السلف انزل القرآن ليعمل به
فاتخذوا تلاوته عملا الثاني الفكر في آيات المشهود
والاعتبار بها والاستدلال بها على اسمائه وصفاته وحكمته
واحسانه ومن وجوده وقد حض سبحانه على التفكر
في آياته والتذكر بها وعلق وذم الغافل عن ذلك الثالث
التفكر في الآية احسانه الى عامة على خلقه فاصل النعم

وسعة رحمته ومغفرته وحلمه وهذه الانواع الثلاثة يستخرج
من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاءه ودوام الفكر
في ذلك يورث الذكر صيغ القلب في المعرفة والمحبة صنعة السابح
الفكر في عيوب النفس افاتها في عيوب العمل وهذه
الفكر عظيمة النفع وهي باب لكل خير وثمارها في كتب
النفس الامارة ومتى كثرت عاشت النفس المطمئنة
واستقامت وصار الحكم لها صحي القلب ودارت كلمته في
مملكته وبث امره وجنوده في مصالحه الخامس الفكر
في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله لعارف ابن
وقته فان اضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها وجميع المصالح
انما تنشأ من الوقت فان ضيعه لم يستدركه ابدا
قال السافي صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى
حرفين احدهما قولهم الوقت سيف فان قطعته والا قطعك
وذكر الكلمة الاخرى فوقت الانسان هو عمره في الحقيقة
وهو مادة حياته الابدية في النعيم المقيم وما تعيشه
المنكد في العذاب الاليم وهو ممر انسع من مر السحاب
فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وعيد لك

ليس محبوبا من حياته وان عاش عيش الهائم فاذا قطع وقته
في الغفلة والسهو الاماني الباطلة وكان خير ما طمعه به
اليوم البطالة صوت هذا خبره من حياته واذا كان الجد
وقوى الملاه ليس له الا ما عقل منها فليس له من عمره الا
ما به وما عداه هدر للاحتشام من الحطرات والفكر اما
وساوس الشيطانية واما اماني باطله وخدع كاذبه بمنزله
خواطر المصابين في عقولهم من السكارى والمحشوشين في الموسوسين
ولسان حال هؤلاء تقول عند انكشاف الحقائق

« ان كان سرك ما مضى فسرور ما قد فات فات فقد مضى اماني »
« اسبطرت نفسي على زمنا اليوم لحبي اضغاث احلام »

واعلم ان درد الخاطر لا ينافي استدعاء ومجادثه
الخاطر كالمار على الطريق ان لم تستدعه ومر كتمه وانصرف
عنك وان استدعته سحر كحديثه وخدعه وغروره وهو
احق شيء على الاسرار الداعي الباطله انقل شيء على القلب
والنفس الشريفة السماوية المطمئنة وقد جبلك الله سبحانه
في الانسان نفسا اماره ونفسا مطمئنة وهما متضادان
فكلما خف على هذه ثقل على هذه وكلما التذت به هذه تألمت

به الاخرى فليس على النفس الامارة اشق من العمل لله ايثار
رضاه على هواها وليس لها انفع منه وليس على النفس المطمئنة
اشق من العمل لغير الله وما جاء به داعي الهوى وليس على
شيء اضر منه والملك مع هذه عون نفسه القلب والشيطان
مع ذلك عون سرية القلب الحرب سجال لا تضع اوزارها الى
ان يستولي احد الجندين الباطل كله تحت الشيطان
والايمان الحق كله تحت الملك المطمئن الحرب دول
وسجال النصر مع الصبر ومن صبر وصابر ورابط واتقى الله فله
العاقبة في الدنيا والاخرة فالقلب لوح فارغ والخواطر
نقوش تنقش فيه فكيف يليق بالعاقل ان يكون نقوش
لوحه ما هو كذب وغرور وخدع واماني باطله وسراب
لا حقيقة له فاي حكمة وعلم وهدى يتنقش مع هذه
النقوش واذا اراد ان ينقش ذلك في لوح قلبه كان
مثله كتابة العلم النافع في محل مشغول بكتابة ما لا
منفعة فيه فان لم ينبه القلب من الخواطر الرديه
لم يستعد فيه الخواطر النافعة فارغ لا يشغل الا في محل فارغ

« انا في هواها قبل ان عرف الهوى صادف قلبا فارغا فتمكنا »

ولهذا لتنبه من ارباب السلوك نبهوا شلوبهم على حفظ الخواطر
وان لا يحكموا خاطر يدخل قلوبهم حتى يصير القلب فارغا عنه
قابلة للكشف وظهور حقائق العلوم التي فيه وهو لا يحفظ
شيئا وغابت عنهم اشياء فانهم اخلوا القلوب من ان يطرقها
خاطر مقيدة وعنه لا شيء فيها فصادفها الشيطان خالية
فبذر فيها الباطل في غفلة اوهمهم انها محل لاستثمار ولشغلهم
وعصمهم بها عن الخواطر التي هي مادة العلم والهدى واذا خلا
القلب عن هذه الخواطر جا الشيطان فوجد المحل خاليا
فشغله بما ينبا شيء حال صاحبه لم يستطع ان يشغله
بالخواطر السفلية فشغله بارادة التجريد والفراغ من
الارادة الى لا صلاح للعبد ولا فلاح الا بان يكون
هو المستولي على قلبه وهو ارادة مراد الله الذي الامر
الذي يحبه ويرضاه ويستغل القلب اهتماما بمعرفة كل
التفصيل به والقيام به وتنفيذه في الخلق والطريق الى
ذلك الوصول اليه بالدخول في الخلق ليفيد فرطلهم الشيطان
عن ذلك بان دعاهم الى تركه وتعطيله من باب الزهد في
خواطر الدنيا واسبابها واوهمهم ان كلامهم في ذلك التجريد

والفراغ وهيهات انما المثال في مثل العلم الشديد من
الخواطر والارادات والفكر في تحصيل مراضي الرب
تعالى من العبد ومن الناس الفكر في طرق ذلك والوصول
اليه فاكمل الناس اكثرهم خواطر وفكر وارادات
لذلك كما ان بعض الناس اكثرهم خواطر وفكر وارادات
تحوطه وهوله ان كانت الله المستعان وهذا عمر
الخطاب كان تزاحم عليه الخواطر في مراضي الرب تعالى
فربما استعجل في صلاته فكان يحمر حتى شه وهو في الصلاة
فيجوز قصر بين الخواطر والصلاة وهذا من باب قد احل
العبادات في العبادة الواحدة وهو باب غريب شريف
لا يعرفه الا صادق الطلب متضلع من العلم عالي الهمة يحب
يدخل في عباده بطرق عبادات شتى وذلك فضل الله يؤتيه
من يشا **فصل** واما اللفظات فيحفظ بان لا
تخرج لفظة ضايعة لا تنكم الا فيما يحوجه اليه في الزيادة
في دينه واذا اراد ان تتكلم بالكلمة ينظر هل فيها ربح وفايدة
ام لا فان لم يكن فيها ربح لم يتكلم وان كان فيها ربح ينظر
هل يقوم بها ربح كلام هو اربح منها فاشتغل به واذا اراد

ان يستدل على ما في القلب فاشتدل عليه حركة اللسان
فانه يطلع ما في القلب شاء صاحبه ام ابى قال يحيى بن
معاذ القلوب كالقدور تغلى بما فيها واللسان مغرفها فانظر الرجل
حين يتكلم فان اللسان يعرف لك ما في قلبه حلو وحامض
وعذب واجاج وعلى ذلك ينبئ لك طعم قلبه اعراق لسانه اى
كما تطعم لسانك طعم ما في القدور من الطعام فكذلك الطعم حقيقة
لذلك الطعم في قلب الرجل من لسانه فكذلك من لسانه كما تذوق
ما في القدر بلسانك وفي حديث ابن المرفوع لا يستقيم ايمان
عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وسئل
عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال الترمذي
حديث صحيح وقد سأل معاذ النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل
الذي يدخله الجنة ويباعده من النار فاخبره براسه وعموده
وذروة سنامه ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك قال بلى يا رسول
الله فاخذ بلسان نفسه ثم قال كف عليك هذا فقال ويا انا
لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب
الناس في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصائد السنتهم
قال الترمذي حديث صحيح ومن العجب ان الانسان يحرص على

التحفظ والاحتراز من اكل الحرام والظلم والزنا والسرقة
وشرب الخمر ومن النظر المحرم وعن ذلك وصعب عليه التحفظ
من حركة لسانه حتى ترى الجاهل يشار اليه بالدين والزهد والعبادة
وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقى لها ما لا يزل بالكلمة الواحدة
منها ابعد ما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل مشنوع عن
الفواحش الظلم ولسانه تفرى في اعراض الاحياء الاموات
ولا مبالي ما يقول واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى
ما رواه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله
لفلان فقال الله عز وجل من ذا الذي يتالى علي ان لا اغفر
لفلان فقد غفرت له واحبطت عملك وهذا العابد الذي
قد عبد الله ما شاء ان يعبده احبطت هذه الكلمة الواحدة
عمله كله ورواه حديث ابي هريرة نحو ذلك قال ابو هريرة تكلم
بكلمة اوبقت دنياه واخرته وفي الصحيحين من حديث ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة
من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات
وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوي بها في

جهنم وعند مسلم ان العبد لتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار
ابعد مما بين المشرق والمغرب وعند الترمذي من حديث بلال
ابن الحارث المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم ان احدكم لتكلم بالكلمة
من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له رضوانه
الى يوم يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن
ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه فكان
علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث
وفي جامع الترمذي ايضا من حديث انس قال توفي رجل من
الصحابة فقال رجل ابشر بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اولا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه
قال حديث حسن وفي لفظ ان غلاما استشهد يوم احد
فوجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فسئلت امه ان تزال
عن وجهه وقال هنيئا لك يا بني الجنة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا ينقصه
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة من كان يومن بالله
واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وفي لفظ لمسلم من كان
يومن بالله واليوم الآخر فاذا اشتهر ان يتكلم بخير او

ليسكت وذكر الترمذي باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن سفيان بن عبد الله الثقفي
قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه
احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت يا رسول الله
ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه ثم قال هذا
وذكر الحديث صحيح وعن ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن ادم عليه لا له الا
امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله قال الترمذي حديث
حسن وفي حديث اخر اذا اصبح العبد فان الاعضاء كلها تكفر
اللسان تقول اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا
وان اعوججت اعوججنا وقد كان السلف يحاسبون احدهم نفسه
في قوله في يوم حار او يوم بارد لقد ذكر بعض الاكابر من
اهل العلم في النوم فسئل عن حاله فقال انا موقوف على
كلمة قلتها قلت ما احوج المابين الى عبد عقل لي وما
بيدي انا اعلم بصلحي عبادي وقال بعض الصحابة يجاء يوما
هاي السفه بجنبها فيقال استعفها انما اتكلم كلمة
الا انا احطها او ازيغ لا هنه الا خرجت مني بغير طائم

ولا زمام او قال واشد حركات الجوارح حركة اللسان
وهي لصيقة بالعقد واختلف السلف والخلف هل يكتب جميع
ما يتلفظ به او الخير الذي يقتضي عليه قولين اظهرهما الاول
وقال بعض السلف كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ما كان
من ذكر الله وما والاه وكان الصديق رضي الله عنه
يمسك لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد والكلام اشد
فاذا خير من فمك صرتا سيره والله عند لسان كل قائل
وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان
آفتان عظيمتان ان خلص من احديهما لم يسلم من الاخرى آفة
الكلام وآفة السكوت وقد يكون كل منهما اعظم من الاخرى
في وقته فالساكت عن الحق شيطان اخرس عاص لله
مراء مداهن اذ الخلق في كلامه وسكوته فهم بين
هدى الوعين اهل الوسط وهم اهل الصراط المستقيم
لجموا السنتهم عن الباطل واطلقوها فيما يعود عليهم
نفعه في الاخرة ولا يمكن احدهم انه يتكلم بكلمة يذهب عليه صابعه
بلا مسفة فصلا ان تضر في اخرة وان العبد ليأتي

خلص
ثما؟

يوم القيمة حسنات امثال الجبال فيجد لسانه قد هدم
من كثير ذكر الله وما اتصل به فصل واما
الخطوات محفظ بان لا يثقل قدمه الا فيما يرجو ثوابه فان
لم يثق في خطاه مريد ثواب الطاعة وخشية لله وبمكنه
ان يستخرج من كل مشاة يخطوا اليه قربة يتوقع الله فيضع خطاه
قربة ولما كانت الطاعة عشرة بين عشرة الى جل وعشرة اللسان
جاءت احديها قرينة الاخرى في قوله وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما فوصفهم بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم كما
جمع بين اللحظات والخطرات في قوله يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور فصل هذا كله اذا كانت
مقدمة من مدى تحريم الفواحش وجوب حفظ الفرج
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار
الفم والفرج وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا يحل دم
امرئ مسلم الا باحدى ثلث الثيب الزاني والنفس بالنفس
والتارك لدينه المفارق للجماعة وهذا الحديث في اقران
الزنا بالكفر وقتل النفس بغير الحق في القرآن وتطير حد

ثبت

ابن مسعود وبدا صلى الله عليه وسلم بالاكثر وقوعا والذى يليه
فالزنا اكثر وقوعا من قتل النفس اكثر وقوعا من الردة وايضا
فانه انتقال من الادنى الى ما هو ادنى منه ومفسدة الزنا منا قضة
لصلاح العالم فان المرأة اذا زنت ادخلت العار على اهلها وزوجها
واقاربها وبكشف وجهها بين الناس وان حملت من الزنا فانها
تلد ولدا يحصل بين الفعل والزنا وادخلته الزوج اذا دخلت
على اهله واهله اجنبيا ليس منهم فورثهم وليس منهم وراهم وخلا بهم
وانتسب اليهم وليس منهم الى غير ذلك من مفاسد زناها
واما زنا الرجل فانه يوجب اختلاط الانساب ايضا وفساد
المرأة المحرمة وتعريضها للتلف والفساد ففى هذا الخبر خراب
الدنيا والدين وان عمرت الفور فى البرزخ والمآل فى الآخرة
وكم فى الزنا من استحلال لحرمات وهتك لحقوق ووقوع
مظالم ومن خاصيته انه يوجب الفقر ويقصر العمر ويكسو
صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس ومن
خاصيته ايضا انه يشتت القلب ويمرضه ان لم يمته
ويجلب الهم والحزن والخوف لمن يعهد صاحبه من الملائكة
وينفره من الشيطان فليس بعد مفسدة القتل اعظم من

مفسدته ولهذا شرع فيه القتل على اشنع الوجوه وافحشها
واصعبها ولو بلغ العبد ان امرأته او حرمته تفعل كان اسهل
عليه من ان يسلمها الى ما رأيت وقال سعد بن عبادة لو رأيت
رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تعجبون من غيرة سعد والله لانا
اغير منه والله اغير منى ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما
ظهر منها وما بطن متفق عليه وفى الصحيحين ايضا عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان
يأتى العبد ما حرم عليه وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا احد
اغير من الله ومن اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل
مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله
من اجل ذلك اثنى على نفسه وفى الصحيحين فى خطبته صلى الله
عليه وسلم فى صلاة الكسوف انه قال يا امة محمد والله ان لا
احد اغير من الله ان يزنى عبده او تزنى امته يا امة
محمد والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
ثم رفع يديه وقال اللهم هل بلغت وفى ذكر هذه الكبيرة

خصوصها عقيب صلاة الكسوف سنوريه في من تامل وظهور
الزنا من اماراته خراب العالم وهو من اشراط الساعة كما في
الصحيحين عن انس بن مالك انه قال لاحدثنكم حديثا لا
يحدثكم احد بعدي سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر
ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين
امراة القيم الواحد وقد جرت سنة الله سبحانه في خلقه انه
عند ظهور الزنا يغضب سبحانه ويشتد غضبه فلا يدان
يوتر عضه في الارض عقوبة قال عبد الله بن مسعود
ما ظهر الزنا والربا في قرية الا اذن الله باهلاكها وراى
بعض احبار بني اسرائيل ابنا له يعانق امراة فقال مهلا
يا بني فصرع الاب عن سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته
وقيل له هكذا عصيت لي لاكونن نحسك خزيا
وخص سبحانه حد الزنا من بين الحدود بثلاث خصائص
احداها العقل فيه اشنع القبائح وخبث حقيقة مجمع
فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب بتعذيبه
عن وطئه سنة الزنا في انه من عباد ان ناجنهم بالزناه

والله في دينه حتى يمنعهم من اقامة الحد عليهم فانه سبحانه من رحمته
ورافته لهم شرع لهم هذه العقوبة فهو ارحم بهم ولم يمنعه رحمته
من ان يرتب هذه العقوبة فلا يمنعكم انتم ما يقوم بقلوبكم من
الرافة من اقامة امره وهذا وان كان عاما في سائر الحدود
لكن ذكر في حديث الزنا خاصة لشدة الحاجة الى ذكره فان
الناس لا يحدثون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني
ما يحدثونه على السارق والقاذف وشارب الخمر فقلوبهم ترحم
الزاني اذا رجم غيره من ارباب الجرائم والواقع شاهد
بذلك فهو الذي ناحذهم هذه الرافة ويحملهم على تعطيل حد الله
وسببه هذه الرحمة ان هذا ذنب يقع من الاشراف والاوساط
والارذال وبين النفوس اقوى الدواعي اليه والمشاركة فيه
لنتيجة الى اسباب العشق القلوب مجبولة على رحمة العاشق
وكثير من الناس يعذر مساعدته طاعة وقربة وان كانت لصورة
المعشوقة محرمة عليه ولا يستنكر هذا الا من فانه مشتغل عنه بما
شاء الله من اشياه الانعام والقرب كما من ذلك شيء كثير
عن ناقص العقول كالحمام والنساء وايضا فان هذا ذنب
غالب ما يقع مع الاجانب ولا نفع فيه من العذاب

والظلم والاعتصاب ما تنفر النفوس منه وهما سيشق غالبه له
فتصور ذلك لنفسها فقوم بها رحمه تمنع لتق منه الحد وهذا اظهر
من ضعف الايمان وكمال الانسان ان يقوم به قوة تقتم
بها امر الله ورحمته برحم الحدود وقبولها تعالى في امر
رحمته الثالث انه سبحانه امر ان يكون احدهما مشهد من المؤمنين
ولا يكون خلوة حيث لا يراها احد وذلك ابلغ في مصلحة الحد
وحكمه الخر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة الله تعالى
لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلك لاشتمال الزنا واللواط
في الفحش وفي كل منهما فساد مناف حكمة الله في خلقه
وامره فان في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر التعداد
ولان فعل المفعول به حتم من ان يجيء فانه يفسده فسادا
لا يرجى له بعده صلاح ابدا ويذهب جزء كل ويمحق الارض
ما وية الحياء من جهة لا تسعى بعد ذلك بر الله ولا من
خلقه وتعلق في قلبه وروحه نظفة الفاعل ما يجلب السم في
البدن وقد اختلف الناس هل يدخل الجنة مفعول
على قولين سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يحكيهما
والذين قالوا لا يدخل الجنة احتجوا بأمور منها ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنية فاذا كان هذا حال ولد
الزنا فانه لا ذنب له في ذلك ولكنه مطبوع على شر وخبث وهو
جدير ان لا يجيء منه الا ما لا يخلوق من نطفة خبيثة واذا كان
للجسد الذي تربا على الحرام النار اولى به فكيف بالجسد المخلوق
من النطفة الحرام قالوا والمفعول به شر من الزاني والجزء
خبيث وارث فحوه هو جدير ان لا يوفق لخير وان يحال بينه وبين
وكلما عمل خيرا نقص له ما يستحقه عقوبة له وقال ان ترك من
كان كذلك في صغره لا دهو في كبره شر ما كان فلا يوفق لعلم
نافع ولا لعمل صالح ولا توبة نصوح والمحقق في المسئلة ان تعالى
وان تاب المسلم بهذا البلاء وتاب ورزق توبة نصوحا
وعملا صالحا وكان في كبره خيرا منه في صغره وبدل سيئاته حسنات
وغسل عار ذلك عنه بانواع الطاعات والقربات وغض بصره
وحفظ فرجه عن المحرمات وصدق الله في معاملته فهذا معفو
له وهو من اهل الجنة فان الله يغفر الذنوب جميعا واذا
كانت التوبة تجب ما قبلها من الكفر بالله وقتل انبيائه
واولياءه والسحر والكفر وغير ذلك فلا يقصر عن محو هذا الذنب
وقد استقرت جملة امة محمد علما وعملا ان التائب من الذنب

لمن لا ذنب له وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل
النفس والزنا ان يبدل سيئاته حسنات وهذا حكم عام لكل
تائب من كل ذنب وقد قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه
هو الغفور الرحيم فلا يخرج من هذا العموم ذنب احد لكن
هذا في حق الناس خاصة واما معصيته كان في تركه شيء مما كان
في صحته لم يوفق لتوبة نصوح ولا لعمل صالح ولا استدراك ما
فات واحيانا اماتت لا بدل السيئات بالحسنات فهذا يخشى
ان يوقف عند الميزان لكامة يدخل بها الجنة عفوا له على عمله فان الله
سبحانه يعاقب على السيئة سيئة واحدة ويضاعف عفوه
الحسنات بعضها بعضا كما يثيب على الحسنة عشرة الى سبعمائة
واذا نظرت الى كثير من المحتضرين وجدتهم بحال بينهم وبين
حسن الخاتمة عفوة لهم على اعمالهم السيئة قال
الحافظ ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله
واعلم ان لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسبابا واطرافا
وابوابا اعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض عن الاخرة
والاندام والجراءة على معاصي الله عز وجل وربما غلب على الانسان

حزن

اذا

ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية وجانب من الاعراض
وصيب من الجراءة والاقدام فملك قلبه وسبى عقله واطاش
وارسل عليه سحابة فلم يسفر فيه نذير ولا عصف فيه موعظة فربما
جاءه الموت على ذلك فتسمع الندامة من مكان بعيد فلم تتمش
المراد ولا اعلم ما اراد وان ارعلية الداعي واعاد قال
وروي ان بعض رجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه
يقول قل لا اله الا الله فقال الناصر مولاي واعاد عليه
القول فاعاد مثل ذلك ثم اصابته غشية فلما افاق قال
الناصر مولاي فكان هذا دأبه فلما قيل له قل لا اله الا
الله قال الناصر مولاي ثم قال لابنه يا فلان الناصر
انما تعرفك نفسك واقفل الفضل ثم مات قال عبد الحق
وقيل لآخر ممن يعرف قل لا اله الا الله فجعل يقول الداد
الفلانية لصحوا في لذاذاتهم الفلاني افعلوا به كذا
قال وقيل ان الذي اذن لي ابو طاهر السلفي ان احدث به عنه
ان رجلا نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل
يقول ما لفلان رسته ه يا زلة نفسيه عشرين باحد عشر
وقيل لآخر قل لا اله الا الله فجعل يقول اين الطريق الى

فغاب فقال وهذا الكلام له قصة وذلك ان رجلا كان
واقفا بازاء داره وكان بازائها حمام بباب هذا الحمام
جارية لها منظر فقالت اين الطريق الى حمام
منجاب فقال هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل
وراها فلما رأت نفسها في داره وعلمت انه قد خدعها
اظهرت له السرور والفرح باجتماعها معه وقالت له ينبغي
ان نكون بعضنا ما نطيب به عيشنا ونقربه عيوننا فقال
الساعة انك كلما تزيدين وتستهين وخرج ورجع فوجدها قد
في الدار ولم تغلق فاخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد
خرجت وذهبت ولم تحمله في شيء من امتعة الرجل واكثر الذي
لها وجعل يمشي في الطرق لا يدري ويقول

يا رب قائلة يوما وقد تعبت كيف الطريق الى حمام منجاب

فبينما هو يوما يقول ذلك اذ اجارية اجابته من طاق
[illegible] فوقف على الباب
فازدادهما نهوضا واستدعى بجاريته ولم يزل على ذلك حتى نكاح
هذا البيت آخر كلامه من الدنيا قال ويروى ان رجلا
عشق مخنثا فاشتد كلفه به ويمكن حبه من قلبه حتى وقع لما به ولزم

الفراش بسببه وسمع ذلك الشخص عليه واشتد نفار عنه فلم
يزل الوسائط بينهما يمشون حتى وعده بان يعوده فاخبر ذلك
الماشي ففرح واستبشر وقال له واصل عهده وجعل ينتظر للميعاد
الذي ضربه له فبينما هو كذلك اذ جاءه الساعي بينهما فقال
انه وصل معي الى بعض الطريق ورجع فرعنا له وكلمته فقال
انه ذكر وفرح بي ولا ادخل منزلي الريب لا اعرض نفسي
لمواقع التهم فعاودته فابى الصرف فلما سمع الماشي استرط
في بيه وعاد الى اشد مما كان به وبدت عليه علايم الموت
فجعل يقول في ذلك الحال

اسلم ما راحة العليل ... يا شفا المدنف العليل

فقيل له ما قولك ايها الرجل فقال قد كان ممن عنا جاورت
باب داره حتى سمعت به الموت فعياذا بالله من شؤم العاقبة
وشوم الخاتمة ولقد بكى سفيان الثوري ليلة الى الصباح
فلما اصبح قيل له كل هذا خوفا من الذنوب فاخذ تبنة من
الارض وقال الذنوب اهون من هذا وانما ابكي من خوف
الخاتمة وهذا من اعظم العقبة ان نخاف الرجل ان يختم له

قال انزوجك قالت انت مسلم وانا نصرانية ولا يزوجني منك
قال لها انتصري قالت ان فعلت أفعل فنصرانها ثم تزوجها
وأقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقي الى سطح
كان في الدار فسقط منه فمات فلم يطلب بها وفاته ديته

فصل ولما كانت عقوبة اللواط من اعظم المفاسد
كانت عقوبته في الدنيا والاخرة من اعظم العقوبات وقد
اختلف الناس هل هو اغلظ عقوبة من الزنا او الزنا اغلظ
عقوبة منه او هما عقوبتهما سواء على ثلاثة اقوال فذهب ابو بكر
الصديق وعلي بن ابي طالب وخالد بن الوليد وعبد الله بن الزبير
وعبد الله بن عباس وجابر بن زيد وعبد الله بن معمر الهمري
وسعيد بن عبد العزيز ومالك واسحاق بن راهويه والامام احمد
في اصح الروايتين عنه والشافعي في احد قوليه الى ان عقوبته
اغلظ من عقوبة الزنا وعقوبة القتل على كل حال محصنا كان او
غير محصن وذهب عطاء بن ابي رباح والحسن البصري وسعيد
ابن المسيب وابراهيم النخعي وقتادة والاوزاعي والشافعي في ظاهر
مذهبه والامام احمد في الرواية الثانية عنه وابو يوسف ومحمد
الى ان عقوبته وعقوبة الزنا سواء وذهب الحكم وابو حنيفة

توبته عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة بالحسنى وقد دل
الامام احمد عن ابي الدرداء انه لما احتضر جعل يغمى عليه
ثم يفيق ثم يغمى ويفيق ثم ابصارهم كالم يموا به
اول مرة وندرهم في طعامهم يعجبون فمن هذا اخاف السلف
من الذنوب ان تحول بينهم وبين الخاتمة بالحسنى
قال واعلم ان سوء الخاتمة اعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام
ظاهره وصلح باطنه ما سمعنا بهذا قط ولله الحمد وانما يكون
لمن له فساد في العقد او اصرار على البدع او اقدام على العظائم ونحو
غلب ذلك عليه حتى سرى به الموت قبل التوبة فاخذه قبل
اصلاح الطوية وتصلح قبل الاياس فيظفر به الشيطان عند
تلك الصدمة ويخطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله قال ابو بكر
انه كان بصور رجل لزم تحذ الاذان والصلاة وعليه الطاق
وابواب العباد فرئي يوما المنارة على عادته للاذان وكان
تحت المنارة بيت ذمي النصراني فاطلع منها فرأى ابنة صاحب
الدار فافتتن بها فترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار
اليها فقالت له ما شأنك وما تريد قال اريدك قالت لماذا
قال قد سبيت لبي فجذبت بمجامع قلبي قالت لا اجيبك الى دينك

الى ان عفوه ندون عفوه الباري وهي الغيرة قالوا لانه
معصية المعاصي اقدر الله لا ستوله فيه حدا مقدرا
فكان فيه الغيرة كالبينة الدم وحم الخنزير قالوا لانه
وطء في محل لا تشتهيه الطباع بل حكم الله على النفوس منه
حتى الحيوان البهيم فلم يكن فيه حد لوطء الكافر وغيره قالوا ولانه
لا يسمى زانيا لغة لا شرعا ولا عرفا ولا يدخل في النصوص
الدالة على حد الزاني قالوا ولانا وانا قواعد الشريعة ان
المعصية اذا كانت الوازع عنها طبعا اقتضى ذلك الوازع
من الحد واذا كان في الطباع تقاضى حمل الحد سببا
وشرب الخمر لسكر دون اكل الميتة والدم ولحم الخنزير قالوا
وطء هذا انه لا حد في وطء البهيمة والميتة وقد جعل
الله سبحانه الطباع على النفرة من وطء الرجل مثله اشد نفرة
كما جبلها على النفرة من استدعاء الرجل من وطأه بخلاف
الزنا فان الداعي فيه من الكاملين قالوا ولان احد النوعين
اذا استمتع بالنوع الآخر لم يجب عليه الحد كما لو تسحاقت المرأتان
استمتعت كل واحدة منهما بالاخرى قال اصحاب القول

الاول وهو جمهور الامة وحكاه غير واحد اجماعا الصحابة
ليس في المعاصي اعظم مفسدة من هذه المفسدة كما سنبينه ان شاء الله
قالوا ولم ينزل الله سبحانه بهذه الجريمة قبل قوم لوط احدا
من العالمين وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها امة غيرهم وجمع عليهم
من انواع العقوبات بين الاهلاك وقلب ديارهم عليهم
والخسف بهم وحجارة من السماء تنكل بهم نكالا لم
ينزله بامة سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد
الارض تميد من جرائمها لعلمها وتهرب الملائكة الى اقطار
السماوات والارض اذا شاهدوها خشية نزول
العذاب على اهلها فيضيهم معهم ونحو الارض التي زنا بنا دل
تعالى وتكاد الجبال تزول عن اماكنها وقتل المفعول به
خير له من وطئه فانه اذا وطئه قتل قتلا لا يرجى الحامه
بخلاف قتله فانه مظلوم مشتهد وربما ينتفع به في اخرته
قالوا والدليل على هذا ان الله سبحانه جعل حد اللائط الى
خيرة الولي ان شاء قتل وان شاء عفا وجعل قتل اللوطي
حدا كما اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة

التى لا تعارض لها بل على عمل اصحابه وخلفائه الراشدين وقد
تقدم عن خالد بن الوليد انه وجد في بعض ضواحي العرب رجلا
ينكح كما تنكح المرأة فكتب الى ابي بكر الصديق فاستشار ابو بكر
الصحابة رضي الله عنهم فكان علي بن ابي طالب اشدهم قولا
فيه فقال ما فعل هذا الا امة من الامم واحدة وقد علمتم ما
فعل الله بها اري ان تحرق بالنار فكتب ابو بكر الى خالد
فحرقه وقال عبد الله بن عباس سطر على بنا في الفقيه
فرمى اللوطي منه سكبا ثم صلب بالحجارة واخذ عبد الله
ابن عباس هذا الحد من عقوبة الله اللوطية قوم لوط
وابن عباس هو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول
به رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره واصح الاقوال
هذا الحديث واسناده على شرط البخاري فان ثبت عنه
انه قال لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل
عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط ولم يجئ عنه
لعنه الزاني في حديث واحد وقد لعن جماعة من اهل
الكبائر فلم يتحاوزهم ولم يجئ اللعنة منه واحدة ولكن قد

لعن اللوطي والذي ثلاث مرات الطعن اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قتله لم يختلف فيه منهم رجلان انما
اختلفت اقوالهم في صفة قتله لحكاها مثله تراجع بين
الصحابة وهي مسالة اجماع لا مسالة نزاع فاظروا من قائل
قوله سبحانه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا
وقوله في اللواط انا وجدنا الفاحشة ما سبقكم بها من احد
من العالمين سمى له نقادتها منهما وانه سبحانه ذكر الفاحشة
في الزنا الذي هو فاحشة من الفواحش وعرفها في اللواط
وذلك يعد له جاء لمعاني اسم الفاحشة كما تقول
زيد الرجل ونعم الرجل وزيد الرجال ونعم الرجال الخصلة التي استقبح
فحشها عند كل احد فهي لظهور فحشها واكاله عنه عن
ذكرها حيث لا ينصرف الاسم الى غيرها وهذا ظاهر قول
فرعون لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت اي الفعلة
الشنعاء الظاهر المعلومة لكل احد ثم اكد سبحانه
فحشها بانها لم يعلها احد من العالمين قبلهم فقال ما
سبقكم بها من احد من العالمين ثم زاد في التأكيد بان صرح
بما يشمئز منه القلوب وتنبو عنه الاسماع وتنفر منه

استدلهم الطباع وهو اتيان الرجل الرجل مثله بنية كما شئ
الانثى فقال اتعلم لناتون الفاحشة ثم شنع عليهم بسمعتهم
عن ذلك وان الحامل لهم عليه ليس الا مجرد الشهوة لا
الحاجة الى الاحبال مال الذكر الى الانثى من قضاء الوطر
ولذة الاستمتاع وحصول المودة الرحمة التي تنشئ المرأة
لها انوع وتذكير نعلها وحصول النسل الذي هو حفظ
هذا النوع الذي هو اشرف المخلوقات وتحصين المرأة
وقضاء وطرها وحصول علاقة المصاهرة التي هي اخت
النسب وقيام الرجال على النساء وخروج اجنب الخلق
الى اسرة من جاءهم كالاستناد الاولياء المؤمنين ومكانة
النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء بامته الى غير ذلك من مصالح
النكاح والمفسدة التي في اللواط فقاوم ذلك كله
وتربى على بما لا يمكن حصره فقال لا تعلم تفصيله الا
الله ثم الدليل ذلك بان اللوطية عكسوا فطرة الله
التي فطر عليها الرجال وقلبوا الطبيعة التي ركبها الله
في الذكور وهي شهوة النساء دون الرجال وقلبوا
الامر وعكسوا الفطرة والطبيعة فان الرجال شهوة

من دون النساء ولهذا قلب الله عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها
ولذلك قلوبهم وسلط على العذاب على رؤوسهم ثم الدليل صحة
ذلك بان حكم عليهم بالاسراف وهو مجاوزة الحد فقال
بل انتم قوم مسرفون فتامل هل جاء مثل ذلك الا في قرنه
في الزنا والدليل على ذلك عليهم بقوله وجنباه من القبح به
التي كانت تعمل الخبائث ثم الدليل الذم بوصفهم في
غاية القبح فقال انهم كانوا قوم سوء فاسقين وسماهم معتدين
في قول لنبيهم رب انصرني على القوم المعتدين وسماهم ظالمين
في قول الملائكة لابراهيم انا مهلكوا اهل القرية ان
اهلها كانوا ظالمين فتامل من عوقب بمثل هذه العقوبات
ومن ذمه الله بمثل هذه المذمات لما جادل فيهم خليله
ابراهيم الملائكة وقد اخبروه بما هلاكهم قبله ما ابراهيم
اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب
غير مردود وتامل حث اللوطية وفرط تمردهم على الله حتى
جاءوا منهم لوطا لما سمعوا اللوطية به فدق طرقه اضيافه
هم من احسن الناس صورا فاقبل اللوطية اليه يهرولون
فلما رآهم قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فقد اضافه ببناته

بيوتهم بين خوفا على نفسه واصنافه من العار والسبة
فقال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون
في ضيفي الس ليس منكم رجل رشيد فردوا عليه وقالوا لقد علمت
ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم
ما نريد فقالت نبي الله نفسه نصره وخرجت من تلك المكروب
عنه فقال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد فقالت
له رسل الله ولسقوا له عن خبيثه الحال واعلموه انهم ليسوا
ممن يوصل اليهم ولا اليه فسبهم ولا خف منهم لانعيابهم وهول
عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر
وبشروه واجاروه من الوعيد له ولقومه من الوعيد المصيب
فقالوا فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد
الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس
الصبح بقريب فاستبطأ نبي الله موعدهم فقال
اريد اعجل من هذا فقالت الملائكة اليس الصبح بقريب
فوالله ما كان بين هلاك اعداء الله ونجاة نبيه واوليائه
الا ما بين السحر وطلوع الفجر فاذا الديار بهم قد انقلعت
من اصولها ورفعت حتى سمعت الملائكة بباب

الكلاب ونهيق الحمر فبذ المرسوم الذي لا يرد من عند
رب الجليل الى عبده ورسوله جبريل بان يقلع عليهم
كما اخبره في محكم التنزيل فقال عز من قايل فلما جاء امرنا
جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل لجعلهم آية
للعالمين وموعظة للمتقين ونكالا وسلفا لمن شاء لهم في
اعالهم من المجرمين لجعل ديارهم بطريق السالكين ان في
ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية
للمؤمنين اخذهم غل عن ديارهم نايمون واخاهم بياسهم في مسكنهم
يعمهون فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فبئست تلك اللذات
الا ما فاجئوا به يعذبون ٭

٭ يا رب كانت في الحياة لاهل عذابا فصارت في الممات عذابا ٭
ذهبت اللذات واعقبت الحسرات واورثت المتقين سعيا
قليلا وعذبوا طويلا ونعموا ترحا وحسما فاعقبهم عذابا اليما
اسكرتهم خمرة الشهوة استقوا منها الا في دار المعذبين
وارقدتهم تلك الغفلة ما استيقظوا منها الا وهم في منازل
اهل الكهف فندموا والله اشد الندامة حين لا ينفع الندم
ونحوا عن ما اسلفوا وقيل الدموع بالدم فلو رايت الاعين

الاسفل من هذه الطائفة والنار تخرج من منافذ وجوههم
وابدانهم وهم بين اطباق الجحيم وهم يشربون بدل لذيذ
الشراب حميم الحميم وتقال لهم هم على وجوههم تسحبون
ذوقوا ما كنتم تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء
عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون لقد وثق الله سبحانه مكافاة
العذاب من هذه الامة وبين اخوانهم في النار فقال نحو قال
لهم ان تبع الوعيد وهم من الظالمين بعيد ۞
فانا لحي الذي ان تسلم السيف ظالما قال الحي الحمي ابر
كلوا واشربوا وارتووا وانزلوا فيقوم عظم معاد الناس انكم اجرا
فاحوالكم قد مهدوا الدار فيكم لوا لينا عجلوا لكم الشتي
وها نحن اسلاف لكم في انتظار لكم فمعضا الجار في مأواه الذي
ولا تحسبوا ان الذي لكم تعبون عنكم بل هو نهم جهرا
ولحن كل منكم لحليله وتشقيه الحرون في الكفة الاخرى
يعذب كل منهما بتركه كما استحقا في الله توجب الورزا

فصل في الاحوال التي بها يحل عقوبة هذه

الفاحشة دون عقوبة الزنا اما قولهم انها معصية لم يجعل
الله لها حدا معينا نحو بعضه من وجوه احدها

ان المبلغ عن الله جل جلاله صاحب الشرع حتما وما شرعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما شرعه عن الله فان اردتم
ان حدها غير معلوم بالشرع فهو باطل وان اردتم انه غير
ثابت بنص القاتل لم يلزم من ذلك ابطاله كما لو ثبت بالسنة
الثاني ان هذا منقوض عليكم بالزنا فانه انما ثبت بالسنة
فان قلتم بل ثبت القرآن بسبع لفظة وبتوجيه فما منقوض عليكم
بحد شارب الخمر الثالث ان نفي الدليل ليس بدليل لان
نفي مدلول الدليل لا ينفي المدلول كيف وقد قدمنا ان
الدليل الذي يتمسكون به غير منتف واما قولكم انه وطء في محل لا
تشتهيه الطباع فلم قلتم ان الطباع على النفور من
وطء المشوه الدميمة فجوابه من وجوه احدها انه قياس
فاسد الاعتبار مردود بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجماع الصحابة كما تقدم بيانه الثاني ان هذا من وطء الامرد
الجميل الذي فتنته تربي على كل فتنة على وطء اناث ادمية
فتنة من افسد الفاسق وهل يعقل احد قط ان ناد
بغرة او مسنة او سبي لذكر عقل عاشق او استقباله او
استقبال عاقل وعقله فليس في الفاسق افسد من هذا

الثالث ان هذا مستفاد من وطء الام والبنت والاخت فان الفعل
الطبعه عنه حاصل مع أن احدهنه من اغلظ الحدود وفي
احد القولين وهو الفعل بكل حال محصنا كان او غير محصن
وهذا احدى الروايتين عن الامام احمد وهو قول اسحاق
راهويه وجماعه من اهل الحديث وقد روى ابو داود من حديث
ابن غارب قال لقيت عمي ومعه الراية فقلت الى اين تريد
قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل لكي اتيه
من بعده ان اضرب عنقه احدما له قال اتيته فاذا هو احدث
حسن قال الجوزجاني عم البراء اسمه الحسن بن عمرو وفي
سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وقع على ذات محرم فاقتلوه ورفع الى
الحجاج رجل اعتصك حتى على نفسها فقال الحسن وسئلوا
من ههنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوا احمد
ابن مطرف فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من تخطى حرم المومنين فخطوا وسطه بالسيف فهذا دليل
على الفعل بالشبهة وهذا دليل مستقل في المسالة
وهو ان من لا يباح وطئه بحال فحد وطيء الفعل كبيله

من وقع على امه واخته ولذلك نقول في وطء ذات المحارم وطء
من لا يباح له وطئه بحال فكان حده القتل كالوطء المجمع
ان يستدل على المسلمين بالنص والقياس يستفيد كل
منهما وقد اتفق المسلمون على ان من زنا بذات محرم عليه
الحد وانما اختلفوا في صفة الحد هل هو القتل بكل حال
او حده حد الزاني على قولين قال الشافعي ومالك واحمد في
احدى الروايتين ان حده حد الزاني وذهب لعمر واسحاق
وجماعه من اهل الحديث الى ان حده حد القتل بكل حال
ولذلك اتفقوا كلهم على انه لو اصابها باسم النكاح عالما
انه محرم لا ما يخفيه وحنيفه انه رأى لذلك شبهه مسقطه
للحد ومنازعوه يقولون اذا اصابها باسم النكاح فقد
زاد الحريم غلظا وشبهه فانه ازلم يحد درئ عظم من
يحد درء العقد ويحد درء الوطء فكيف يخفف عنه العقوبه
ثم يحد درء العقد الى يحد درء الزنا واما وطء المبينه
فقيه قولان للفقهاء وهما في مذهب احمد وعنه احدهما
يحد وهو قول الاوزاعي فمن فعله اعظم حرما
واكثر ذنبا لانه انضم الى فاحشه هتك حرمه المبينه

فصل واما وطء البهيمة فللفقهاء فيه ثلاثة
اقوال احدها انه يوجب الحد وهذا قول مالك
وابي حنيفة والشافعي في احد قوليه وقول اسحاق والقول
الثاني ان حكمه حكم الزاني ان كان بكرا اورجم ان كان
محصنا وهذا قول الحسن والقول الثالث ان حكمه
حكم اللوطي نص عليه احمد بن حنبل في احد الروايتين
هل هو القتل حتما او هو كالزاني الذين قالوا يجب القتل
احتجوا بما رواه ابو داود من حديث ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه
قالوا ولانه وطء لا يباح بحال فكان فيه القتل كحد
اللوطي ومن لم ير عليه حدا قالوا لم يصح هذا الحديث ولو صح
لقلنا به ولم يحل لنا مخالفته قال اسمعيل بن سعيد
الشالنجي سألت احمد عن الذي يأتي البهيمة يوقف عندها
ولم يثبت حديث عمرو بن ابي عمرو في ذلك وقال الخلال وفي
الحديث ضعف وايضا فرواه ابن عباس وقد افتى بانه
لا حد عليه قال ابو داود وهذا اضعف الحديث ولا يثبت
انما الزاجر الطبعي عن اتيان البهيمة قوي والزاجر الطبعي

عن اللوط وليس الامران في طباع الناس سواء
فالحاق احدهما بالاخر من افسد القياس كما تقدم
فصل واما قياسكم وطء الرجل المثلة على
ذلك المراتين فمن اصبد القياس اذ لا ايلاج هناك
وانما نظير مباشرة الرجل الرجل من غير ايلاج على
انه قد جاء في بعض الاثار والرجوع اذا اتت المرأة المرأة
فهما زانيتان ولكن لا يجب الحد بذلك لعدم الايلاج
وان اطلق عليهما اسم الزنا العام كما في الحديث الذي
والقم اذا مست هذا فاجب المسلمون على ان حكم اللوط
مع المملوك كحكمه مع غيره ومن ظن ان لوط الانسان
بمملوكه جائز واحتج على ذلك بقوله تعالى الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين وقاس ذلك على امته
المملوكة فهو كما قاس سائر اصناف الرجال فان
ثاب والا ضربت عنقه ولوط الانسان بمملوكه كلوطه بمملوكه
غيره في الاثم والحكم فصل فان قيل فما وجه
ذلك فله در هذا الذي الفضائل درجته لهذا السيخ
القتال وما الاحتيال لدفع هذا المحال هل من طريق

قاصدا الى التوفيق وهل يمكن السكران ان يحمن الهوى ان يفيق
وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى سويدا به
وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برده من سوداويه ذا ان
لانه لايم الذي لا متذكر الوجوه ان عذله عادل اعذله
عذله وسار به في طريق مظلوم به يا دي عليه شاهد حال
بلسان قاله

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متاخر عنه ولا متقدم
واهتفت فاهتف بغير حاهد اما من تهون عليك ممن يكرم
استبقنا عداي فرت لحتهم اذ كان حظ منك حظي منهم
احد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم

ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الاول الذي وقع عليه
الاستفتاء والداء الذي طلب له الدواء فقال نعم
الجواب من راى ما انزل الله سبحانه الا انزل له دواء
علمه من علمه وجهله من جهله والكلام في دواء هذا الداء من
طريقين احدهما حتم مادة قبل حصولها والباقي قلعها
بعد نزولها وكلاهما بتسديد علي بن بسته الله عليه ومعتمد
على من لم يجبه فان ادمة الامور بيديه فلما الطريق

المانع من حصول هذا الداء فاعلم ان احدها عض البصر كما تقدم
فان الطرف سهم مسموم من سهام ابليس ومن اطلق بحظاته
دامت حسراته وفي عض البصر عدة منافع وهو بعض اجزاء
هذا الدواء النافع احدها انه امتثال لامر الله الذي هو
غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده فليس للعبد في
دنياه واخرته انفع من امتثال اوامر ربه وما شقي من شقي
في الدنيا والاخرة الا بمخالفة اوامره الدينية انه يمنع
من وصول اثر السهم المسموم الذي لعل قد وصل الى
قلبه الثالثة انه يورث القلب انشراحا بالله وحبا لله
فان اطلاق البصر يفرق القلب وينشته ويبعده عن الله
وليس على العبد شيء اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة
بين العبد وبين ربه الرابعة انه يقوي القلب ويفرحه
كما ان اطلاق البصر يضعفه ويحزنه الخامسة انه
يكسب القلب نورا كما ان اطلاق البصر يكسبه ظلمة لهذا ذكر الله
سبحانه ايه النور عقيب الامر بغض البصر فقال قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ثم قال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح

اى مثل نوره فى قلب عبده المؤمن الذى امتثل اوامره واجتنب نواهيه
واذا استنار القلب انفتح وتوردت الخزانات اليه من كل ناحية
كما انه اذا اظلم انسدت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان
فما استفتح من بدع وضلال وانتاج هوى واجتناب هدى
واعراض عن اسباب السعادة واستعمال باسباب الشقاوة
فان ذلك انما يكتسف له النور الذى فى القلب فاذا فقد
ذلك النور فقد صاحبه كالاعمى الذى يجوس فى حنادس
الظلمات السادسة انه يورث فراسة صادقة يميز بها
بين المحق والمبطل والصادق والكاذب وكان شيخنا
الكرمانى يقول من غض طرفه بانتباع السنة وطهنه
بدوام المراقبة وعضه عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات
واعتدى بالحلال لم تخطئ فراسته وكان شيخنا هذا الاجل
له فراسة والله سبحانه يجرى العبد على علمه لا هو من حسب
علمه ومن ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه فاذا غض
بصره عن محارم الله عوضه الله ان يطلق نور بصيرته
عوضا عن حبسه بصره لله وفتح عليه باب العلم والايمان
والمعرفة بفراسة الصادقة المصيبة التى انما تنال ببصيرة

القلب وضدها لما وصف الله به اللوطية فراسة الذى
هو ضد البصيرة فقال تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون
فوصفهم بالسكرة التى هى فساد العقل والعمه الذى هو
فساد البصيرة فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل
وعمه البصيرة وسكر القلب كما قال الماثل
سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى افاق من سكرتان
وقال الاخر
• قالوا اختبر من تهوى فقلت لهم العشق اعظم ما بالمحب يا •
• العشق لا يتقى الله صاحبه وانما طرح المجنون فى البئر •
السابعة انه يورث القلب ثباتا وشجاعة وقوة فيجمع الله
له بين سلطان البصيرة والحجة وسلطان القدرة والقوة كما قال
الانتزاعى الكامل هو لا يعرف السلطان من طلبه وضده هذا
تجد فى المبطل هو له من ذل النفس وضياعها ومهانتها وخسئها
وخذلانها ما حصله الله سبحانه فيمن عصاه كما قال الحسن
انهم وان ظفرت لهم النعال وهملجت بهم البراذين ان ذل
المعصية فى قلوبهم ابى الله الا ان يذل من عصاه وقد جعل
الله سبحانه العز فى طاعته والذل فى معصيته فقال تعالى قل

ولله الحمد ولرسوله المؤمنين وقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم
الاعلون ان كنتم مؤمنين فالايمان قول وعمل ظاهر وباطن
وقال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اى من كان
يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وذلك من الكلم الطيب
والعمل الصالح وفي دعاء القنوت انه لا يذل من واليت
ولا يعز من عاديت فمن اطاع الله فقد والاه وفيما
اطاعه فيه وله في العز بحسب طاعته ومن عصاه فقد
عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته
المسئلة انه تبين على الشيطان مداخل القلب فانه يدخل
مع النظرة وتفد مع الى القلب اسرع من نفوذ الهواء
في المكان الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه وتزينها
وتحسنها ثم يحلف عليه القلب ثم يعده ويمنيه ويوقد على
القلب نار الشهوة ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يزل
توصل الى الاحتراق تلك الصورة فتصير القلب في اللهب
فمن ذلك القلب الافكار التي تحدثها وهي الآن ذلك
الزنا والخيانة فالشيطان القلب قد احاطت به النيران

من كل جانب فهو في وسط النار والماء
كانت عقوبة اصحاب الشهوات للصور المحرمة ان جعل لهم في
البرزخ نوا من ماء وأدعت اوواحهم فيه الى يوم حشر اجسادهم
كما اراه الله تعالى لنبيه في المنام وفي الحديث المتفق على صحته
انما جعل الاستئذان لئلا تقع العين على ما لا يحل لها النظر اليه
والطلاق الذي يشتمه عز وجل وحول بينه وبين ما يحب فرط
عليه امور وقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكره قال تعالى
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا واطلاق البصر يوجب هذين الامرين الغفلة
والعاشر ان بين الحق والقلب منافذ الا وطريق ما يوجب
اشغال احدهما عن الآخر ان صلح صلاح وفسد فساد
فاذا افسد القلب فسد النظر واذا افسد النظر فسد
القلب ولذلك قرن بينهما في الذكر فاذا اطلق النظر فسد
وفسد فتحرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي
محل النجاسات والقاذورات والادناس فلا تصلح لسكنى
معرفة الله ومحبته والانابة اليه والانس به والشوق
لقائه فيه وانما تسكن في اضداد ذلك فهذه اشياء اذا

بعض فوائد غض البصر تطلعه على ما وراءها **فصل**
الثاني استعمال القلب بما يصده عن ذلك ويحول بينه وبين
الوقوع فيه وهو اما خوف مقلق او حب مزعج فمتى خلا
القلب من خوف ما فوته اضر عليه من حصول هذا المحبوب
او محبة ما هو انفع له وخير له من هذا المحبوب وفواته اضر عليه
من فوات هذا المحبوب لم يجد بدًا من عتق العبودية
وصرح هذا ان النفس لا تترك محبوبا الا لمحبوب
اعلى منه او خشية مكروه حصوله اضر عليه من فوات
هذا المحبوب وهذا احتاج صاحبه الى امرين ان فقدا
او احدهما لم يمنع سفسافها بصدق تعرف فيما
بين درجات المحبوب المكروه فيؤثر اعلى المحبوبين على ادناهما
وتحمل ادنى المكروهين لتخلص من اصلاهما وهذا خاصة
العقل فلا يعد عاقلا من كان ضد ذلك بل قد تكون
البهائم احسن حالا منه الباني في عزم وصبر يتمكن
من هذا العقل الذي فكثيرا ما يعرف الرجل قدر الفاضل
ولكن يأبى له ضعف نفسه وهمه وعزيمته الا ايثار الارفع من
حشيته وحرصه ورضاه نفسه وخسة همته ومثل هذا الا

سفع بسفسه لا سفع بغيره وقد فتح الله سبحانه لهذا الدين
الامن لهل الصبر واليقين فقال تعالى وقوله يهدي المهتدين
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بايتنا
يوقنون وهذا الذي سفع بعقله وبيع الناس به وضده لا
سفع بعقله لا سفع بغيره فالاول يمشي في نوره ويمشي الناس
في نوره والثاني قد طمس نوره فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه يمشي
في طلمة الثالث يمشي في نوره حتى **فصل**
اذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن ان يجمع في القلب المحبوب
الاعلى وعشق الصور ابدا اويل هما ضدان لا يتلاقيان
بل لابد ان يخرج احدهما صاحبه من كانت فيه حتى
للمحبوب الاعلى الذي محبته ما سواه باطل وعذاب على صاحبها
صرفه ذلك عن محبة ما ينفعه ان احبها الا لاجله
ولكونه وسيلة له الى محبته او قاطعا له عن ضد محبته يقطع
والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب ان لا يشرك به
وبين غيره في محبته اذ لا كمال للمحبوب من الخلق ما يليق ولا يغار
ان يشرك محبه غيره في محبته وبحسب ذلك وسعه لا
يخطيه قربه وبعده كاذبا في دعوى محبته مع انه ليس اهلا

لعرف المحبة الا لوصلة وكل محبة لغير الله عذاب على صاحبها ودليل
وهذا لا يعفر الله سبحانه ان يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا فمحبة الصور تفوت محبة ما هو انفع للعبد منها
بل تفوت محبة ما لنفس له صلاح ولا نعيم لا حياه نافعة الا
المحبة وحده ولمحبة احد المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب
لا يرتفعان منه بل من اعرض عن محبة الله وذل الشوق
الى لقائه ابتلاه بمحبة غيره فعذبه بها في الدنيا وفي البرزخ
وفي الاخرة فما ان تعذبه بمحبة الاوثان او بمحبة الصلبان
او محبة النيران او محبة المردان او محبة النسوان او محبة
الانسان او محبة العشيران او محبة الخلان او محبة ما هو
دون ذلك مما هو في غاية الحقارة الهوان فالانسان عبد
محبوبه اياما كان فقال

انت القتيل بكل من احببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

من لم يكن الله ماله ومولاه كان الهه هواه قال تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون
فصل وخاصية التعبد المحبة للحصول والدليل

للمحبوب بل من احب شيئا وضع له فقد تعبد قلبه بل التعبد
اخص مراتب الحب ويقال له التيم ايضا فان اول مراتبه الولع
وسميت علاقة لتعلق الحب بالمحبوب

وعلقت ليلى وهي ذات تميم ولم يسمع للاعراب من بدئها بحرم
وقال الاخر اعلاه ام الوليد بعدما افنان رأسك كالثغام المختلس
ثم بعدها الصبابة وسميت بذلك لانصباب القلب الى المحبوب
قال شكل المحبوب الصبابة ليتني حملت بالقرنين منهم وحدتي
فكانت لعلي لم احب كهم فلم ألق حبا قبلها لا بعدتي
ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه ومنه
سمي الغريم غريما لملازمته صاحبه ومنه قوله تعالى ان
عذابها كان غراما وقد اولع المتأخرون باستعمال هذا اللفظ
في الحب وقيل ان محله في استعار العرب ثم العشق وهو افراط
المحبة ولهذا لا يوصف به الرب تعالى ولا يطلق في حقه ثم
الشوق وهو سفر القلب الى المحبوب لحث الشوق وقد
جاء اطلاقه في حق الرب تعالى كما في مسند الامام احمد
من حديث عمار بن ياسر في انه صلى صلاة فاوجز فيها فقيل
له في ذلك فقال اما اني دعوت فيها بدعوات كان النبي

صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني اسالك بعلمك الغيب وقدرتك
على الخلق احيني اذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة
خيرا لي اللهم واسالك خشيتك في الغيب والشهادة واسالك
كلمة الحق في الغضب والرضا واسالك القصد في الفقر والغنى
واسالك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع واسالك برد
العيش بعد الموت واسالك لذة النظر الى وجهك واسالك
الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا
بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وفي اثر احاديث
شوق الابرار الى لقائي انا الى لقائهم اشد شوقا وهذا
هو المعنى الذي عنى به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من احب
لقاء الله احب الله لقاءه وقال بعض اهل العبارة في قوله
تعالى من كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله لات فليعلم
سبحانه انه شوق اولياءه الى لقائه وان فلوبهم لا تهدأ
دون لقائه ضرب لهم الحلو موعدا للقائه لكي تقوى نفوسهم به
واطيب العيش الله على الاطلاق في عيش الحزين المشتاق
المشتاق من صفاتهم هي الحياة الطيبة الحقيقية لا حياة
للعبد طيبة ولا انعم ولا اهنأ منها وهي الحياة الطيبة المذكورة

في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة
طيبة فسر الاكثرون الحياة المشتركة بين المؤمنين الابرار والاخيار
والفجار من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح بل ربما زاد
اعداء الله على اوليائه في ذلك اضعافا مضاعفة وقد ضمن الله سبحانه
لكل من عمل صالحا ان يحييه حياة طيبة وهو صادق الوعد
الذي لا يخلف وعده اي حياة اطيب من حياة من جمعت همومه
كلها وصارت هما واحدا في مرضاة الله لم يشغل قلبه بالافكار
على الله وجمعت ارادته واعكافه التي كانت متفرقة كل واد
منها شعبة على الله فصار ذكر محبوبه الاعلى والشوق الى
لقائه الاحسن بقربه هو المستولي عليه وعلى تلك الهموم
واراد انه وخصوصه بل خطرات قلبه فان سكت سكت بالله
وان نطق نطق بالله وان سمع فبه يسمع وان ابصر فبه يبصر وبه
يطش وبه يمشي وبه يحرك وبه يسكن وبه يحيى وبه يموت
وهذا معنى كما في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم فيما
يروي عن ربه تبارك وتعالى انه قال ما تقرب الي عبدي
بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به

وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها
فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي فلان مسائل لا يخطئه
ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي
عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته
ولابد له منه فتضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حراه
على علية الطبع لتقف القلوب فهم معناه المراد به حصل
اسباب محبته في امر بن اداء فرائضه التقرب اليه بالنوافل
ان المحب لا يزال يكثر من الوقوف حتى يصير محبوبا لله
فاذا صار محبوبا لله احبه الله له محبة اخرى مثل
محبته الاولى فستغلب هذه المحبة قلبه عن الفكر
والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه وحمله ان يوفر فيه سعيه
لغير محبوبه الى الله فصار ذكر محبوبه ومثله الاعلى ما لكا
لزمام قلبه مستوليا على روحه اسيرا لمحبوب على محبه
الصادق في محبته الى قد اجتمعت قوى خشيته كلها له
ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر
وان بطش بطش به وان مشى مشى به فهو في قلبه ومعه
وانيسه صاحبه فالله فيهما يا الصاحبة في مصاحبة

لا نظير لها ولا تدري بحد الاحصار عها والعلم بها لمسلة حالية
لا علمية محصة اذ الكان المخلوق بحد هذا في محبة المخلوق
التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال بعض المحبين
حيا الله في عيني وذل لي في مي ومتوال في قلبي فاين يقيم
وقال الاخر ومن عجبي اني احن اليهم واسال عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها وتستافهم قلبي وهم بين اضلعي
وهذا لطف من قول الاخر
ان قلت غبت فعلي لا صدقني اذا انت فيه مكان السمع والبصر
او قلت ما عندنا قال الفؤاد صدق فقد تجبت بين الصدق
فليس شيء ادنى الى المحب من محبوبه وربما تلفت منه المحبة
حتى يصير ادنى الى نفسه حتى نفسه لا نساه كما قال
اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل
وقال الاخر يراد من القلب نسيانكم ويابى الطباع على الناقل
وخص الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر فان هذه
الالات الات الادراك والات الفعل السمع والبصر يدركان
على القلب الادراك التي اهو احبها اليه المحبوب والبغض مستعمل
اليد والرجل فاذا كان سمع العبد ما يحبه الله وبصره ما يحبه الله كان محفوظا

في الات إدراك محفوظا في حضرة محفظ في بطنه
ومشيه وتأمل كيف افرد السمع والبصر واليد الى حل
عن اللسان وانه اذا كان ادراك السمع الذي يحصل باختيار
ما تزع ونعرفه ولذلك البصر قد يقع بغير الاختيار وكذلك
ولذلك حركة اليد الرجل التي لا يد للعبد منها فكيف بحركة
اللسان التي لا يمنع الا بقصد واختيار وقد يستغني العبد
عن الاختيار بها ايضا فتعال اللسان عن القلب ايم
من يفعال سائر الجوارح فانه سبحانه ورسوله وتأمل
كيف جعل تعالى كون العبد عند سمعه وبصره وبطشه و
يقول انت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فجعل الكون مع عبده
وكون عبده في ادراكاته بسمعه وبصره وحركاته بيده ورجله
وتأمل كيف قال في سمع وفي بصر وفي مطعن وربما ظن
الظان ان اللام اول هذا الموضع اذ هي ادل على الغاية
ووقوع هذه الامور لله وذلك اخص من وقوعها به وهذا
من الوهم والغلط اذ ليست الباء هنا لمجرد الاستعانة
فان حركات الاجرام وادراكاتهم انما هي بعونه

الله لم انما الباء هنا للمصاحبة اي انما يسمع ويبصر ويبطش
ويمشي وانا صاحبه ومعه كقوله في الحديث الاخر انا مع
عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وهذه المعية هي المعية
المذكورة الخاصة في قوله لا تحزن ان الله معنا وقول
النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقوله تعالى
وان الله لمع المحسنين وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين وقوله
كلا ان معي ربي سيهدين وقوله تعالى لموسى وهرون
اني معكما اسمع وارى فهذه الباء معينة لمعنى هذه المعية
دون اللام ولاجل هذه المعية الخاصة امر العبد بالتوكل
وفزع له في منازل العبودية الا بهذه الباء وهذه المعية
فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق وانقلبت المحاوف
في حقه امانا فبالله يهون كل صعب وتسهل كل عسير
وبقرب كل بعيد وبالله تزول الهموم والغموم والاحزان
فالله مع الله لا غم ولا حزن الا حيث يفوت العبد معنى
هذه الباء فيصير قلبه حينئذ كالحوت اذا فارق الماء
تقلب وتقلق حتى يعود اليه فلما حصلت هذه الموافقة

من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه
ومطالبه فيقال ولئن سألني لاعطينه ولان استعاذني
لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري
القرب الى محابي ظاهرا وافقني في محبته ورهبته فما
يسألني ان افعله به ويستحدني ان سأله وقوي امر هذه
الموافقة بالمحاسبة حتى افضى بتردد الرب سبحانه في
اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره
عبده ويكره مساءته ومن هذه الجهة تقتضي ان لا يميته
ولكن مصلحته في اماتته اما اتلافه الا لحسنه ولا امراضه
الا ليصحه ولا افقره الا لينعشه ولا منعه الا ليعطيه
ولم يحرمه الجنة في صلبانيه الا ليعطيه اياها على احسن
احواله واكمل لا يشوبها الا هو يدان يحبه
اليها وهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سيما بل لو كان في
كل مقيت شعرة من العبد محبة تامة لله لكان بعضها يسحقه
على عبده ولا تقل فوادل حتف شقشقة الهوى الحف الا لحبيب الاول

فصل ثم التتيم هو اخر مراتب المحبة وهو تعبد

المحب لمحبوبه تقال بتيمه الحب اذا عبده ومنه تيم الله اي عبد
الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع للمحبوب ومنه قولهم
طريق مُعَبَّد اي مذلل فقد ذلله الاقدام فالعبد هو
الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف
احوال العبد ومقاماته هي العبودية فلا سبيل له اشرف
منها وقد ذكر الله سبحانه ارم الخلق عليه واحوجهم اليه وهو
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية في اشرف مقاماته
وهي مقام الدعوة الى الله ومقام التحدي بالنبوة ومقام الاسراء
فقال وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يلبدون عليه
لبدا وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وذكر ثنا استفاءه
اذ هبوا الى محمد عبد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فنال مقام الشفاعة بكمال عبوديته وكمال معرفة الله
له فانه سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له
ان هي الا انواع المحبة باكمل انواع الخضوع والذل
وهذا هو حقيقة الاسلام وملة ابراهيم الى من رغب

عنها فقد سفه نفسه قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من
سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين
فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد
الهك واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا
ونحن له مسلمون ولهذا كان اعظم الذنوب عند الله الشرك
والله لا يغفر ان يشرك به واصل الشرك بالله الاشراك
به في المحبة قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله
من اصحاب الانداد لانداده وقيل بل المعنى انهم اشد
حبا لله من اصحاب الانداد لانداده وان احبوا الله
لكن لما اشركوا غيره في نفس انداده في المحبة ضعفت محبتهم
لله والموحدون لله لما خلصت محبتهم له كانت اشد
محبة اولئك العدل برب العالمين والتسوية بهم في
الانداد هو في هذه المحبة كما تقدم ولما كان مراد من

من خلقه هو خلوص هذه المحبة له انكر على من اتخذ من دونه
وليا او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك تارة وافرد احدهما
عن الاخر بالانكار مثاله قال تعالى الله خالق السماوات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع افلا تذكرون وقال وانذر به الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون
وقال في الافراد ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل او لو
كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وقال ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقال ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء
ولهم عذاب عظيم فاذا اريد التعميم وحده اقام له الشفعاء
وعقد الولاية بينه وبين عباده المؤمنين فصار الولي والشفيع
هو المصطفى الذي اتخذه خلوقا وليا من دون الله وهذا هو الذي
وذاك لون كما ان الشفاعة المشركة الباطلة لون والشفاعة
الحق الثابتة التي انما تنال بالتوحيد لون وهذا موضع فرق
بين اهل التوحيد واهل الاشراك والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم والمقصود ان حقيقة العبودية لا تحصل مع الا
شراك في المحبة بخلاف المحبة لله فانها من لوازم العبودية وموجباتها

فان محبة الرسول لا تقدم في الحب على الانفس والاباء والابناء
لانهم الايمان الا به ادمحبته ومحبة الله ولذلك قرن حبه الله
ورسوله كما في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الايمان وفي لفظ في الصحيح لا يجد حلاوة
الايمان الامن كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره
ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار
وفي الحديث الذي في السنن من احب لله وابغض لله واعطى
لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وفي حديث اخر ما تحاب
رجلان في الله الا كان افضلهما اشدهما حبا لصاحبه فان
هذه المحبة هي لوازم محبة الله وموجباتها وكلما كانت اقوى
كان اصلها كذلك **فصل** وههنا اربعة
انواع من المحبة يجب التفريق بينها وانا اخل بمن ضل بعدم
التمييز بينها احدها محبة الله لا يكون وحدها في النجاة
من عذاب الله ولا في نيل الثواب فان المشركين وعباد الصليب
واليهود وغيرهم يحبون الله الا بمحبة ما يحب الله وهذه
هي التي يدخل بها في الاسلام ويخرج بها من الكفر واحب الناس
الى الله

الى الله اقومهم بهذه المحبة واشدهم فيها الثانية المحبة
لله وفيه وهي من لوازم محبة ما يحب ولا تستقيم محبة ما يحب الا بالمحبة
فيه وله الثالثة المحبة مع الله وهي المحبة المشركية وكل من احب
شيئا مع الله لا لله ولا من اجله ولا فيه فقد اتخذه ندا من دون
الله وهذه محبة المشركين ومن قلدهم خاسئ لبيس مما نحن
فيه وهو المحبة الطبيعية وهي ميل الانسان الى ملائم طبعه
كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم والزوجة
والولد فتلك لا تذم الا اذا الهت عن ذكر الله وشغلت
عن محبته كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا
اولادكم عن ذكر الله وقال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله **فصل** ثم المحلة وهي تضمن كمال
المحبة وهي محبة لا يبقى في قلب المحب سعة لغير محبوبه وهي منصب
لا ينيل المشاركة توهما وهذا المنصب خاص بالخليلين من
صلوات الله وسلامه عليهما ابراهيم ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم
ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه انه
قال لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
ولكن صاحبكم خليل الله وفي حديث اخر اني ابرأ الى كل خليل من

خلة

خلته ولما سئل ابرهيم الولد اعطه تعالى حبه بقلبه فاخذ منه
شعبة غار الحبيب على خليله ان يكون فى قلبه موضع لحب
ما سوى محبوبه وكان الاولى ان لم يكن للمحب سيد الا مولاه
ان اعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد لكن
المقصود ذبحه من قلبه لتخلص القلب للرب فلما بادر الخليل
الى الامتثال وقدم محبة الله حصل المقصود
فرفع الذبح وفدى بذبح عظيم فان الله تعالى لما امر نبيه
ثم ابطله واستامل لابد ان يفى بعضه او بدله كما انه مع سبب
الفداء كما ابقى الخمس صلوات بعد فرض الخمسين واعقبوا بانها وقال
لا يبدل القول لدى هن خمس وهن خمسون فى الاجر

فصل

واما ما ظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان
ابرهيم خليل الله ومحمد حبيب الله من جهلهم ان المحبة عامة
والخلة خاصة والخلة غاية المحبة وقد اخبر النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون لغير خليل
غيره مع اخباره بحب عائشة لابيها ولعمر الخطاب وغيرهم
وايضا فالله سبحانه يحب التوابين ويحب المطهرين ويحب
المقسطين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين وخلته

وحبه خاصة بالخليلين والشاب التائب حبيب الله فما
هذا من قلة العلم الفهم عن الله ورسوله

فصل

قد تقدم ان العبد لا يحبه كما يحبه ربه ورسوله الا لما يحبه
ربه ورسوله لكن تتركب اصعبها محبة لا قواها محبة كما انه يفعل
ما يكرهه لحصول ما يحبه اقوى عنده من تركه فهو ما يفعله
وتقدم ان خاصة العقل ايثارا على المحبوبين على ادناهما
واستلزام هذا هذين على اقواهما وتقدم ان هذا كما يقع
في الحب البعض ولا يتم له هذا الا بما يرى فوق الادراك
وشجاعة القلب فان التخلف عن ذلك اما لضعف العلم عما فيه
اما لضعف الادراك بحيث انه لم يدرك مرتبة المحبوب
والمكرم على ما هو عليه اما لضعف في النفس وعجز في القلب
لا تطاوعه لايثار والاصطبار مع علمه بما في الامر على ما هو عليه
ادراكه وفوت نفسه وشحه قلبه على ايثار المحبوب
الاعلى والمكرم الادنى فهذه ثلاثة اسباب لتخلف
من الناس من يكون سلطان شهوته اقوى من سلطان
عقله وايمانه فهذا الغالب للضعيف ومنهم من يكون سلطان
ايمانه وعقله اقوى من سلطان شهوته اذا كان كثير من المرضا

انظر صحاب الصدق سوى
السلامة تجوط الى

حميه الطبيب عما يضر فنهاه عليه بنفسه وسهونه الى تناوله
وتقدم شهوته على عقله وتسميه الاطباء علم المرة وهكذا
الثة مرض القلوب ونقرون ما نريد من صمتم لقوة شهوتهم له
فاصل الشهوة ضعف الادراك وقوة النفس وشرفها
وشجاعتها فاصل الارادة اصل كل فعل ومبدأه البعض
والكراهة اصل كل ترك ومبدأه وهما نان القوتان في
القلب اصل سعادة القلب وشقاوته ووجود الفعل
الاختياري لا يكون الا بوجود سببه من الحب والارادة
واما عدم الفعل فقد يكون لعدم مقتضيه وسببه
وقد يكون لوجود المعوق والمانع منه وهذا
منعلق الامر النهي وهو الذي يسمى الكف وهو متعلق التوا
والعقاب وبهذا يزول الاشتباه في مسئلة الترك هل
هو امر وجودي او عدمي والتحقيق انه قسمان والترك
المضاف الى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف
السبب المانع من الفعل وجودي

فصل

وكل واحد من الفعل والترك الاختياري بما يوجد
الجزء لما فيه من حصول المنفعة التي يريد تحصيلها او د

زوال الالم الذي حصل له الشفا بزواله ولهذا قال شفى صدره
وشفى قلبه قال

هو الشفا الذي لو طرب به وليس بعده شفا الداء يبدو له

وهذا مطلوب يوثر العاقل على الحيوان البهيم ولكن يغلط
فيه اكثر الناس غلطا فاحشا فيقصد حصول الالم بما يعقب
عليه اعظم الالم فيولم نفسه من حيث يظن انه يحصل لذتها ويشفي
قلبه بما يعقب عليه غاية المرض وهذا شان من قطع
كل العاجل لم يلاحظ العواقب وخاصة العقل المطمئن
العواقب فاعقل الناس من آثر لذة وراحة الاجل
الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة واسفه الحمق من
باع نعيم الابد بطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا
تشوبها نغص ولا تقصر بوجه ما بلذة منغصة مشوبة
بالالام المخاوف وهي سريعة الزوال وشكه الا
قال بعض العلماء فكرت فيما يسعى فيه العقلا
فرايت مسعاهم كلهم في مطلوب واحد وان اختلفت طرقهم
في تحصيله رايتهم جميعهم انما يسعون في دفع الالم والغم عن
نفوسهم فهذا بالاكل والشرب وهذا بالتجارة والكسب

وهذا المكاح وهذا استماع الغناء والاصوات المطربة وهذا
ما للهوى اللعب فعلت هذا المطلوب مطلوبا لعقلاء ولكن الطل
كل غير موصل اليه بل لعل اكثرها اذا توصل الى ضده لم ار
في جميع هذه الطرق طريقا موصلا الا الاقبال على الله ومعاملته
وحده والايثار رضاه على كل شيء فان سالك هذه الطريق ان
فاته حظه من الدنيا فقد فاز بالحظ العالي الذي لا فوت معه
وان حصل للعبد حصل له كل شيء وان فاته كل شيء وان
فاز بحظه من الدنيا فانه على اعلى الوجوه فليس للعبد انفع
من هذه الطريق ولا ادخل منها الى الجنة ونعيمه وسعادته
وبالله التوفيق **فصل** والمحبوب قسمان
محبوب لنفسه ومحبوب لغيره المحبوب لغيره لا بد ان ينتهي الى
المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل المحال وكل ما سوى المحبوب
للحق هو محبوب لغيره وليس شيء يحب لنفسه الا الله وحده
وكل ما سوى الله محبته تبع لمحبة الرب تعالى لمحبته
ملائكته والله وانبيائه واوليائه فان محبة المحبوب توجب محبة
من هو من لوازم محبته فان محبة المحبوب توجب محبة
ما يحبه وهذا موضع يجب الاعتناء بفهمه فانه محل

وفرقان بين المحبة النافعة لعبده التي لا ينفع بل قد تضره
فاعلم انه لا يحب لذاته الا من كمل في اوصاف ذاته والاهيته
وربوبيته وغناه عما سواه لوازم ذاته وما سواه فانما يحبه
ويحبهم لما فاته من محاسنه ومصادقته لها وبعضه (اهـ)
بحسب قوة هذه المفاتيح وضعفها فاذا كان اشتد تفاوت
المحبة كان اشتد (اهـ) من الاحياء والاوصاف
والافعال والارادات وغيرها فهذا ميزان عادل
يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته
فاذا رأينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره ما يحبه
علمنا ان فيه من معاداته بحسب ذلك واذا رأينا
الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان الشيء
احب الى الرب كان احب اليه وانزع عنه وكلما كان
ابغض الى الرب كان ابغض اليه وابعد منه علمنا ان
فيه من موالاة الرب سبحانه بحسب ذلك فتمسك بهذا
الاصل غاية التمسك وزن غيرك فالواجب
عليك ان تعرف اولا الحسنات في محابه وسيئاتها حظه
ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تزهد ولا رفض المحبوب

لغيبه فشان ايضا احدهما ما للمحب بادراكه وحصوله والثاني
ما شاكله وكل عمله لاضافته الى محبوبه كشرب الدوا
الكريه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاخبر سبحانه ان القتال
مكروه لهم مع انه محبوب لهم لاضافته الى اعظم محبوب وهو نفعه
والنفوس تحب الراحة والدعة والرفاهية وذلك شيئا
لاضافته الى فوات هذا المحبوب فالعاقل لا ينظر
الى لذة المحبوب العاجلة فيثمرها والم المكروه العاجل
فيرغب عنه فان ذلك قد يكون متساويا له بل قد يغلب عليه
غايته الالم وفوته اعظم اللذة بل عقلاء الدنيا يتحملون
المشاق المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وان
كانت متفطعة فالامور اربعة مكروه يوصل الى
مكروه ومكروه يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل
الى محبوب ومكروه يوصل الى محبوب والمحبوب
الموصل الى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من
وجهين والمكروه الموصل الى مكروه قد اجتمع فيه داعي

الترك من وجهين فقوى السببان الاخران نحاذيهما الداعيان
وهما معترك الابتلاء والامتحان فالنفس توازنها جوارا
منها وهو العاجل العاقل للانسان يوازنهما انتهاما والقلب
والفكر بين الداعين وهو الى هذه المرة وذا الى هذا مرة وههنا
محل الابتلاء شتى وقد ركب داعي العقل والايمان في بادئ
كل وقت حي على الفلاح عند الصباح يحمد القوم السرى
وفي المأثور عن بعض العبد الصالح فان اشتد ظلام الليل المحبه
وتحكم سلطان الشهوة والارادة تقول يا نفس صبرا
فما هي الا ساعة ثم تمضي وتذهب هذا كله وتزول
فصل واذا كان الحب اصل كل عمل من حق
وباطل فاصل الاعمال الدينية حب الله ورسوله كما
ان اصل الاقوال الدينية تصديق الله ورسوله
وكمال ارادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وبالعكس هذه المحبة
او شبهه تمنع كمال التصديق هي معارضة لاصل الايمان
او مضعفة له فان قويت حتى عارضت اصل الحب التصديق
كانت كفرا ومشركا اكبر وان لم تعارضه قدحت في كماله
واثرت فيه ضعفا وفتورا في الخبرة الطلب وهي تجب

الواصل وقطع الطالب وتكمل الراغب فلا تصح الموالاة الا
بالمعاداة كما قال تعالى عن امام الحنفاء المجيب لله قال
لقومه انا بريء مما تعبدون الا الذي فطرني
فانه سيهدين فجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
اي جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سوى كلمة باقية
في عقبه بتوارث الانبياء واتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة
لا اله الا الله وهي التي دعا اليها امام الحنفاء لاتباعه الى
يوم القيمة وهي الكلمة التي قامت بها الارض والسماوات وقطر
الله على جميع المخلوقات وعلا استقامت الملة ونصبت
القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على العباد
وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والمدرجة في هذه الدار

والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشود الذي لا
يدخل احد الجنة الا به الجميل الذي لا يصل الى الله من
لم يتعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام
وبها انقسم الناس الى شقي وسعيد ومقبول ومطرود
وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان وتميزت دار النعيم
من دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرض والسنة
ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وروح
هذه الكلمة وسرها افراد الرب جل جلاله بالتأله والتعظيم
والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة
والحب لله والبغض فيما يحب تعالى لحبه له وسيلة
الى زيادة محبته لا لخوف سواه لا لرجى سواه لا لتوكل الا
عليه ولا رغبة الا اليه ولا رجاء الا فيه ولا رهبة الا منه
ولا حلف الا باسمه ولا نذر الا له ولا ذبح الا اليه
ولا طاعة الا لرسوله ولا عبادة الا ما شرعه ولا استعانة في الشدائد
الا به ولا التجاء الا اليه ولا تحاكم الا له ولا تنجز الا به وباسمه
وتجمع ذلك كله في حرف واحد وهو ان لا يعبد الا اياه بجميع انواع

الصابة فهذا هو خصوصها وان لا اله الا الله حصنه السلام
ومحال ان يدخل النار من تحصن بحصنه هذه السلاح وقام بها
كما قال تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون وقائما شرائطها
في ظاهره وباطنه في قلبه وقالبه فان من الناس من يكون شهادته
ومنهم من يكون نائمة اذا بهت استيقظ ومنهم من يكون مضطجعة
ومنهم من يزول الى القيام اقرب وهي في القلب بمنزلة الروح في
البدن فروح ميته وروح مريضة الى الموت اقرب وروح
الحياة اقرب وروح صحيحة قائمة بصالح البدن وفي الحديث الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت
الا وجدت روحها روحا فحياة الروح بحياة هذه الكلمة
كما ان حياة البدن بوجود الروح فيه وكما ان من مات
هذه الكلمة فهو في الجنة فكذلك من عاش على تحقيقها والقيام
بها فروحه تتقلب في جنة المأوى وعيشه اطيب عيش
قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى فالجنة مأواه يوم اللقاء وجنة المعرفة
المحبة الانس بالله والشوق الى لقائه الفرحة الرضا عنه
وعنه مأوى مأوى روحه في هذه الدار فمن كانت هذه الجنة

مأواه يوم المعاد ومن حرم هذه الجنة فهو لذلك استحق
حرمانها في الاخرة وفي النعيم وان استدام العينين وضاقت
عليهم الدنيا والجاحدون يجدون ان اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة
وطيب الحياة جنة الدنيا وقال تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا فاي نعيم اطيب من شرح الصدر واي عذاب امر
من ضيق الصدر وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في
الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز
العظيم فالمؤمن المخلص لله من اطيب الناس عيشا واحسنهم حالا
واشرحهم صدرا واسرهم قلبا وهذه جنة عاجلة قبل الجنة
الاجلة ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا مر بهم برياض الجنة ارتعوا
قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومن هذا قوله
وقد سألوه عن صيام يوم الصوم اني لست كهيئتكم اني اظل
عند ربي يطعمني ويسقيني واخبر صلى الله عليه وسلم انما حصل له

من الغذا عند به تقوم مقام الطعام والشراب الحسي وانما
حصل له من ذلك الكلام مخصوص لا تدركه فيه عجز فاذا امسك عن
الطعام والشراب فلو عنه عوض تقوم مقامه وثبوت مشابه وعوض عنه
كما قيل لها احادثت من ذكراك لشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور يستضيء به ومن حديثك في اعقابها حاد
اذا شكت من كلال السير او عدها ورد اللقا فتحاها عند ميعاد

فصل كلما كان وجود الشيء انفع للعبد وهو اليه
احوج كان تألمه بفقده اشد وكلما كان عدمه انفع له كان ما له
بوجوده اشد ولا شيء على الاطلاق انفع للعبد من اقباله على الله
واشتغاله بذكره ومحبته وايثاره لمرضاته بل لا حياة له لا
بهم لا سرور ولا نعيم الا بذلك فعدمه الم شيء له واشده عذابا
عليه وانما يحجب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب اشتغاله
بضده واستغراقه في ذلك الضد فتغيب به عن شهود ما هي فيه
من الم الفوت فان احب شيء اليها وانفعه لها وهذا بمنزلة
السكران المشغوف بسكره الذي احترقت داره واموله
واهله واولاده وهو لاستغراقه في السكر الذي هو فيه لا يشعر بالم
الفوت وحسرته حتى اذا صحا وكشف عنه غطاء السكر وافاقه

من رقدته الحمر فهو اعلم بحاله حينئذ وهكذا الحال سواء بعد
كشف الغطاء ومعاينة طلائع الاخرة الاشراف على مفارقة
الدنيا والانتقال منها الى اهول الاهوال واعظم العذاب فهناك
استدبر صعاف فضاعفنا ان المصاب بالدنيا من واجب
مصيبته بما لا عوض عنه لا بد منه لا نسبة بينه وبين الدنيا
جميعا فلو قضى الله سبحانه الموت من هذه الحشرجة الالم لكان
العبد حريرا به ان الموت ليعود اعظم امنيته وارجى راحته
هذا لو كان الالم على مجرد الموت فكيف وهناك من العذاب
على الروح والبدن امور اخرى وجودية ما لا قدر فتدبر فناك
من حمل هذا الخلق الضعيف هذا الالم العظيم الذي لا
تحمله الجبال الراسيات فاعرض الان على نفسك اعظم محنوب
لك في الدنيا حتى لا طيب لك الحياة لا معه فاصبحت وقد اخذ
منك وحيل بينك وبينه احوج ما كنت اليه كيف يكون حالك
هذا ومنه ما عوض فكيف بمن لا عوض عنه

من كل شيء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض
وفي اثر الالهي ابن ادم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك
فلا تتعب ابن ادم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان

فصل

تنبيه قائل هل شيء انا احب اليك من كل شيء
لما كانت المحبة خصائص تحته انواع متفاوتة في القدر او الوصف كان اغلب
ما يذكر في حق الله تعالى ما خص به وليق به من انواعها والاصل
الاله في حقه مثل العبادة والانابة ونحوهما فان العبادة لا
تصلح الا لله وحده ولذلك الانابة وقد قال المحبة باسمها المطلق
لقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله فاعظم انواع المحبة المذمومة المحبة مع الله التي يسوي
المحب فيها بين محبة الله ومحبته للند الذي اتخذه من دونه اعظم
انواعها المحمودة محبة الله وحده وبحبه ما احب وهذه المحبة هي
اصل السعادة وراسها التي لا نجو من العذاب الا بها والمحبة
المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة وراسها التي لا نفلت في
العذاب الا اهلها فاهل المحبة الذين اخلصوا لله وعبدوه
وحده لا شريك له لا يدخلون النار ومن دخل منهم منهم مذنبهم
فما لا سف فيما منهم احد وهذا دل القرآن على الامرين تلك المحبة
ولوازمها والنهي عن المحبة الاخرى ولوازمها وضرب الامثال
والمقاييس للنوعين ذكر فصل النوعين وتفصيل اعمال النوعين

اوليائهم معبودهم كلها اخبار عن ضلة النوعين وعن حال النوعين
في الدور الثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار
فالقرآن في شأن النوعين اصل دعوة جميع الرسل من اولهم الى
آخرهم انما هو عباد الله وحده لا شريك له المتضمنة لكمال محبته
وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم ذلك من
الطاعة والتقوى وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين
وفي صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب قال يا رسول الله انك
لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال لا يا عمر
حتى اكون احب اليك من نفسك فقال فوالذي بعثك بالحق
لانت احب الي من نفسي فقال الان يا عمر وذا كان هذا
شأن محمد عبده ورسوله ووجوب تقديمه على محبة نفس
الانسان وولده ووالده والناس اجمعين مما الظن بمحبة ربه
سبحانه ووجوب تقديمه على محبة ما سواه ومحمد اذا بين تعالى
خصائص محبته في قدرها وصفتها واهلها فان الواجب
من ذلك ان يكون احب الي العبد ذلك والله اعلم

ونفسه الى بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب الله من ذلك
كله والشئ قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شئ
يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده لا شريك له الالوهية الالهة
ولو كان فيها الهة الا الله لفسدتا والالهة هو المحبة والطاعة
والخضوع **فصل** وكل حركة في العالم العلوي
والسفلي فاصلها المحبة وهي علتها الفاعلة الغائية وذلك ان
الحركات بالنوع حركة اختيارية ارادية وحركة طبيعية
وحركة قسرية فالحركة الطبيعية اصلها السكون انما تتحرك
الجسم اذا خرج عن مستقره ومركزه الطبعي فهو يتحرك للعود
اليه وخروجه عن مركزه ومستقره انما هو بتحريك القاسر المحرك
له فلو حرك قسرا بحجر وقاسر وحركه طبعه بذاته تطلب
العود الى مركزه وكل حركة تابعة للقاسر المحرك فهو اصل
الحركتين والحركة الاختيارية الارادية هي اصل الحركتين وهي
تابعة للارادة المحبة فصارت الحركات الثلاث تابعة للمحبة
والارادة الدليل على انحصار الحركات في هذه الثلاث ان
المتحرك ان كان له شعور فالحركة منه ارادية ان لم يكن له
شعور بها واما ان يكون على وفق طبعه او خلافه الاول هي الطبيعية

والثانية القسرية اذا تبين هذا فما في السموات والارض وما بينهما
من حركات الافلاك والشمس والقمر والنجوم والجبال والرياح
والسحاب والمطر والنبات وحركات الجنة والنار بطون امهاتها فانما
هي بواسطة الملائكة المدبرات امرا والمقسمات امرا كما دل على
ذلك نصوص القرآن والسنة في غير موضع والايمان بذلك من تمام
الايمان بالملائكة فان الله وكل بالرحم ملائكة وبالقطر ملائكة
وبالنبات ملائكة وبالرياح ملائكة وبالافلاك والشمس والقمر والنجوم
وكل بكل عبد اربعة من الملائكة كما تقدم على يمينه وشماله
وحافظان من بين يديه ومن خلفه وكل ملك يقبض روحه
وحمرها الى مستقرها من الجنة والنار وملائكة يسألونه
والجنان التي وفيه وعذابها كل ذلك ونعيمه وملائكة تسوقه الى
المحشر اذا قام من قبره وملائكة تسعده في النار او نعيمه
في الجنة وكل بالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة تسوقه
حيث امرت به وبالقطر ملائكة تنزله بامر الله بقدر معلوم كما
شاء الله وكل ملائكة يعرض الجنة وعلى النار وفيها وشاهد
والقيام على ملائكة بالنار دليل على اعظم جند الله الملائكة
ولفظ الملك يستعمل بانه رسول مسخر لامر غيره فليس شئ من الاجرام

بل الامر كله لله وهم مدبرون الامر ويقتصوه بامر الله واذنه قال
تعالى اخبارا عنهم وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا
وما خلفنا وما بين ذلك وما الاية وقال تعالى وكم من ملك
الاية واقتم سبحانه بطوائف الملائكة المقدرين لامور في الخليقة
كما قال والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا وقال والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا وقال تعالى
والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا
والسابقات سبقا فالمدبرات امرا وقد ذكرنا معنى ذلك
وسر الاقسام به في كتاب ايمان القرآن واذا عرف ذلك
فجميع تلك المخلوقات والحركات والارادات والافعال
هي عباد منهم لرب الارض والسماوات وجميع الحركات الطبيعية
والقسرية تابعة لها فلولا الحركات الارادية الافلاك ولا
حركت الكواكب النيرات ولا هبت الرياح المسخرات ولا
مرت السحاب الحاملات ولا تحركت الاجنة في بطون الامهات
ولا انصدع عن الحب انواع النبات ولا اضطربت امواج
البحار الزاخرات ولا تحركت المدركات والمشتهيات ولا

سبحت

سبحت بحمد فاطرها الارض والسماوات وما فيهن من انواع المخلوقات
فسبحان من يسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن الاية

فصل

اذا عرف ذلك فهل حي له اراده ومحبة وعلم
حسب وكل متحرك فاصل حركته المحبة والارادة لاصلاح للموجودات
الا بان تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وبارئها وحده الا وجود
لها بدونه وحده ولهذا قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
ولم يقل سبحانه لما وجدنا وانما معدوم ولا قال لعدمتا
اذ هو سبحانه قادر على ان يعدمها على وجه الفساد لكن لا يمكن
ان يكون فاعل وجه الصلاح والاستقامة الا بان يكون الله
وحده هو معبودها ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما فلو كان
للعالم الاهان لفسد بطلانه غاية الفساد فان كل
الهين يطلب مغالبة الاخر والعلو عليه وقهره ودونه بالالهية
اذ السر كله نفي تال الالهية والالاهة لا يرضى لنفسه
ان يكون الاها ناقصا فان فرض احدهما الاخر كان هو
الاله وحده المعبود ليس بالاه وان لم يقهر احدهما الاخر
لزم عجز كل منهما وضعفه فلم يكن تام الالهية يجب ان يكون
موجودا قاهرا لما حاكم عليها والا ذهب كل منهما بما خلق

و طلب كل منها العلو على الاخر وفي ذلك فساد امر السماوات
والارض ومن فيهن اما هو المعهود من فساد البلاد اذا كان
فيه ملكان متكافئان وفساد الزوج اذا كان لها تعلق
والشول اذا اقترن فيه فحلان واصل فساد العالم انما هو
من اختلاف الملوك والخلفاء ولهذا لم يقع اجد الاستلاء
في زمن من الازمنة الا في زمن تعدد ملوك المسلمين واختلافهم
وانفراد كل منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على بعض فصلاح
السماوات والارض واستقامتها وانتظام امر المخلوقات كل
انما هو بوجود نظام من اظهر الادلة على انه لا اله الا الله وحده
لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وان كل معبود
من لدن عرشه الى قرار ارضه باطل الا وجهه الاعلى وان تعالل
ما اتخذ الهة من ولد وما كان معه من اله الاية وقال ام اتخذوا
الهة من الارض الانشرون وقال تعالى قل لو كان معه الهة
كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اي لامتنعوا السبيل الله بالمغالبة
والقهر كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله
في الاية الاخرى ولعلا بعضهم على بعض قال ابن عباس
والمعنى ان المعنى لابتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه بطاعته

فكيف بعبدونهم من دونه وهم لو كانوا الهة كما تقولون
لكانوا عبدة اله قال ويدل على هذا المعنى من قوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه اي هؤلاء الذين تعبدونهم من دوني هم عبادي كما انتم عبادي
يرجون رحمتي ويخافون عذابي فلما دانت عبدونهم من دوني
الباني اله سبحانه لم تقل لابتغوا اليه سبيلا بل قال لابتغوا الى
سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله اتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة واما في المغالبة فانما يستعمل
بعلى كقوله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الثالث انهم
لم يقولوا ان الالهة تعالبه وتطلب العلو عليه وهو سبحانه قد
قال قل لو كان معه الهة كما تقولون هم انما كانوا يقولون
ان الالهة تبتغي التقرب اليه وتقربهم زلفى اليه فقال لو كان
الامر كما تقولون لكانت تلك الالهة عبدة اله فلما تعبدون
عبده من دونه فصل والمحنة لها اثار ونتائج
ولوازم ولاحكام سواء كانت محمودة او مذمومة نافعة او ضارة
من الوجد والذوق الحلاوة والشوق الانس والاتصال بالمحبوب
والقرب منه والانفصال عنه والبعد منه الصدر النجران

والفرح والسرور والبكا والحزن وغير ذلك من احكامها ولوازمها
والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها سعادة دنياه
واخرته وهذه المحبة هي عنوان سعادة النفس وهي التي تجلب
لصاحبها ما ذكر في دنياه واخرته وهي عنوان شقاوته
ومعلوم ان الحي الفاعل لا يخلو من محبة تناسبه وتسقيه وانما
يصدر ذلك عن جهل وظلم فان النفس قد تهوى ما يضرها
ولا تشعر وذلك ظلم من الانسان لنفسه اما ان يكون جاهلا
بحال محبوبها من انه يهوى الشيء ونحبه غير عالم بما في محبته من
المضرة وهذا حال من اتبع هواه غير عالم بما في محبته من
المضرة ولكن يوشك ان يهوى العلم بها وقد يترك بعض من امر من
اعتقاد فاسد وهو مذموم وهذا حال من اتبع الظن
وما تهوى الانفس فالمحبة الفاسدة لا تكون الا من جهل او
اعتقاد فاسد او هوى غالب وما تركب من ذلك واعان بعضه
بعضا فبقدر منشئه من الجهل والباطل يذم من له
امر المحبوب ومنشؤه يدعو الى حصوله فتنبسط على حسن
الشهوة والشهوة على حسن العقل والايمان فالعلة لا قوام لها
واذا عرف هذا فتوابع كل نوع من انواع المحبة له حكم متبوعه

فالمحبة النافعة المحمودة ان هي عنوان سعادة العبد وتوابع
نافعة له حكمها حكم متبوعها فان كل نفعه وان حزن نفعه وابن
فرح نفعه وان انقبض نفعه وان انبسط نفعه فهو منقلب في
منازل المحبة احكامها في مزيد ورفيق المحبة الضالة المذمومة
توابعها وآثارها كلها ضار لصاحبه مبعده له من ربه لكنه ما
تعلق في اثارها ونزل في منازلها فهي في حسران بعد وهذا
شان كل فعل تولد عن طاعة ومعصية فكلما تولد عن الطاعة
فهو زاده لصاحبه وقربه وكلما تولد عن المعصية فهو خسران
لصاحبه وبعد قال فعال لذلك فانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب
الآية فاخبر سبحانه في الآية الاولى ان المتولد عن طاعتهم
وافعالهم لكسلهم به عمل صالح واخبر في الثانية ان لهم العمل الصالح
الذي باشروها بكيت لم نفسها والفرق بينهما ان الاول ليس من
فعلهم وانما تولد عنه فلذلك لم يوجب عملا صالحا فلتنافس المتنافسون
هذا الصدد حق المنافسة لعلم الله وما على سيعلم يوم العرض
اني نصاحة اضاع وعند الوزن ما كان خفيفا

فصل

وكان المحبة الارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين سواء كان
حقا او باطلا فان الذي هو الاعمال الباطنة الطاهرة والمحبة

من ج

والاداء اصل ذلك كله الذي هو الطاعة والعبادة والخلق هو الطاعة
اللازمة الدائمة التي صارت خلقاً وعادة ولما فسر الخلق
بالدين في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال الامام احمد
عن ابن عيينة قال ابن عباس لخلق عظيم وسئلت عائشة
عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن
والدين فيه معنى الادلال والقهر وفيه معنى الذل والخضوع للطاعة
فلذلك يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال دينه فدان
اي قهره فذل قال الشاعر

هو دان الرباب اذ هو لم يدن فاصحوا لعزة وصبال

ويكون من الادنى للاعلى كما يقال دنت الله ودنت بدينه
وفلان لا يدين الله دين حق ولا يدين بدين الله اي لا يطيع
الله ويحبه ويخافه ويدان به لمن يخشع له ويخضع ويذل وانقياد
والدين الباطن لا بد فيه من الحب والخضوع كالعبادة سواء
بخلاف الدين الظاهر فانه لا يستلزم الحب وان كان فيه انقياد
وذل في الظاهر ويسمى الله يوم القيمة يوم الدين فانه اليوم الذي
يدين فيه الناس باعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر وذلك
بعض جزاهم وحسابهم فلذلك فسر بيوم الجزاء ويوم الحساب

وقال تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها اي فهلا ترجعون
الروح الى مكانها ان كنتم صادقين مربوبين لا مقهورين لا محزيين
وهذه الآية محتاج الى نفسها فانها استشهد للاحتجاج عليهم في
انكارهم البعث والحساب لابد ان يكون للدليل مستلزماً
لمدلوله بحيث ينتقل الذهن منه الى المدلول لما بينهما من
التلازم فكل ملزوم دليل على لازمه لامتناع العكس وجه
الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزاء فقد كفروا بربهم
وانكروا قدرته وربوبيته وحكمته فقالوا ان نحن الا نموت وما نحن
بمبعوثين فاخبر انهم مقرون بانه سبحانه اذا شاء يحييهم اذا شاء
يميتهم وانه هو الذي خلقهم وبعثهم وبعثت منيتهم وانما ان لا
يقروا بربوبيته هذا شأنه فان اقروا به لزمهم البعث والنشور
والدين الآخر والجزاء وان انكروه وكفروا به فقد دعوا انهم
غير مربوبين ولا محكوم عليهم ولا لهم رب يتصرف فيهم كما اراد
فهم لا يقدرون على دفع الموت عنهم اذا جاءهم وعلى رد الروح
الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب
للحاضرين عند المحتضر وهم يعاينون موته لي فهلا ترد
روحه الى مكانها ان كان لكم قدرة وتصرف ليست مربوبين ولا

منهو دين لفاهم قاد رمض عليها حكامه وسفد فيها اوامره وهذا
غايه التعجيز لهم اذ شتان بين عجزهم عن رد نفس واحده من مكان
الى مكان ولو اجتمع على ذلك الثقلان فيما لها من ابد الا
على ربوبيته وحد انيته وتصرفه في عباده ونفوذ احكامه فيهم
وجرفانا علمهم الذي بيننا وبين منشئ امري ودين حتاى
جزاي وكلاهما الله وحفظ الذي لله لله امرا وجزاء المحبه
اصل كل واحد من الدين فما امر به سبحانه امر به فانه يحبه
ويرضاه وما نهى عنه فانه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه
ويرضاه فهو يحب صدقه فعاد دينه الامر كله الى محبته
ورضاه وذلك الحمد لله انما يقبل اذا كان عن محبة
ورضا كما قال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فهذا الذي فاتهم المحبه
وبسببها شرع الله ولاجلها شرع وعلى استيفاء ذلك
دندن الجرجاني فانه يتضمن مجازاة المحسن بالاساءة والمسيء
بالاساءة وكل من الامرين محبوب للرب فانهما عدل وفضل
وكلاهما من صفات الالهيه سبحانه يحب اسماءه وصفاته ويحب
من يحبها وكل واحد من الدينين فهو صراط المستقيم الذي

هو عليه سبحانه فهو على صراط مستقيم في امره ونهيه وثوابه وعقابه
قال تعالى اخبارا عن نبيه هود انه قال لقومه اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء الى قوله ان ربي على صراط مستقيم فلما علم ان
الله ان ربه على صراط مستقيم في خلقه امره وثوابه وعقابه
وقضاءه وقدره ومنعه وعطاءه وعافيته وبلاءه وتوحيده
وحده لا شريك له لم يحتج في ذلك الى موجب كالمه المقتضي لذلك
بنصبه اسماء هو صفاته من العدل والحكمة والرحمة والجبار
والفضل ووضع الثواب في موضعه والعفو في موضعه
والانتقام ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع
والهداية والاضلال كل ذلك لما كانه ومحامده اللائقة
بحيث يستحق على ذلك كمال الحمد والثناء وجب له ذلك العلم
والعرفان اذ هو على رؤس الاشهاد فوجه يحنان ثابت
وقلب خائف فعل متحد لله اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا
تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ثم لم يعرج عن عموم
قدرته ومشيته لكلما سواه وذل كل شيء لعظمته فقال
ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها كف اخذ بنا صيته

بيد غيره وهو في قبضته وتحت قهره وسلطانه دونه وهل هذا الا
من اجمل الجهل واتبع الظلم ثم اخبر انه سبحانه على صراط مستقيم في كل ما قضاه
وقدره فلا خاف العدل حوره ولا ظلمه ولا اخاف ما دونه ان
ما صبته بيده لا اخاف حوره ولا ظلمه فانه على صراط مستقيم فهو سبحانه
ما اصابني في جنبه حكمة عدل منه قضاه له الملك وله الحمد لا يخرج
بعضهم عباده عن العدل والفضل ان اعطى واله ان منع وهذا
وفق بينه فصله رحمته ان منع اهان اضل وخذل وشقي فبعدله
وحكمته وهو على صراط مستقيم في هذا وهذا وفي الحديث الصحيح ما
اصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك
ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك
اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك
او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك
ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب
همي وغمي الا اذهب الله همه واعقبه مكانه فرجا
وهذا سؤال لكم ان رب الكون الامر كله قضاه الذي
يكون ما اختار العبد وغير اختياره فظل الحليم ما ض
وعبده وكلا القضاءين عدل فيه فهذا الحديث مشتمل على هذه

الاصل منها اقرب سبب **فصل** وختم الباب
بفصل يتجلو بعض الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة
وان كانت اضعاف ما يذل دارها فانه يفسد القلب والذات
واذا فسد فسدت الارادات والاقوال والاعمال وفسد
شر التوحيد كما تقدم وكما سنقرره ايضا ان شاء الله
سبحانه انما حمل هذا المرض عن طائفة من الناس وهما
اللوطية السفاحة عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما
راوده وكادته به واخبر عن الحال التي صار اليها يوسف
بصبره وعفته وتقواه ان الذي اشتد به امر لا صبر عليه الا
من صبره الله وان موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال
المانع وكان الداعي ههنا في غاية القوة وذلك لقوة احد هما
ما ركبه الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المرأة كما يميل
العطشان الى الماء والجايع الى الطعام حتى ان يحتاج الناس
الناس يصبر عن الطعام والشراب لا يصبر عن النساء
وهذا لا ذم اذا صادف حلالا لاجل محمد كما في كتاب
الزهد للامام احمد من حديث يوسف بن عطية الصفار
عن ثابت عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي

من ذبائح السباع والطير اصدق عن الطعام الشراب ولا
اصدق عن الماء ان يوسف كان شابا وشهوة الشباب
وحدته اقوى الثالث انه كان غريبا لم يسبق له دوحة لامته
تكرر سنوة الشهوة الرابع انه كان في بلاد غربة بنات
للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا تنال له في وطنه بين اهله
ومعارفه الخامس ان المرأة كانت ذات منصب وجمال
بحيث ان كل واحد من هذين الامرين يدعوا الى مواقعتها
للسادس انها غير ممتنعة لاجابته فان لشدة امر الماء بين
سيل رغبته في المرأة اياها واستماع لما حدث نفسه من ذل
الخضوع والسؤال لها ولشدة من الماء بين يديه الاما
والاستماع اراد حثا كما قال الشاعر
وزادني كلفا في الحب ان منعت ... حب الى الانسان ما منعا
فطباع الناس مختلفة في ذلك فمنهم من تضاعف حبه عند نزال
المرأة ورغبتها وتضمحل عند اباحتها واستماعها ومنهم من تنقضي
الغضاضة ان ارادته وشهوته تضمحل عند استماع امرأته
او تمنعه واباحته بحيث لا تعاودها ومنهم من يتضاعف
حبه وارادته بالمنع وشدة شوقه كلما منع ويحصل له من الالم

بالظفر ما يحصل من الالم بالظفر بالصيد بعد امتناعه ونفاره
والله ما درك المسلم بعد استصعابها وشدة الحرص على ادراكها
الشاهد انها طلبت وارادت وراودت وبذلت الجهد فكفته
مؤونة الطلب وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة الذليلة
وهو العزيز المرغوب اليه الناس انه في داره وتحت
تسلطانها وقهرها تحت عتبتي ان لم تطاوعها من اذاها له
فاجتمع داعي الرغبة والرهبة الناس انه لا حتى ان تتم
عليه هربا لا اخذ من جهتها فانها هي الطالبة الراغبة وقد علقت
الابواب وعتقت الرقباء الحاشية كان في الظاهر مملوكا
لها في الدار يحتشم يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه وكان
الاحتشام تعاطي الطلب وهو من اقوى الدواعي فكل امرأة
شريفة من اشراف العرب ما حملك على الزنا قالت قرب
الوساد وطول السواد يعني قرب وساد الرجل من
وسادي وطول السواد منا الحادي عشر انها استعانت
عليه بما يملك والاحتيال فاتته اباهر وشكى حالها اليهن
ليسعين من عليه ما استعانت هو انه عليهن فقال لا
تصرف غني لبيد فان صاحب البرطان من الجاهلين

الثانى عشر انواعه السجن الصغار وهذا نوع إذ
إذ هو لهد بد من تحمله على الطروق ما هذه فجمع داعى
السهوم وداعى السلامة فى صنيع السجن الصغار الثالث
عشر ان الزوج لم ينظر منه فى احد والنحو ما تفرق به
بينهما وبعدك لانهما عن صاحبه لو كان غايبه ملفا لها
بذا ان قال ليوسف اعرض عن هذا والمراه استغفرى لذنبك
انك كنت من الخاطئين وشغله الغيرة فى الرجل اقوى الموانع
وهذا لم ينظر منه غير وهم هذه الدواعى كلها فاثر رضاه
الله وخوفه وحمله حب الله على ان اختار السجن على الزنا
فقال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه وعلم انه لا
يطوف ذلك عن نفسه وان زنه تعالى ان لم يعصمه وصرفه
عنه صار الى ما تطبعه وكان من الجاهلين وهذا من كمال
معرفته بربه وسعيه فى هذه الغصة من اعظم الفوائد
والحكم ما يزيد على الفخامة لغلنا ان وفق الله ان نورها
فى مصنف مستقل **فصل** فى الطايفة الثانية
الذين حكى عنهم العشق هم اللوطية كما قال تعالى وجاء اهل
المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله

ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتى ان
كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وهذا عشق فحكاه
سبحانه عن طايفتين عشق كل منهما ما حرم عليه من الصور ولم
يبال بما فى عشقه من الضرر وهذا داء اعيا الاطباء دواؤه
وعز عليهم شفاؤه وهو لعمر الله الداء العضال والسم القتال
الذى ما علق بقلب الا وعز على الورى استنقاذه من اسار
ولا اشتغلت نار فى نجته الا وصعب على الخلق اخماده
من زناه وهو قسمان فانه اما ان يكون بكفر المزنى بمعشوقه
ندا يحبه كما يحب الله فكيف اذا كانت محبته اعظم من محبة
الله فى قلبه لهذا عشق لا يغفر لصاحبه ظنه من اعظم الشرك
والله لا يغفر ان يشرك به انما يغفر ما دونه لمن يشاء
وعلامة هذا العشق الشرك الكفرى ان يقدم العاشق
رضا معشوقه على رضا ربه واذا تعارض عنده حق معشوقه
وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه
واثر رضاه على رضاه وبذل لمعشوقه النفس [illegible] عليه
وبذل له ان بذل اردى ما عنده واستفرغ وسعه فى
مرضاة معشوقه وطاعته التقرب اليه وصل له ان

اطاعه الفضله التي تفضل عن معشوقه من ساعاته فتامل
حال ان عشاق الصور هل تجدها مطابقه لذلك ام ضيع حالهم
في لغو وتوحيدهم ايمانهم في كفه وان دفار رضي الله ورسوله
ومطابق العدل ويباح العاشق منهم بان يفضل معشوقه
احب اليه من توحيده كما قال العاشق الحبيب

ثم شفى من نمى رشفات هن احلى له من التوحيد

واصبح الحبيب الاحزان وصل معشوقه استغنى اليه من رحمه
ربه فعاد ذلك اللهم من هذا الخلال فقال

وصلك استغنى الى فؤادي رحمه الخالق الحليب

لا ريب ان هذا العشق من اعظم الشرك ولينه من العشاق
يصح بانه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البته بل قد
ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبدا خالصا من
كل وجه لمعشوقه فقد رضي هذا من عبد به الخالق
جل جلاله بعبوديه مخلوق مثله فان العبوديه هي
كمال الحب والخضوع وهذا قد استغرق قلبه حبه وخضوعه
وذله لمعشوقه فقد اعطاه حقيقه العبوديه ولا سبيه
بين مقته هذا الامر العظيم ومقته الفاحشه فان

فصل

ذلك ذنب لم يبق لغافر علم امثاله ومفسده هذا العشق مفسده
الشرك وكان بعض الشيوخ من العارفين يقول لان
اتلى بالفاحشه من ذلك الصوره احب الي من ان اتلى بهذا
معشوق متعبد لها قلبي ويشغله عن الله

فصل

ودواء هذا الداء العضال ان يعرف ما اشتمل عليه الداء
المضاد للتوحيد اولا فان من العباد ان الظاهر
والباطن ما يشغل قلبه عن ذكر الفكر فيه وكثرة اللجا
والتضرع الى الله سبحانه في صرف ذلك عنه ان يرجع قلبه الله
وليس له دواء انفع من الاخلاص لله وهو الدواء الذي ذكره
الله في كتابه حيث قال كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فاخبر سبحانه انه
صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل باخلاصه
فان القلب اذا اخلص واخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق
الصور فانما يتمكن من قلب فارغ لله كما قال

فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ولتعلم العاقل ان العقل والشرع يوجبان تحصيل المصالح
وتكميلها واعلام المفاسد وتقليلها فاذا عرض للعاقل

امر يرى فيه مصلحة ومفسدة وجب عليه ان ان ما علم ان مفسدته
اعلى طلب معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة فاذا استبان له
الرجحان وجب عليه ايثار الاصلح له ومن المعلوم انه ليس في
عشق الصور مصلحة دينية لا دنيوية بل مفسدته الدينية الدنيوية
اضعاف اضعاف ما انفرد فيه من المصلحة ولكن وجوه
احدها الاشتغال بحب المخلوق وذلك عن حب الخالق تعالى
وذل والاحتجاب في الغالب هذا وهذا الا وتهر احدهما صاحبه
ويحول السلطان والغلبة له الى عذاب قلبه بمعشوقه
فان من احب شيئا غير الله عذب به لا بد ۞

فما في الارض اشقى من محب ... وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي ان دنا شوقا اليهم ... ويبكي ان دنوا حذر الفراق
فيسخن عينه عند التلاقي ... ويسخن عينه عند الفراق

العشق ان استعبدك المعشوق فهو من اعظم عذاب القلب
الثالث ان العاشق قلما اشتد في قضية معشوقه لسوء
الحال ولكن لشكه لصنو لا تشعر بصاحبه فقلبه
يصعد في كل طرف لسوء حاله الى الرب والطل لهو ولعب

وعشق الهاشتو عشق الاسير الموثق وعشق الخلي عشق المسيب
المطلق كما قيل

طليق يرى العين هو اسير ... عليل عن قطع المهالك مدود
ومسجون في صوته الحي عاذلا ... وليس له حبي المشور بمشهود
اخو عبرات صاح في فهن قلبه ... فليس له حتى الممات حصود

الرابع انه تشغل به عن مصالح دينه ودنياه فليس شيء اضيع
لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور اما مصالح الدنيا فانها
منوطة بهم سعة القلب واقباله على الله وعشق الصور اعظم
شيء لتشتيتها وتشتيته لها ومصالح الدين فانها تابعة لحمية
الحمية لمصالح الدين ممتنع ان فرطت عليه مصالح دينه وضاعت
عليه مصالح دنياه اضيع الخاسرين ان افاق الا نيا
الا حين تسرح الى عشاق الصور من النار في يابس الحطب
وسبب ذلك ان القلب كلما قرب من المعشوق قوي اتصاله
بعبد الله فاذا بعد القلب من المحبوب من استطاب عشاق الصور
واذا بعد القلب من الله تطرقته الافات من كل ناحية
فان الشيطان يتولاه ومن تولاه عرقه واستولى عليه
بالهوى الا ولم يدع اذا امكنه اتصاله اليه الا واصله الظن

فما الظن بقلب ليس منه عدو أحرص الخلق على عيبه وفساده بعد
ربه من لا سبيل له لا فلاح ولا سرور ولا نعمة ولا بهجة ولا مسار
انه اذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه افسد الرأس
احدث الوساوس وربما ألحق صاحبه بالمجانين الذين فسد
عقولهم ولا سيما فون بها واخبار العشاق في ذلك موجودة
في مواضع بل بعضهم يشاهد العيان واشرف ما في الانسان
عقله وبه تميز عن سائر الحيوانات فاذا عدم عقله الحق
بالحيوان البهيم بل ربما كان حال الحيوان اصلح من حاله وهل
اذهب عقل مجنون ليلى واضرابه الا العشق وربما زاد
جنونه على جنون عمر كما قيل

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يسفو الدهر صاحبه ابدا يرى المجنون في الحين
السابع انه ربما افسد الحواس وبعضها اما فسادا معنويا
او صوريا اما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب
فان القلب اذا فسد فقد فقد العين والاذن واللسان
فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه كما في المسند مرفوعا
حبك الشيء يعمي ويصم هو يعمي عين القلب عن رؤية مساوئ

المحبوب

وعيوبه فلا يرى بعين ذلك ويصم اذنه عن الاصغاء الى
العذل فيه فلا يسمع الا ذم ذلك والغيبات تستر المحبوب
فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه حتى اذا دالت دعبته فيه
ابصر عيوبه فشدة الرغبة عشاوة على العين تمنع من رؤية
الشيء على ما هو به كما قيل

هويتك اذ عيني عليّ عشاوة فلما انجلت قطعت نفسي الوما

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه الخارج منه الذي لم يدخل فيه
لا يرى عيوبه لا يرى عيونه الا من دخل فيه ثم خرج منه
ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الاسلام بعد الكفر خيرا
من الذين ولدوا في الاسلام قتل عمر بن الخطاب انما نقض
عرى الاسلام عروة عروة اذا ولد في الاسلام من لم يعرف
الجاهلية انما افساد الحواس ظاهرا فانه يمرض البدن
ويهكه وربما ادى الى تلفه كما هو معروف في اخبار من
ضلم العشق وقد رفع الى ابن عباس رجل هو به شنآن فقد
انتحل حتى عاد لحما على عظم فقال ما هذا فقالوا به العشق
فحمل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه
الثامن ان العشق كما تقدم هو الافراط في المحبة حتى يستولي

شنآن

المعشوق على قلب العاشق حتى لا يخلو من محبته وذكره الفكر
بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه عند ذلك يستعمل النفس
عن استخدام القوى الحيوانية والنفسانية فتتعطل تلك
القوى فتحدث سعطية من الافعال على البدن الروح ما
يعز داوه او يتعذر وصفه لغرابته وصفاته ومقاصله

وتحل جميع ذلك فنجز الشرح عن صلاحه

وهو البه تشوقه
الحب اول ما يكون لحاجة وتشوقه الافراد
حتى اذا خاض الفتى لجج الهوى حالت امور لا تطاق بسار
العشق مبادية سهلة حلوة واسطه هم وشغل قلب وسقم واخره
عطب وقيل ان لم يتدارك عناه من اوله كما قيل

وعن خالياً فالحب اوله عنا واوسطه سقم واخره قتل

وقال اخر تولعت بالعشق حتى عشقته فلما استقر لم يطق
رأى لحظها موجة فلما تمكن منه غرق

الذنب له هو الحامل على نفسه وقول نفح وقد قعد تحت المثل
وقول نفح السابق بذاك اذ كنا فصل والعاشق
له ثلاث مقامات مقام ابتداء ومقام توسط ومقام انتهاء
فاما مقام ابتداءه فظاهر الحب عليه فيه عند اضعه فكل ما

يقدر عليه اذا كان الوصول الى معشوقه متعذرا قدرا
او شرعا فان عجز ذلك ابى قلبه الا السفال بمحبوبه وهذا
مقام التوسط الانتهاء فعليه كما ان ذلك ان لا تشتد الى
الخلوة لا يستشعر بمحبوبه وهكذا بين الناس صحيح بين الشرع
والطبع ان الظلم في هذا الباب من اعظم انواع الظلم وانه
كان اعظم ضررا على المعشوق واهله من ظلمه في ماله فانه
تعرض المعشوق بشكه في عشقه الى وقوع الناس فيه
وانفاسهم الى مصدق في مكذب وان الناس يصدق
في هذا الباب بادنى شبهة اذا قيل فعل فلان او فلانة
لذته احد وصدقه مستحليه وتسعه وسعون وجه
العاشق المتهتك عند الناس في هذا الباب بعيدا القطع
بالفتى بل اذا الجم المعقول عن نفسه لذة او افراءا
على الله عز وجل حرموا الصدق فيه حرمانا لا يحمد الفتى بل
لوجهها مكان واحدا نفاقا فالحرمان ان ذلك عرف عند
اتفاق منها وجرمهم في هذا الباب على الطول
التحمل والشبهة الاوهام الاحباب والادانة لجرمهم بالحماة
المشاهدة وبذلك في اهل الافك في الطيبة الطيبة حبيبة

رسول الله المرء من فوق سبع سماوات فشهد محي صفوان بن
المعطل وحده خلف الحدج حتى هلك من هلك ولا
ان نزل الله سبحانه براءة والذب عنها وكذب سقاد فيها
الا كان امره آخر المقصود ان في اظهار المثل عقوبة من لا
يجل له الاتصال به من ظلمه اذا له ما هو عدوان عليه وعلى
اهله وتعريض لصديق غيره من الناس طنون لم تبن فان
استعان عليه بمن يستعمله الله ابتداء عنه او رهبة بحدي
الظلم وامتعاضا ذلك الواسطة دنوا ظالما واذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم قد لعن الراشي وهو الواسطة
بين الراشي والمرتشي في اصال الرشوة مما الظن بالذنوب
الواسطة بين العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة
فيساعد العاشق الذنوب على ظلم المعشوق وظلم غيره
ممن يتوقف حصول غرضها على ظلمه في نفس او مال او
عرض فانه كثيرا ما يتوقف المطلوب فيه على قتل
نفس يكون حياتها مانعة من غرضه فكم في قتل ظلم
دم بهذا السبب لمن زوج وسيد وقريب لم تحبب
امرأة على بعلها وجاريه وعبد على سيدهما وقد لعن رسول

الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك وتبرأ منه وهو من ال
الجاني اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى ان يخطب ال
على خطبة اخيه او ان يبتاع على سوم اخيه فكيف بمن يسعى في
التفريق بينه وبين امرأته وامته حتى تنفصل بها وعشاق
الصور ومشاعدوهم من الدياثة لا يردون ذلك دناءة من طلب
العاشق وصل معشوقه ومشاهدة الوجه والتمتع في ذلك
من اتم ظلم الجنس بالعلة لا تعتبر عن اتم الفاحشة فان البر
على لا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة فان التوبة
وان اسقطت حق الله محق العبد باق له المطالبة يوم القيمة
فان ظلم الوالد بافساد ولده كتبه ومن هو اعز عليه من
نفسه وظلم الزوج بافساد حبيبته الخاصة على فراشه
اعظم وظلمه باخذ ماله كله لهذا ابو داود اعظم ما يؤديه
اخذ ماله ولا يحل ذلك عنه الا سفك دمه فسأله
من ظلم اعظم اثما من فعل الفاحشة فان كان ذلك
حقا لغازي في سبيل الله وقف له الحاني الفاعل يوم
القيمة وقيل له خذ من حسناته ما شئت كما اخبر
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله

دلكم

عليه وسلم فما ظلم اى مما يظنون سقى له من حسناته فان اضاف
الى ذلك كون المظلوم حارا او ذا رحم تعدد الظلم وصار ظلما
موكدا لقطعه الرحم وذي الجار ولا مدخل لحق قاطع رحم ولا من لا
باس جاره نوافه فان استعان العاشق على وصال معشوقه
بسباطل الحق لما سحر او استعدام ونحو ذلك ضم الى السبب
والظلم قول السحر فان لم يفعله هو ورضيه كان راضيا بالكفر
عند كاره لحصول مقصوده به وهذا لس بعد من الكفر
والمقصود ان الغاوين في هذا الباب تعاونوا على الاثم والعدوان
واما ما يقدر بحصول غرض العاشق من الظلم المستشر
المتعدي ضرره فانه لا يخفى فانه اذا حصل له مقصوده من
المعشوق فللمعشوق اعراض اخر يريد من العاشق اعانته عليها
فلا بد من اعانته بدا فيقع كل منهما بعين الاخر على الظلم والعدوان
فالمعشوق يعين العاشق على ظلم من يتصل به من اهله واقاربه
وشيعته ويروجه العاشق لعين المعشوق على ظلم من
يكون عرض المعشوق موقوفا على ظلمه فكل منهما يعين الاخر
على اغراضه التي يكون منها ظلم الناس فيحصل العدوان
والظلم للناس بسبب استشرائهما في الغي لتعاونهما بذلك

على الظلم فاحوج الجاه بين العشاق والمعشوقين من اعانة
العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وعدوان حتى ربما يسعى له
في معصية يلبق به ولا يصلح لمثله وفي تحصيل مال من عرضه
وفي استسطاله على عرضه فاذا اخضع معشوقه وعبده واشتاليا
لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما كان او مظلوما فهذا الى
ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على اخذ
اموالهم والوصول الى المعشوق سرقة او غصبا او خيانة
او مكرا وكذبا او قطع طريق ونحو ذلك وربما ادى ذلك الى
قتل النفس التي حرم الله لاخذ ماله ليوصله الى معشوقه
فكل هذه الافات واضعافها واضعاف اضعافها ناشئة
من عشق الصور وربما حمل على الكفر الصريح وقد نصر جماعة
ممن ينتمي الى الاسلام بسبب العشق كما جرى لبعض الملوك
حين اخرج امرأة جميلة على سرير فعشقها فنزل ودخل عليها
وسألها نفسها فقالت هي ابنته فان دخلت بي رحمت
بد ففعل فرمى ذلك اللوم على درجه عندهم فسقط منها فمات
وهذا عدد الحق في كتابه العاقبة له اذا اراد انتصاري
ان شر الاسير اردى امرأة جميلة امرها ان تطمعه بنفسها حتى اذا

تمكن جما من قلبه بذلت له نفسه ان دخل في دنياها لك ست
الله الذي لمنوا ما العقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة
الاية وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق
لصاحبه معاونته له على الفاحشة وظلمه لنفسه فكل منهما ظالم
لنفسه صاحبه وظلمها متعادل الطرفان تقدم اعظم من ذلك
ظلمها بالشرك فقد تضمن العشق انواع الظلم كلها والمعشوق اذا
لم يسو الله فانه تعرض العاشق للتلف وذلك ظلم منه بان
يطمع في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق يتوصل منه الى
نفعه ولا يمكنه من نفسه ليلا يزول عرضه بغضا وطرد منه
فهو يسومه سوء العذاب والعاشق بما فتن معشوقه ليشغل
نفسه منه لاسيما ان جاد بالوصال لغرض فكم للعشق من
قتيل من الحاجبين وكم ازال من نعمة وافقر من غني واسقط
من مرتبة وشتت من شمل وكم افسد من اهل للرجل وولد
فان المرأة اذا رأت بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا
لنفسها فصار الرجل متردد ابين جراب بقية مالطلاق
وبين العفاف ومن الناس من يوثر هذا ومنهم من يوثر هذا
فعلى العاقل ان لا يحكم على نفسه عشق الصور للاتود به ذلك

الى هذه المفاسد او بعضها فمن تعلق ذلك فهو المفرط
بنفسه المغرر بها فاذا هلكت فهو الذي اهلكها فلو لا
تكرار النظر الى وجه معشوقة وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه
من قلبه فان اول اسباب العشق الاستحسان سواء
تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع في الوصال وقاربه
الاياس من ذلك لم يحدث له ذلك فان اطال مع ذلك الفكر
في محاسن المعشوق وقاربه خوف ما هو اكره عنده من
زواله وصاله اما خوف دنيء كحول الدار وغضب الجار
واحتقاب الاوزار وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر
احدث له العشق وان قارنه هذا الخوف مقارنة خوف
دنيء كخوف تلف نفسه وما لا وذهاب جاهه وسقوط
مرتبته عند الناس وسقوطه من عين من يخرعله وغلب هذا
الخوف الداعي العشق دفعه لذلك اذ لا خائف من فوات محبوب
هو احب اليه وانفع له من ذلك المعشوق وقدم محبته على محبة
المعشوق اندفع عنه العشق فان انتفى ذلك كله او علمت محبة
المعشوق لذلك احدث له العلة بكلمته وما لا له النفس
كل الميل فان قبل قد دل افتار العشق وقضاه ومضاءه

ومفاسده فهلا ذكر منافعه وفوائده الى من خلق وقته الطبع
وتروح النفس وحثها وروال ثقلها وريا ضتها وحملها على مكارم
الاخلاق من الشجاعة والكرم والمروة ورقة الحاشية ولطف
الحاشية وقيل ليحيى بن معاذ الرازي اين انت عن عشق ولاة فقال
الحمد لله الذي صيره الى طبع الاديب وقال بعضهم العشق آداب
افيد الكلام وقال عمر العشق لاصحاب الا لذي رده ظاهره وخلقه
لطافة اولذي لسان فاضل واحسان كامل اولذي ادب
بارع وحسب ناصع وقال اخر العشق يسمح جنان الجبان
ويصفي ذهن الغبي ويسخي البخيل ويذل عز الملول ويسكن
نوافر الاخلاق وهو انيس من لا انيس له وجليس من لا
جليس له وقال اخر العشق يزيل الاثقال ويلطف
الروح ويصفي كدر القلوب وحث الارتياح لافعال الكرام
كما قيل سيهلك في الدنيا سفيه عليكم اذا غالته من حاذق الحب غائله
ليس مفت البشر حتى كانه اذا استفهموه عن حديث جاهله
يؤدبا ان يسمى سقيما لعلها اذا سمعت عنه تسلو تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى لتحمد يوما عند ليلى شمائله
فالعشق يحمل على مكارم الاخلاق قال بعض الحكماء العشق

يروض النفس ويهذب الاخلاق اطار طبع واطاره تكلف
وقال اخر من لم يهج نفسه لصوت السحر والوجد الذي يهيج
فاسد المزاج يحتاج الى العلاج واشد ذا في ذلك
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فانت وعير في الفلاة سواء
وقال اخر
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
وقال اخر
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فمر واعلف بيتا فانك حمار
وقال اخر اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فما الدهر في طيب الحياة
وقال بعض الخلفاء اولوا العفة الصماء عفوا استقلوا
واعشقوا انظروا وقيل لبعض الخلفاء ما لك لا تصنع لو
طرب من هوى فقال لئلا امنع طربي وجهه واروح قلبي
وحديثه استرسالا لا يحد لشغفه ولا اصيره الفعل
الى ما ينقض عهده ثم انشد
اطوله واعف عنه حوف الدمانة لست من عشاقه
حالما ان يدصاع ملتهبا ظما فيهجر عن لذيذ مذاقه
وقال اسحاق ان ابرهم اوالخلفاء عطرها لطيفة

نصيب
القوارير

وابدانهم وقيعه حفيفه تزعجهم الوساوس وخلاهم يحيون موات
القلوب ويريدني العقول لولا العشق الهوى لبطل نعيم الدنيا
وقال اخر العشق للارواح بمنزله الغذا للاجساد ان تركته
ضرك وان اكثرت منه قتلك وفي ذلك قيل

خليلي ان الحب منه لذاذه وفيه شقا دائم وتعذب
على ذاك ما عيش يطيب بغيره لاعيش الا للحبيب يطيب
ولاخير في الدنيا بغير صبابه ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وذكر الخرائطي عن ابي عثمان قال رآى ابو بكر الصديق بحاريه وهي
تقول وهو منه من قبل قطع ثنايي متى تنسا مثل القضيب الناعم
فسالها احرة انت ام مملوكه قالت بل مملوكه فقال ممن هواك
فلكانما صم على فقالت

وانا الذي لعب الهوى بفوادها قلبت حب محمد القاسم
فاشتراها من مولاها واعتقها الى محمد القاسم بن جعفر بن
ابي طالب وقال هو لاء خير الرجال ولم والله تذمات ابن
كريم وعطف بن سليم وجات عثمن بن عفان جاريه
تستعدي على رجل من الانصار وقال لا عثمان بئس ما
فعل بك فقالت كلفه يا امير المومنين ما بن احمه مما انفك

اداءه فقال له عثمن اما ان تتبع لان احملك او اعطيك
ثمنها من مالي فقال استشهدك يا امير المومنين انه لم يحن لا
ينكر ولسنا والعشق الذي سمعته فعل الماشيه بالمعشوق
وانما الملام في العشق العفيف من الرجل الظريف الذي
ما زال دينه وعفته ومروته ان تفقدها منه وبين الله
وبين معشوقته فالحرام هذا العشق السفلي الذي لا يبيح
الاعلام فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود
اخذ القلع السبعه عشق حتى اسهر امه لم يكن عليه وعد
طالما من لامه ومن شعره

لتمت الهوى حتى اضرك الكتم ولا كذا قوام ولو مهم ظلم
فسم علينا الكاسحون وسلم علينا الهوى قدم لو سع الكتم
فاصحت كالمهدي اذ مات حسرة على ان هندا اولمن شب سلم
تخيفت اثناء الحبيب ما تما الا ان هجران الحبيب هو الالم
فذق هجرها فقلت تزعم انه رشاد الا ياذا الملام عن الرشد

وهذا عمر عبد العزيز عشق جاريه فاطمه بنت عبد الملك امراته
مستهتر وكانت جاريه فارعه الحامل وكان محمها وكان
يطلع امراته يحرص على ان يبيع له فتابى ولم تزل الجاريه
في نفس عمر فلما استخلف امرت فاطمه بالجاريه فاحضرت

صلح الربع
صح

وكانت متلافي جزع وحالها دخلت على عمر فقالت يا امير المؤمنين
ان كنت معجما تجارتي ولانه وسالتني فانت عليك والان قد
طابت نفسي لك بها فلما قالت له ذلك استبان الفرح في
وجهه وقال لعجل علي فلما ادخلها عليه اردادها عجبا وقال
الى ثيابك فعلتهم قال لها على رسلك اخبرني لمن كنت
ومن اين صرت لفاطمة فما لت اعزم الحجاج عاملا له بالكوفة
ما لا ولبست في رقبتي ذلك العامل فاتخذني وبعثني
الى عبد الملك فوهبني لفاطمة قال وما فعل ذلك العامل
قالت هلك قال وهل ترك ولدا قال نعم قال فما حالهم قالت
سيء فقال شدي عليك ثيابك واذهبي الى مكانك
ثم كتب الى عامله على العراق ان ابعث الى فلان بن فلان
على البريد فلما قدم قال له ادفع الى جميع ما غرمه الحجاج
لابيك فلم يرفع اليه شيئا الا دفعه اليهم امر بالجارية
فدفعت اليهم قال اما لك واياها فلعل اباك كان لم
بها فقال الغلام هي لك يا امير المؤمنين قال لا حاجة لي
بها قال فابعها مني قال لست اذا ممن ينهى النفس عن
الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف قالت ابن وجدي

بي يا امير المؤمنين فقال على حالها ولقد زادها ولم تزل الجارية في
بيت عمر حتى مات رحمه الله وهكذا ابو بكر محمد بن داود
الظاهري العلم المشهور في فنون العلم من الفقه والحديث
والتفسير والادب وله قول في الفقه وهو من اكابر العلما
وعشقه مشهور قال لفظويه دخلت عليه في مرضه
الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني
ما ترى فعلت وما منعك من الاستمتاع مع القدرة
عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح
والاخر اللذة المحظورة فمنعني منها ما حدثني
سويد بن سعيد قال حدثنا علي بن مسهر عن ابي حيي القتات عن
مجاهد عن ابن عباس رفعه من عشق فكتم وعف وصبر غفر
الله له وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى الشعر حري في لواحظه ... انظر الى دعج في طرفه الساحر
وانظر الى شعرات فوق عارضه ... كانهن مال دب في عاج
ثم انشد لهم المكر واسود الجديد يجيدون ورد الخدود
ان كان عمد خده بدد الشعر فعمد العيون الجفون

فعلت له فضيت الغيا من في الفقه واثبته في المستظرف فقال

غلبة الوجد وملكة الشوق دعوا اليه فمات من ليلته وسبب
محنته صنف كتاب الزهر ومن كلامه فيه من بين
حمى يحول ولم يمت من دونه سلاه وذلك ان اول دوعات
الياس مات القلب وهو عن مستعد لها فاما الياسة فتاك
القلب وقد وطاه لها الدوعة الاول والتي هو ابو العباس
ابن شريح في مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا
في جملة من الايلاف فقال له ابن سريج انت بالقول من
دامت لحظاته لتزوجن احدق مثلي بالكلام على الفقه
فقال لان كان ذلك فاني اقول ٥

انا في روض المحاسن مقلتي ولمنع نفسي ان تنال محرما ٥
واجل من نقل الهوى ما لو انه نصب على الخمر الاصم لهدما ٥
وسطو طرفي عن متيم حاظري لولا اختلاسي دونه لتكلما ٥
وانا الهوى دعوى من الناس كلهم فلست ارى ودا صحيحا سلما ٥

فقال له ابو العباس بن سريج لم تحرك سوءا ولم تشب فقلت ٥

ومطاع كالهند في بهجته قد نبت اسنته لدن سناته ٥
ضناه وحسنه وحدثه ان القطاة في دجاته ٥
حوراء اما الصبح لاح عموده ولي تخايل دونه وسراته ٥

محرما ٥

فقال ابو بكر حفظ عليه الوزير ما اقر به حتى تقوم شاهدين
على اقراره بخاطه وبرائه فقال ابن سريج بل مني في هذا اما
بلغك في قولك انه في دوض المحاسن مقلتي واسع نفسي ان تنال
فضحك الوزير وقال لقد جمعتما لطفا وادبا فاما ذلك ابو بكر
الخطيب في تاريخه وحياة يوما فتنا مضمونا ٥

ما بين اردبيل وقبة العراق افتنا في قوائل الاحداق ٥
هل على ما انت من جناح احلال لها دم العشاق ٥

فكتب الجواب بخط تحت السؤال ٥

عند جواب مسائل الغناء فاسمع وفرح الخشا شتاق ٥
لما سالت عن الهوى هجتني وارقت معالم يكن براقي ٥
ان كان معشوق تعذب عاشقا كان المحدث انم العشاق ٥

قال صاحب كتاب منازل الاحباب نشأ بالري محمود
ابن سلمان بن فهد صاحب الاشاد فلت في جواب البيتين
على وزنهما مجيبا للسائل ٥

قل لمن جاسا بلا عن لحاظ هن بلعن في دم العشاق ٥
ما على السيف في الورى من جناح ان تثر الحد عن دم مراق ٥
وسيوف اللحاظ اولى بان تضع عما جنت على العشاق ٥

انما حل من حلل سهيد اد لهذا افنى صاد هو باق
ونظر لك تنوى وردت على الشيخ اي الخطاب محفوظ من لحمد
الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته
قل للامام اي الخطاب مثلي حبات القلب وياخلوتي سوال لها
ماذا اعمل رجل رام الهلاة بمذلا حتى تخاطر ذات الخال لها
فاجابه بحت سوله
قل للاديب الذي واني بمثله سترت فوادي لما أن اضحى لها
ان الذي فتنه عن عادته حرمه ذات حسن فاستهى دلها
ان تاب ثم قضى عنه عبادته فرحمة الله تغشى من غصا لها
وقال عبد الله بن معمر القيسي حجبت سنة ثم دخلت مسجد المدينة
لزيارة قبر محمد صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس ليلة بين
القبر والمنبر اذ سمعت انينا فاصغيت اليه فاذا هو يقول
اشحال نوح حمام السدر فاهجن مثلي بلابل الصدر
ام عز منك دلال غانية اهدت اليك وساوس الفكر
اسلمت من هوى لجوجي متوقد شوقه الحمر
فالدمع شاهد انني كلف معزى تحت مشهده البدر
ما لي احسبني اهم باحتى ملت لا ادري

ثم انقطع الصوت فلم ادر من ابن جاء واذا به قد اعاد البكاء والانين
ثم انشد استحال من نار خيال زار الليل مسود الذوائب عاري
واعتاد ملكتك الهوى بمسة اضحى متعلك الخيال الزائر
نادته تا والطلام كانهم يلاطم فيه صبح ذا حبر
والبدر يرمي في السما كانه ملك يرجل والنجوم عساكر
وترى به الجوزاء يرفض في الدجا رفض الحبيب على ستار طاهر
يا ليل طلت على محبك الا الصباح مساعد وموازر
فاجابني بت خفق انفذ واعلمن ان الهوى لهوى الهوان الحاضر
قال ولبثت قدر هنيهة عند انتهائه فلم اسمع له الا انينا عنه وانين
شتى انينا مقلقا شاقا قد حرق الدموع في خده خرقين فلما
علم فقال احلس من انت فقلت عبد الله بن معمر القيسي
قال الك حاجة قلت نعم لست جالسا في الروضة فاراعني
الا صوتك بنفسي انت وامي فما الذي تجد فقال انا عتبة
الحباب بن المنذر الجموح الانصاري عدوت يوما
الى مجلس الاحزاب فصلت فيه ثم اعتزلت غير بعيد
فاذا انسي قد اقبل مع دين مثل القطا وفي وسطهن
جارية مديحة الحال كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت

ما عنده ما نقول في رجل من بطلب وصلك ثم تركتني وذهبت
فلم يسمع لها خبرا لا فقوت لها إثرا وأنا حيران أنتقل من مكان
الى مكان ثم صرح الك معشا عليهم اخاق كانما صبغت
وجنتاه بورس ثم انشا

الم يغلبي بلاد بعيده فيا هل ترد بي الفؤاد على بعدي
فوادي وطرفي يا سفان عليهم وعندهم زوجي وذلي وموعدي
ولست الذي اعشى حتى اراهم ولو لمست في الورس في جبة الخلد

فقلت له يا بن اخي تب الى ربك واستغفره وتنح فهن بدركهول
الطلع فقال لما انا نسال حتى يؤوب القارظان ولم ارك معه
الى الان طلع فقلت م منا الى نجد الاحزاب فلعلك لله ان
فكشف رئته قال ادجوا ان شا الله برح الطلعتد
فذهبنا حتى اتينا نجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الاربعا ما سفك يحدث لي بعد النهر طرما
ما ان ترال عزال منه يفلقني ماي الى نجد الاحزاب منتفضا
غير الماسوان الاجهمته وما انا طالبا للاحبة مختشما
لو كان يغني فوا با ما اني صلفا مضمخا بنفيت المسك مختضبا

ثم جلسنا حتى صلينا الظهر اذا بالشيخ قد اقبل وليس

الحارث

الحارث فهن فوقف عليه وقلن له يا عبد ما طنك بطالبة وصلك
وكاشفه بالذي فقال وما ما لها قلن احذرها لو هاوا رتحل
الى ارض الشام فسالهن عن الحارث فقلن هو ذا يا ابنه
العم فطفق للشيخ فرفع عنقه راسه اليهن وقال

خليلي اني قد عشقت البكا فهل عند عرفي مقلة مستعبرها
ربا خليلي قد اخذ لوردها وسارت الى ارض الشام وغرها
فقلت له اي قد وردت بمال جزيل اريده اهل السر والله لا
اماما حيي تبلغ رضاك وقال اضا فقم بنا الى نجد الانصار
فمضينا وسرنا حتى اشرفنا على ملاتهم فسلمنا واحسنوا الرد
فقلنا ايها الملا ما تقولون في بغيتنا وابيه فالوا من سادات
العرب فقلنا انه قد رمى بداهيه من الهوى وما اريد منكم الا
المساعدة الى السلم فقالوا سمعا وطاعة وركبوا ولبث
القوم معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الطريف
بنا فخرج مبادرا لنا مسقبلنا وقال حيهم بالاسلام فقلنا وانت
فقلنا وانت بخير ثم قال لنا اما لكما ضيافة فقال ثم الرمث
ثم دعى بامعز العسد فانزلوا القوم فرشا لانطاع النمارق
وذبح الدجاج فقلنا لسنا بذابقي طعاما حتى يقضي حاجتنا
فقال وما حاجتكم فقلنا بغيتنا خطب عقيلتك الكريمة بغيته

ابن الحباب بن المنذر فقال ان انى يحطون امرها الى نفسها
وانا ادخل احزها فدخل معصما على امه فقالت يا امتاه
مالي اراك العصب في جهد فقال قد ورد الانصار يحطون
مني قالت سادرا ام استغفلهم النبي صلى الله عليه وسلم فلم
يحظه منهم قال لعمه بن الحباب قالت الله لقد سمعت
عن عتبة هذا انه يعني ما وعد بدرا اذا قصد فقال اقسمت
لارد حتى به ابدا ولقد بي الى بعض حرتك معه فقالت
ما كان ذلك لكن اذا سمعت الانصار لا يردون ردا
فتجا فاحسن لم الرد فقال ما اي شيء قالت اعلم لهم المهر
فانهم يرجعون ولا يجيبون فقال ما احسن ما قلت ثم خرج
مبادرا فقال ان فتاه الحي قد اجابت الى ما اردتها بها مرتين
من القاسم فقال عبد الله بن معمر انا فقل ما شئت فقال
الف مثقال والذهب ومائة ثوب من الابراد وخمسة اكرشة
عسل فقال عبد الله لذلك مهل احتمال الحمل قال
عبد الله فانفذت نفرا من الانصار الى المدينة فاجمع
ما طلب ثم صنعت الوليمة واقمنا على ذلك اياما ثم قال
حدوا ابلكم وانصرفوا انصاحبين لم حملا بي هودج وحملها
بثلاثين راحلة من المتاع والتحف فودعنا وسرنا حتى

حتى اذا انفسنا وبين المدينة رحلة واحدة خرجت علينا
خيل نريد الغارة احسبها من سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب
فقتل منهم رجالا واحد الآخرين فرجع وهو يطعنه نفورا ثم
يسقط الى الارض واشتد نحوه فطردت عنا الخيل وقد قضى
عتبة نحبه فقلنا واعنياه فسمعنا الهاربة فالفت نفسها
عن البعير وصلت تجيح حرقة واستدت

نصرف لاني صرت انما اعلل نفسي انا بك لاحقه
فلو انصفت لكنت الى الردا اسابك من دون البريه
فما احد بعدك بعد منصف خليلا ولا نفس لنفس موافقه
ثم سهقت وقصت نحبها فاحتفرنا لها قبرا واحدا ودفناها
فيه ثم رجعت الى المدينة فاقمت بها سبع سنين ثم ذهبت
الى الحجاز ورجعت المدينة فقلت والله لانزلن قبر عتبة
ارد له فاتيت القبر فاذا عليه شجرة على عصابة حمر وصفر
فقلت لاصحاب الابل ما بال هذه الشجرة فقالوا
شجرة الرسل لم يكن في الشق من الحية المخالفة
الا الحديث الوارد بالحسن والاسناد وهو حديث
سعيد بن سعيد رفعه عن علي بن مسهر عن ابي عمي الفتاة
عن مجاهد عن عصام بن رفعه من عمر وضعف ثم

سابقة

فمات فهو شهيد ورواه سويد ايضا عن ابن مبشر عن هشام
ابن عروة عن عائشة مرفوعا ورواه الخطيب عن الاوزاعي عن المعافا
ابن زكريا عن قطن بن الفضل عن محمد بن مسروق عنه ورواه
الزبير بن بكار عن عبد العزيز الماجشون عن عبد العزيز بن ابي
حازم عن ابن ابي صعصعة عن محاهد عن ابن عباس وهذا اسند
الاولين والاخرين رسول رب العالمين نظر الى زينب بنت جحش
فقال سبحان مقلب القلوب وكانت تحت زيد بن حارثة
مولاه فلما هم بطلاقها قال له اتق الله وامسك عليك زوجك
فلما طلقها اندفع الله سبحانه من رسوله من غير شفيع سماوي
فكان هو الذي زوجه من رسوله وعقد عقد نكاحها
فوق عرشه وانزل على رسوله واذ تقول للذي انعم الله
عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في
نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه وهذا داود نبي الله لما كان تحته تسع وتسعون
امراة تم احب تلك المراة فتزوجها وكمل بها المائة وقال
الزهري اول حب كان في الاسلام حب النبي صلى الله
عليه وسلم عائشة وكان مسروق يسمي حبيبة رسول
رب العالمين وقال ابو مسلم مولى عبد الله بن عمر اوصلني

عبد الله بن عمر الى ام سلمة اسالها اكان النبي صلى الله عليه وسلم
يصل اهله وهو صائم فقالت لا فقال ان عائشة قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها وهو صائم فقالت ام سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا راى عائشة لا صبر له عنها وذكر
سعد بن ابرهيم عن عامر بن سعد عن ابيه قال كان ابرهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم يزورها حاجا في كل يوم من الشام على
البراق من شغفه بها وقلة صبره عنها وذكر الحرائطي ان عبد
الله بن عمر اشترى جارية رومية فكان يجامعها شديدا
فوقعت ذات يوم عن بغلة له فحمل مسح التراب عن
وجهها ونفضها وكانت لكثرة ان تقول له يا بطرون انت
قالون تعني يا مولاي اشتد بك اه هرت منه فوجد
على وجدا شديدا وقال قد كنت احسبني قالون
فاصبحت طلوم اعلم اي عرفا لون قال ابو محمد حزم وقد
احب من الخلفاء الا سدين والامة المهدين كثير وقال رجل
لعمر بن الخطاب ما ابى المؤمنين رايت امراة اعشقها فقال
ذاك ما لا يملك فالجواب والله الموفق ان الكلام
في هذا الباب لامة من المتبحرين الواقفين الحائرين

النافع والضار ولا يبعد علمه بالدم الانكار ولا بالمدح القبول
من حيث الجملة والتسليم حكمه وتكشف من مذاق متعلقه
والا فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم ويحن نذكر النافع
من الحب الضار والحاث الحرام اعلم ان نفع المحبة على
الاطلاق واجبا واعلاها واجلها محبة من جبلت القلوب
على محبته وفطرت الخليقة على تاليهه وهي قامت الارض والسموات
وعليها فطرت الخلوقات وهي متضمنة لان لا اله الا الله
فان الاله هو الذي تالهه القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم
والذل والخضوع وتعبده العباد لا تصلح الا لله فالاله
والعبادة هي كمال المحبة مع كمال الخضوع والذل والتنزه
وهذه العبودية مناطها الحب الذي لا تغفره الله ان يشرك
به تحبه لذاته من جميع الوجوه وما سواه انما تحبه تبعا
لمحبته وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع ما نبه الله له
ودعى جميع رسله وفطرته التي فطر عباده عليها وما ركبهم
من العقول وما اسبغ عليهم من النعم فان القلوب
مفطورة على محبة من انعم عليها واحسن اليها وكيف
كل الاحسان منه وما علق بهم من نعمة فمنه وحده

لا شريك له كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله الاية
وما تعرف به الى عباده من اسمائه الحسنى وصفاته
العلا وما دلت عليه آياته ومصنوعاته من كماله ونعوت جلاله
وعظمته الموجبة لها داعيا ان الجمال والاجلال والرب تعالى له
الاول المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال بل الجمال
كله له والاجمال كله منه فلا يستحق ان تحب لذاته من كمل
وجه بتوله قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم
عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة
لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما
وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا فان حزب الله هم الغالبون والولاية اصناف المحبة
والموالاة الا ترى كيف ان العداوة اصلها البغض لله كما
الذين امنوا عدوهم اولياءهم توالونهم بمحبتهم وهو يوالهم
بمحبتهم فاذا تولى عبده بحب محبته له لهذا الملك سبحانه

على من احد من دونه اولياء خلاف من والى اولياءه فانه لم
يتخذهم من دونه بل موالاة لهم فرضام موالاة وقد امر كل من
سوى بينه وبين غيره في المحبة والاحسان من فعل ذلك فقد اتخذ
من دونه انداداً يحبهم كحب الله والذين امنوا اشد حباً لله
واخبر عمن سوى بينه وبين الانداد في المحبة انهم يقولون
في النار لمعبوديهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين وهذا التوحيد في المحبة ارسل الله سبحانه
جميع رسله وانزل جميع كتبه واطبقت عليه دعوة الرسل
من اولهم الى آخرهم ولاجله خلق السماوات والارض
والجنة والنار فجعل الجنة لاهل التوحيد والنار للمشركين به منه
وقد اقسم النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يؤمن عبد حتى
يكون هو واحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين
وكيف بمحبة الرب جل جلاله وقال لعمر رضي الله عنه
لا حتى اكون احب اليك من نفسك اي لا تؤمن حتى
تصل محبتك الى هذه الغاية واذا كان النبي اولى بنا
من انفسنا في المحبة لوازمها افليس الرب جل
جلاله وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه وتعالى

حبه ولا الهنا اولى بحبه وعبادته من انفسنا وكلما منه
الى عبده المؤمن يدعوه الى محبته من باب احد اولى بكم
عطاؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه وقبضه وبسطه وعدله
وفضله ولبانته واحسانه ولطفه وبره ورحمته واحسانه
وستره وعفوه وحلمه وصبره على عبده واحسانه لدعائه
والتضرع اليه واغاثته لهفته وتفريج كربته من غير
حاجة منه اليه بل مع غناه التام عنه من جميع الوجوه
كل ذلك داع للقلوب الى محبته ومحبته بل يمكنه عبده
من معصيته واعانته على نفسه حين يقضي وطره من
وكلاته وحراسته له وهو يقضي وطره من معصيته
بعينه ويسعى في مخالفته من اقوى الدواعي الى
محبته فلو ان مخلوقاً فعل بمخلوق ادنى شيء من ذلك
لملك قلبه عن محبته فكيف لا تحب العبد ربه كل
قلبه وجوارحه من محسن اليه دائم بعد الانفاس
مع اساءته مجيب اليه فاذا دعاه قال وسارع اليه ضاعد تحبب
اليه بنعمه وهو غني عنه والعبد بفقر الله الى معاصيه
وهو فقير اليه فلا احسانه وبره واكرامه عليه يصده عن

معصيته لا معصيته العبد ولو نبه نقطع احسانه
عنه لام اللوم يخلف القلوب عن محبته من هذا
شأنه وتعلق بمحبته سؤله وايضا فكل من يحب الخلق
ويحبك انما يريد لنفسه وعرضه منك والله تعالى يريد
لك كما في الاثر الالهي عبدي كل مريد لنفسه انا
اريد لك فكيف لا يحب العبد ان يكون ربه له هذه
المثابة وهو معرض عنه مشغول بحب عن قد استعبد
قلبه بحبه سؤله وايضا فكل من يعامل من الخلق
ان لم ينج عليك لم يعاملك لا بد له من فوت من انواع
النجح والله تعالى انما يعاملك لنجح عليه انت اعظم
النجح واعلاه فالدرهم يعتز انه اله ان سمعا به
صعف الى اضعاف كثيرة لسببه واحد وهو اسمع
شيء يجوز ايضا هو سبحانه خلقك لنفسه وخلق كل
شيء لك في الدنيا والاخرة فمن ادلى عنه باستقراء
الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته وايضا
فمطالبك بل مطالب الخلق كلهم جميعا لديه وهو
اجود الاجودين وارحم الارحمين اعطى عبيده قبل

ان يسالوه فوفق ما يوملونه فيكا القليل من العمل ويثيبه
ويعفو الكثير من السالك بحوه وتاله من في السماوات
والارض كل يوم هو في شان لا تشغله سمع عن سمع ولا
تغلطه لغة عن المسائل ولا تبرم الحاح الملحين بل يحب الملحين
في الدعاء ويحب ان تسال ويغضب اذا لم تسال يستحي
من عبده حتى لا يستحي العبد منه ويستره حتى لا يستر
نفسه ويرحمه حتى لا يرحم نفسه دعاه منه واحتاجه ابادته
ابكرامته ورضوانه فاي فارسل رسله في طلبه وعتب اليه
معهم عهده ثم نزل سبحانه اليه بنفسه وقال من يسالني فاعطيه
من يستغفرني فاغفر له ادعوك للوصول فاني اعتب
وتسول في الطلب انزل اليك بنفسي القائل في النوائم
وكيف لا يحب الغلوب من لا ناى الحسنات الا وهو
ولا ذهب بالسيئات الا هو لا يحب الدعوات ويقبل
العثرات ويغفر الخطيئات ويستر العورات ويكشف
الكربات ويغيث اللهفات ويقبل الطلبات سؤل فهو
احق من ذل واحق من شكر واحق من عبد واحق من
حمد وايش من اسعى واراق من الله واجود من سئل واوسع

مشهور كاروكار

من اعطى وارحم من استرحم وارحم من قصد واعرض عن الغنى
اليه والغنى من توكل العبد عليه ارحم نفسه ترى الى الله يوم تلقاها
واسدد خلتها منوه الناس من الفاقة لرأيته الى علم
لحاجه وشابه في الارض المهلكة اذا يأس من الحياة
ثم وجدها وهو الملك لا شريك له الغنى والاغنياء كل شيء
هالك الا وجهه لن يطاع الا بادنه ولن يعصى الا بعلمه
يطاع فتشكر وتعصى فتغفر واطيع واتوب
وفي يده الهدى والعدل قائم بالقسط حال بالنهى واخذ
بالنواصي وكتب الاثار وسبح الاجال القلوب له مفضية
والسر عنده علانية الغيب لديه مكشوف وكل احد
الله ملهوف غنت الوجوه لنور وجهه وعجزت العقول عن
ادراك شيء ودلت الفطر والادلة على امتناع مثله
وشبهه اشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت
له الارض والسماوات وصلح عليه جميع المخلوقات
لانام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع
اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه

من خلقه

النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره
ما اعراض نادل حبه لسوء من عوض لو ملكا لوجود ناس
فضل وهذا امر عظيم يحب على اللبيب الاعتناء
به وهو ان كمال اللذة والفرح والسرور ونعيم القلب
وابتهاجه انما تابع لادراك احدها كمال المحبوب في نفسه
وجماله وانه اولى ما شاء المحب من كل ما سواه والامر الثاني
كمال محبته واتساع الوسع في حبه اشار قربه والوصول
اليه على كل شيء وكل عاقل يعلم ان اللذة بحصول المحبوب
بحسب قوة محبته فكلما كانت المحبة اقوى كانت لذة المحب
اكمل فلذة من استولت طلاوة بادرات الما الزلال ومن
اشتد جوعه ما كل الطعام المشتهى ونظائر ذلك على حسب
شوقه وشدة ارادته ومحبته اذا عرف هذا فاللذة
والسرور والفرح لم يطلب في نفسه بل هو مقصود
كل حي واذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهي بقدر ما
اعقبت الما اعظم منها او منعت لذة اخرى او احل منها
فكيف اذا اعقبت اعظم الحسرات وفوت اعظم اللذات
والمسرات وكذا اذا علمت على ان عظمة انها مستغرقة لا

معيش فيها ولا تكدر بوجه ما وهي لذة الآخرة ونعيمها وطيب
العيش فيها قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة
خير وابقى وقال لموسى ولهرون لما امنوا اقضوا انتم
قاضٍ انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر
لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى والله
سبحانه خلق الخلق ليسلمهم هذا الله الى دار الخلد
واما الدنيا فمنقطعة لذاتها لا صفو لها ابدا ولا يدوم
بخلاف الآخرة فان لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل
كدر والم وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فهي الخلود
ابدا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا
المعنى الذي قصده الناصح لقومه بقوله يا قوم انما تدعونني
اليكم الى سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا
متاع وان الآخرة هي دار القرار فاخبرهم ان الدنيا
متاع يستمتع بها قليلا وانها هي المستقر
واذا عرف ان لذات الدنيا ونعيمها متاع وسبيله
ان لذات الآخرة ولكن خلقت الدنيا لذاتها

وكل لذة اعانت على لذة الآخرة وصلت اليها لم يذم
تناولها بل يحمد بحسب ايصالها الى لذة الآخرة لذا فالنظر
الى وجه الرب جل جلاله وسماع كلامه منه اقرب
منه كما تقدم في الصحيح من حديث الرؤية فوالله ما اعطاهم
شيئا احب اليهم من النظر اليه وفي احد حديث اخرانه
اذا تجلى لهم رأوه كما يرون القمر ليلة البدر وفي السنن
ومسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر عن النبي
صلى الله عليه وسلم في دعائه اسالك لذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك وفي كتاب السنة لعبد الله بن
الامام احمد بن حنبل كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ان يجعلوا
القرآن اذا سمعوه من الحق نكاتهم لم يسمعوا قبل
ذلك واذا عرف هذا فاعظم الاسباب التي تحصل
هذه اللذة هو اعظم لذات الدنيا على الاطلاق
لله معرفته سبحانه ولله محبته فان ذلك هو جنة
الدنيا ونعيم العارفين وبسببه لذتها الفانية التي تنقلب
تحسر فان الروح والقلب انما خلق لذلك
فاطمئنانها في الدنيا بمعرفته ومحبته والذتها في محبته

رؤيته ومشاهدته محبته ومعرفته فتوه المحبوب لذة
الارواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرور نفائل لذات
الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب الآما وعذابا وسقما
صاحبها في المعيشة الضنك فليشتد الحياء الطبيعة الانسانية
وكان بعض المحبين تمر به اوقات فيقول ان كان اهل
الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب وكان عمر يقول لو
علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف اذا كان
صاحب المحبة الباطلة انما هو عذاب على قلب المحب يقول في حاله
وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى ولا خير ممن لا يحب ويعشق
ويقول الآخر ان الذي بيني وبين صاحبي الذي احب واحد
ويقول الآخر لا في الدنيا لي نعيم انت وحدك موضع عشقي
ويقول الآخر اسكن الى سلمى بلذة عيشه ذهب الزمان وانت مفرد
وقال الآخر مثلي المحبوب الصباة ليتني تحملت ما تلقون من سقم وحرق
وكانت لعلي بن الجهم قبل ان يتوب قلبي محب لاعبدي
فكيف المحبة التي هي حياة القلوب وعذاب الارواح
وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة الا بها واذا

فقدها القلب كان الم اعظم من الم العين اذا فقدت
نورها والاذن اذا فقدت سمعها والانف اذا فقد
شمه واللسان اذا فقد نطقه بل فساد القلب اذا
خلا من محبة فاطره وباريه والاهه الحق اعظم من فساد
البدن اذا خلا من الروح وهذا امر لا يجهله ولا يعدله الا من
فقد حياته وما الجرح بميت ايلام المقصود ان اعظم اللذات
الاصلية لذات القلوب التي هي انواع فاعلم واذكر ما اوصل
الى الله الا حبه وشتان الانسان على هذه الله ام تواب
ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصده وهو انه من
اكله وشربه ولباسه ونكاحه وشفاء غيظه بموت
عدو الله وعلى تكلف ذلك ايمانه ومعرفته بالله ومحبته له
وشوقه الى لقائه وطمعه في رؤيته وجعله الكريم في جنات
النعيم النوع الثاني لله سبحانه الآخرة ونعيمها
اعظم منها كلذة الله لمن اتخذوا من دون الله اندادا
مودة بينهم في الحياة الدنيا يحبونهم كحب الله ويستعذبون
بعضهم بعضا كما تقولون في الدنيا اذا القوا زملكم
ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت

لما قال النار مثواهم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك
حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا
يكسبون فلله اصحاب الفواحش والظلم والبغي في الارض
والعلو بغير الحق وهذه اللذات في الحقيقة انما هي استدراج
من الله لهم ليذيقهم اعظم الالام وحرمهم بها اكمل اللذات
منها فمن قدح لعنه طعاما لذيذا مسموما يسدر به
الى هلاكه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
واملي لهم ان كيدي متين قال بعض السلف في هذه
كلما احدثوا لنا احدثنا لهم نعمة حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين وقال تعالى في اصحاب
هذه اللذات اعجبوك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون وهذه اللذات تغلب على الامم من اعظم
الالام كما قيل ٥

عذابا

ما دامت كانت في الحياة لاهلها عذابا فصارت في المعاد
النوع الثالث لذة لا تعقب لذة في دار القرار الا الما لا يمنع
اصل لذة دار القرار وان منعتكها هاهنا اللذة المباحة
المباحة ان لا تستعان بها على لذة الاخرة فهذه وما نالها نسيرة
ليس لها مع النفس قدر ولا بد ان تشغل عما هو خير منها
وانفع منها وهذا القسم هو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رميه بقوسه وتأديبه
فرسه وملاعبته امراته فانه من الحق والاعانة على اللذة
المطلوبة لذاتها فهو حق وما لم يعن على ما فهو باطل

فصل فهذا الحب لله لا يكفر ولا يذم بل هو
احد انواع الحب وكذلك حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما يعرض الحب الخاصة وهو الذي شغل قلب المحب وذكره
وذكر محبوبه والاكمل منه في قلبه حب الله ورسوله
لا مدخل في الاسلام الا هما والناس متفاوتون في
درجات هذه المحبة تفاوتا لا يحصيه الا الله فبحسب
محبة الخلق لربهم ومحبته عز وجل ما بينهما تنهد المحبة الى
تلطف وتعطف فقال الكاتب وتسخي النجيب وتسخ

الجنان وتصقل الذهن وترض النفس وتطيب الحياء على الحقيقة
لا تحب الهوى الجيد إذا ملت السماع يوم القيامة كانت
سيئة صاحبها من خزنة النار الصباد كما قيل ⊙

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر ⊙

وهذه المحبة هي التي تنور الوجه وتشرح الصدر وتحيي القلب
وكذلك محبة كلام الله فإنه من علامة محبة الله فإذا أردت
أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله فانظر محبة
القرآن من قلبك فإنك تسمع عظم من النداء
أصحاب الملاهي والغناء المطرب يسمعها فما من المعلوم
أن من أحب شيئا كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه
كما قيل إن قلت ترجع حبي لم أحرك هواي إما تأملت ما فيه من كذبه ⊙
خطابي ⊙ وقال عثمان بن عفان لو طهرت قلوبنا
لما شبعت من كلام الله ولهذا تشتاق المحبة من كلام
محبوبه وهو عابه مطلوبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يوما لعبد الله بن مسعود اقرأ علي فقال أقرأ عليك
وعليك أنزل فقال إني أحب أن أسمعه من غيري
فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى إذا بلغ قوله فكيف إذا

حين

إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
قال حسبك فرفع رأسه فإذا عيناه تذرفان وكان الصحابة إذا اجتمعوا عند أبي
موسى يقولون يا أبا موسى ذكرنا ربنا فقرأ هم يستمعون
فالمحبة القرآن من الوجد والذوق الحلاوة السر
اضعاف ما المحبة السماع المستطاب فإذا رأيت الرجل ذا
وجد وطرب وشوق في سماع الأبيات دون سماع
الآيات وفي سماع الألحان دون سماع القرآن وهو
كما قيل تقرأ عليك وأنت جامد كالحجر وتبت من الشعر
مستند تميل كالنشوان هذا من أقوى الأدلة على
فراغ قلبه من محبة الله وكلامه وتعلقه بمحبة سماع الشيطان
والمغرور يعتقد أنه على كل شيء في محبة الله وكلامه ورسوله
أضعاف أضعاف ما لذة السماع من قوالب العشق
ومنافعه بل لا تحب على الحقيقة نفع منه وكل حب
سوى ذلك باطل إن لم يعن على ذلك فسوف المحب إليه
فصل وأما محبة النشوان فلا لوم على المحب
فإنه هي من كلامه وقد امتن الله سبحانه على عباده فقال

الختم

ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فجعل المرأة سكنا للرجل
ليسكن قلبه اليها وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقترنة
بالرحمة وقد قال تعالى غضبت ذرها احل لهم من النساء وما حرم
منهن يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق
الانسان ضعيفا وذكر سفيان الثوري في تفسيره عن ابن
طاوس عن ابيه كان اذا نظر الى المرأة تعجبه في الصحيح من
حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى امرأة فاتى
زينب فقضى حاجته منها وقال ان المرأة تقبل في صورة شيطان
وتدبر في صورة شيطان فاذا راى احدكم امرأة فاعجبته فليات
اهله فان ذلك يرد ما في نفسه في هذا الحديث عدة فوائد
منها الارشاد الى التسلي عن المطلوب بخمسة كما يقوم الطعام
مقام الطعام الثوب مقام الثوب ومنها الامر بالاتيان الى الاعجاب
بالمرأة المودث لشهوتها بالمرأة الاخرى وهو قضاء وطر من
اهله وذلك يغض شهوته لها وهذا ارشاد المخاطب

الى النكاح فنكاح المعشوقة هو الذي جعله الله
في الشرع مقدرا وهو الذي اراده صلى الله عليه وسلم
ولم يرتكب نبي الله محرما انما تزوج المرأة وضع الى نسائه الحسنة
لها وكانت نوبة كل منهن ليلة عند الله وعلى هذا لا
يلتبس بنا المرتزل هذا اما وصية زينب بنت جحش لزيد
كان قد عزم على طلاقها ولم يوافقه وكان يستشير النبي
صلى الله عليه وسلم في امرها وهو ما مر فاما ان علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه مفارقها ولا بد واحق في نفسه ان تزوجها
اذا فارقها زيد وخشي من قالة الناس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تزوج زوجة ابنه فانه كان يدعى زيدا قبل النبوة
والله تعالى يريد ان يشرع شرعا عاما فيه مصالح عباده
فلما طلقها زيد انقضت عدتها منه ارسله الى خطبتها لنفسه
فجاء زيدا واستدبرت الباب فدخل وعظمت في صدره لما
ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداها من وراء الباب
يا زينب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك فقالت
ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى محرابها فصلت
فنزل الله عز وجل نكاحها من رسوله بغير وعقد النكاح
له فوق عرشه وجاء الوحي بذلك فلما قضى زيد منها وطرا زوجناها

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لوقته فدخل على حفصة وكانت
تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتقول انني ذو حجى
اها لكن ورب حي الله ثم نوف بيع شمارات هذه فصه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبيه لا ريب ان النبي صلى
الله عليه وسلم ان قد حبب الله النساء كما في الصحيح من
حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة هذا لفظ احدى
ما يروونه نعصهم حبب الي من دنياكم ثلاث زاد الامام احمد
في كتاب الزهد في هذا الحديث او عن الطعام والشراب
ولا اصرعهن وقد حكى الله عن اعدائه اليهود على ذلك فقالوا
مالهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقال الله سبحانه على لسان رسوله ويمشي
ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا آل
ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وهذا خليل
الله ابراهيم امام الحنفاء كان عنده سارة احد نساء العالمين
واحب هاجر وتسرى بها وهذا داود كان عنده تسع
وتسعون امرأة واخذ امرأة اوريا وتزوج بها فكمل المائة
وهذا سليمان انه كان يطوف في الليلة على تسعين
امرأة وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احب الناس

اليه فقال عائشة وقال عن حديث اي وقت جاء فحدثه
النساء من كمال الانسان قال ابن عباس حبب اليه من
دنياكم النساء وقد ذكر الامام احمد ان عبد الله بن عمرو بن
العاص سهم يوم اجلولاء وكان عنده اربع نسوة
قال عبد الله فما ضرت ان فتح والناس يطرون
وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع من المسبية
قبل الاستبراء خلاف الوطء بخلاف الامة المشتراة فانهما
انه لا يوثق بانفساخ الملك في المسبية بخلاف المشتراة فقد
ينفسخ ذلك الملك فيكون مستمتعا بامة غيره وقد شفع النبي
صلى الله عليه وسلم لعائشة ان تواصله معتوقته بان تتزوج
به فابت وذلك في قصة مغيث وبريرة فانه رآه يمشي خلفها
بعد فراقها ودموعه تجري على لحيته فقال لها لو راجعتيه
فانما هو ابو ولدك فقالت اتامرني يا رسول الله فقال لا انما انا اشفع فقالت لا حاجة لي به
فقال لعمه يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة له فلم ينكر عليه حبها وان كانت قد بانت منه فان هذا
مالا يملك وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن نساء
في القسم ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا
املك يعني القلب وقد قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين

النساء لو حرصتم يعني الحب الخاص لم يزل الخلفاء الراشدون
والحامل الماء يستعفون في العشاق الى معشوقهم
الجائرة صلهن كما تقدم من فعل ابي بكر عثمن وكذلك على
اني بغلام من العرب وجد في دار زوم ما الليل فقال له ما
قصتك قال لست بشارق ولكني اصد فك ⊙

تعلقت في دار الراجح جويدل بن مسلم حسن منظرها البدر
لها في بنات الروم حسن ومنظر اذا افتخرت بالحسن حاكاها الفجر
فلما طرقت الدار حسن لاحظه استوقفها من توقدها الجمر
تبارك اهل الدار لي ثم جئتهم هوا للص محسوما له الغل والاسر
فلما سمع علي رضي الله عنه شعره رق له وقال للمهلب بن رباح
اسمح له فقال يا امير المؤمنين سله من هو فقال الهاشمي بن
عمته فقال خذها فهي لك واشترى معها جارية فاعجبته
اعجابا شديدا فبعث يوما فتشد ابياتا منها ⊙

وفارقته كالعضو شق في الثرى طريرا وسيفا بعد ماط شباره
فيا لها فاجرة اما تحت سندها وردها الله وفي حلبة منها ⊙
وذكر الزمخشري في ربيعه ان زبيدة مرت في طريق
مكة على حائط

اما بعد عباد الله الكريم ادبني ابائه الكريم على الهم عن ذهب العقل

لم يقله امنا الماني رحمه اما الخشاف فالمأمون على رجل
فندرت ان يحتال لقابلها ان يعرفه حتى يجمع بينه وبين من يحبه
فبينما هي بالمزدلفة اذ سمعت من بعض السنن فطلبته
فزعم انه قال لها اني بعته عم له فندرا فلما ان لا يبيعوها منه
فوجهت الى الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى وجوها
منه واذا الرجل اعتنى منه لها فكانت تعده من اعظم
حسناتها وتقول ما انا بنسيا من حجي من ذلك العتي
والفتا ◦ وقال الجرجاني وكان لسليمان بن عبد الملك
غلام وجارية تحابا فكتب الغلام الى يوما ◦

ولقد راشك في المنام كانما عاطيتني من ريق صبك الباردا
وكأن قلبي في يدي وكأننا بتنا جميعا في فراش واحد
فطفقت اومن كلما متراقدا الا اراك في يمين ولست براقد

فاحابته الجارية ◦

جزاء ابيت فلما انصرفت سئلته مني بزعم الحاسد
اني لارجو ان يكون معانقي قبلت مني فوق نمرقي فاهدا
وارى الرقاد من حلال حلود ما الجوار الى فوق فراشي وحاسد
فبلغ ذلك الغلام فاحتال الغلام واحسن حالهما على فرط غيرته

فقال جامع بن مرحبة ⊙

سألت سعيد بن المسيب هل في الحب شيء من درد ؟

فقال سعيد بن المسيب انما يلام على ما يستطيع من الامر

فقال سعيد اما ما سألني احد عن هذا قبلك لو سألني لما كنت اجبت الا به فعشق المسلمانة اقام عشق هو قربه وطاعة وهو عشق الرجل امرأته وجاريته وهذا العشق عشق فاضح فانه ادعى الى المقاصد الى شرع الله لها النكاح والف للقصد والقلب عن التطلع الى غير اهله ولهذا حمد هذا العاشق عند الله وعند الناس وعشق هو معصية من الله وبعد من رحمته وهو اضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق الرجال فما اعلم به الامن سقط من عين الله وطرد عن بابه وبعد قلبه عنه وهو من اعظم المحن الفاطعة عن الله كما قال بعض السلف اذا اسقط العبد من عين الله لم يبال به ومحبته هي التي حلت على قوم لوط ما حلت فما انزل الامن هذا العشق قال تعالى انهم لفي شكهم يعمهون وفي هذا الداء الاستحالة مقلب القلوب وصدف اللحا اليه الاستعاذة بالمعصوم منه وقربه التقرب

الالم الذي يعقبه هذا العشق والله الذي لا اله غيره قد رأيت علته فوات اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فان اقدرت نفسه على هذا وان تنه لتصبر على مكابدة على الخيار لتعلم ان البلاء قد احاط به القسم الثالث من العشق عشق مباح لا يملك العشق من وصفت له امرأة جميلة او رآها محاة من غير قصد فاتفق ذلك عشقها ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه ولا ينهى فهذا فحنة الاستعمال بما هو انفع له اذا احب على هذا ان يكتم ويعف ويصبر على بلوى مثبته الله على ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته وتركه طاعة هواه اثابه ورضاه الله وما عنده

فصل

والعشاق ثلاثة اقسام منهم من يعشق الجمال المطلق ومنهم من يعشق الجمال المقيد سواء طمع في وصاله او لم يطمع ومنهم من لا يعشق الا من يطمع في الوصول اليه ومن هذه الانواع تفاوت في القوة والضعف فعاشق الجمال المطلق قلبه يهيم في كل واد وله في كل صورة جميلة مراد يوما بحزوى ويوما بالعذيب ويوما بالعقيق ويوما بالخليصاء

زمان يتحدا وانه شعله العشق فطورا قصر تيما
هذا عشقه اسع ولكنه عز فانف كثر التنقل ٥
بهيم هذا لم يعشق عرف سلامهم من وقته حين يصبح
وعاشق الحال المتقدم لتثبت على معشوقه اذا دام محبته له
ومحبته اقوى من محبة الاول لاخبار عمال واحد وتقسم
الاولى لكن يضعفها عدم الطمع في الوصال وعاشق
الحال الذي يطمع في وصاله اعقل العشاق واعزهم
وحبه اقوى لان الطمع يمده ويقويه فصل
واما الحديث من عشق فعف فهذا مرده سويد بن سعيد
وقد انكره حفاظ الاسلام عليه قال بن عدي في كامله هذا
الحديث احد ما انكر على سويد وكذا انكره البيهقي وبن
طاهر في الذخيرة وابن الجوزي وغيره
في الموضوعات وانكره ابو عبد الله الحاكم على شاهله
وقال انا اتعجب منه قلت والعجب في الحديث انه
من كلام بن عباس موقوفا عليه فغلط سويد في رفعه
قال محمد خلف بن المرزبان ثنا ابو بكر الادرق
عن سويد به فاشبه على ذلك فاسقط دال النبي صلى

الله عليه وسلم وكان بعد ذلك سئل عنه فلا يرفعه
ولا يشبه هذا كلام السلف واما رواية الخطيب له عن
الازهري ثنا المحاملي ثنا زكريا بن يحيى قطن ثنا الفضل ثنا محمد
محمد عن مسروق فنا شويد ما بن مشهر عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة مرفوعا من ابتلي بالخطا فلا يحدث هشام
عن ابيه عن عائشة مثل هذا عند من تنسم ادنى رائحة من
الحديث ونحن نشهد لله ان عائشة ما حدثت هذا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا حدث به عنها عروة ولا
حدث به عن هشام قط واما حديث ابن الماحشون
عن عبد العزيز بن ابي حازم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد
عن بن عباس مرفوعا فكذب على بن الماحشون فانه لم يحدث
بهذا الا حدث به عبد العزيز بن مسلم وانا هذا من ركيب
بعض الوضاعين وياسبحان الله كيف يحمل هذا الاسناد
مثل هذا المتن فقبحه الله من وضاع وقد ذكر ابو الفرج
من حديث محمد جعفر بن مهلهل ثنا معروف بن عيسى
من ولد عبد الرحمن بن عوف عن بن ابي نجيح عن مجاهد
مرفوعا وهذا غلط قبيح فان محمد جعفر هذا هو الذي يطلق

وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين محال ان يدرك شيخه
يعقوب بن ابي حبيبة لانه لم يدرك الا صغارا وقد قال في كتاب العلل
عن يعقوب هذا عن الزهري عن عبيد الملك عن عبد العزيز عن بن
ابي حبيبة والخبر الصحيح هذا انما هو من رواية يعقوب
ابو الفرج في كتاب الضعفاء وكلام حفاظ الاسلام
في انكار هذا الحديث هو الميزان الذي يرجع في هذا الشان
وما صحح ولا حسنه احد يعول في علم الحديث عليه ويرجع
في التصحيح اليه لان عادته التساهل والتسامح فانه لم
يتطرق نفسه له ويجوز ان بن طاهر انما يتساهل في احاديث
التصوف ويروي ما الغث والسمين والمحقق والموضوع
قد انكره وشهد سماعه من عياش غير مستنكر
ذلك عنه وقد قال ابو محمد حزم عنه انه سئل عن
الميت عشقا فقال قبل الهوى لا عقل لا فرق
ورفع الله عرفات شاء قد صار كالفرح فقال ما
شاء قالوا العشق فجعل عامه يومه يستعيذ من
العشق فهذا نص من قال من عشق وعف وكتم ومات
فهو شهيد وما يوجد ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم

عد الشهداء في الصحيح قتيل المفسول في الجهاد والمبطون
والحرق والغريق والنفساء بجمع وذات الجنب ولم يذكر منهم العاشق بقتله العشق وحسب قتيل
العشق ان يجعله هذا الاثر عن بن عباس على انه لا يدخل
الجنة حتى يصبر لله ويعف لله ويكتم لله وهذا لا يكون
الا مع قدرته على معشوقه فانا نحبه الله وخوفه ورضاه
وهذا من اجل من دخل تحت قوله ولمن خاف
مقام ربه وانهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
وتحت قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فسئل
الله العظيم رب العرش العظيم الكريم ان يجعلنا ممن انشأ
حبه على هواه واسعى بذلك قربه ورضاه تم الكتاب
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل

علله لفقه العبد الفقير المعترف بالخطا والتقصير
موسى محمد علي الشافعي عفا الله عنه

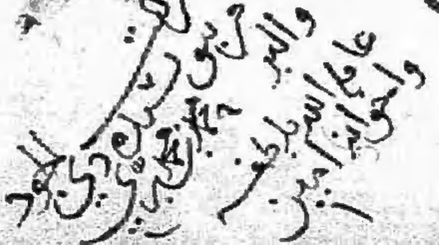

197

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب سلك العبد الفقير إلى الله الواجي عفو ربه وغفرانه والعفو
بذنبه المرجو قبول جنته وشفاعة رضيه عليه
ولوالديه ولأهله ولجميع المسلمين آمين
يا رب العالمين وذلك في العشر الأول
من شهر رمضان المعظم سنة
تسعة اثنان وتسعين وتسع مائة

سوى ابن محمد بن علي عبد الرحمن اللهم اغفر له
ولوالديه ولمن علمهم الفقه والإحسان ولجميع
المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات

آمين يجيب الدعوات وهو على كل شيء قدير
آمين يا رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

لاح اذا ذكرا الاصاب ... وان هم حطوا في القلب حرق
يا اله من قد هم انا الحزين هم من يجد لم يجدوا له خلق
ندبارهم لم يزل لم حاطي ابدا وليف نخلوا نوادا منه قد خلق
يا يوم بينهم ما كان اعظمه وات المنايا اليناف تستبق
سارو وقد اودعوني في منازلهم خليف وجد وبيران الهاجر حرق
عسى الهي ان ممن يعود نهم الى ديارهم فالخير ملتحق
ويجمع الله شملي جمعهم فله عوايد الجود والاحسان تختلق
ذي ايرجا سواه وهو سيدنا ... ذا وفا بالحمد قد نطق
السيد الي لا تجيبني تحرمني فالقلب بكسود ومحتنق
يحرمه السيد المرشد يضرومن له طرق تعلوا على الطرق
والالد الهي سادا ي ومنجي ... نلهم هم يعلوا على الشفق
والوصل لدي ذا ل يبعدهم ... في سيرهم وله التوفيق الحلق
اعطف علي بهم ما زلت تذكرهم على عسلدي المسلين ذو الملق
وتب علي تبيل التوب يا ملك ... لا الحلا نوتر حوا لما عرف